T.C

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

SÜNNETE GÖRE VATANIN DEĞERİ

Manar Eddin Aldakr

YÜKSEK LİSANS TEZİ

DANIŞMAN

Doç. Dr. Murat KAYA

Bingöl – 2022

T.C

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

HADİS BİLİM DALI

SÜNNETE GÖRE VATANIN DEĞERİ

Manar Eddin Aldakr

YÜKSEK LİSANS TEZİ

DANIŞMAN

Doç. Dr. Murat KAYA

Bingöl – 2022

الجمهورية التركية

جامعة بنكول

معهد العلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

الوطن في ضوء السنّة النبوية

منار الدّين بسام الدقر

رسالة الماجستير

إشراف

الأستاذ المشارك مراد كايا

بنكول 2022 مـ / 1442 هـ

الإهداء

- إلى سيد الخلق والبشر إمامِ الأنبياء والمرسلين خير من تعلم القرآن وعلمه وأوضح معانيه وفسره سيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه وعلى صحابته الغر الميامين.
- إلى من تلمّست منه كثيراً من أخلاق الحبيب المصطفى، والدي الغالي حفظه الله ورعاه.
- إلى صاحبة القلب الفياض الذي ملئ حباً لكتاب الله والدتي الحبيبة مدَّ الله في عمرها وبارك لنا بها
- إلى من كان لهم فضلٌ عظيمٌ في توجيهي وإرشادي مُذ كنت صغيراً... مشايخي وإخوتي تيجان رأسي وقرة عيني حفظهم الله ونفع بهم الأنام.
- إلى الغائبة الحاضرة، القريبة البعيدة من لي في دعائها الحظ الأوفر، زوجتي الحبيبة.
- إلى من لازمته سنين في ظل حصار خانق وتعبٍ شديد، فأخذ بيدي يوماً وربت على كتفي قائلاً: همّتك وحجتك تشبه هِمّة المحدّثين وحجتهم، فلعلّك تسلك هذا الطريق، شيخي الحبيب الشهيد بإذن الله المحدّث رياض الخرقي الدمشقي رحمه الله.
- إلى من مكثتُ بين يديه سنين طويلة طالباً في ميادين علوم التخريج والتحقيق والتنقيح وقراءة الحديث، فكان عوناً لي ناصحاً حبّبني بهذا العلم الشريف، شيخي الحبيب المحدّث الدكتور ماهر الفحل حفظه الله.
- إلى إخوتي في الله من كانوا لي عوناً في حياتي استظل بظلهم وآوي إليهم في كل حين، من لهم السبق والفضل في القلب والنبض والفؤاد.
- إلى من علّمني القرآن والقراءات تصحيحاً وتقويماً وقراءةً وتجويداً وتفسيراً، حتى بلغت القدر الذي أجازوا لي نقل العلم بعدهم.
- إلى كل مغتربٍ لقي من أسى الغربة ما لقي، وخرج مهاجراً في سبيل الله حافظاً لدينه وعقيدته تاركاً لأرضه فاراً إلى ربه، شعاره وعجلتُ إليك ربي لترضى.
- إلى المرابطين الراسخين الثابتين على الثغور، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة.
- إليكم جميعاً... أهدي بحثي وفاءً وتقديراً.

شكر وتقدير

لا يسعني إلّا أن أتقدم بالشكر والتقدير من أصحاب الفضل والعلم كل من قدّم نصيحةً بإشارةٍ إلى مرجعٍ أو توجيهاً لكتابة فصلٍ أو حلِّ إشكالٍ، فمن لا يشكر النّاس لا يشكر الله.

وأخص بالشكر الجزيل صاحب الفضل والفضيلة أستاذي المُكرّم الدكتور مراد كايا حفظه الله تعالى الذي لمستُ منه أخلاق العلماء العاملين، فلم يبخل علي بتقديم النصح وتصويب هذا العمل؛ فجزاه الله عنّي خيرٍ الجزاء.

والشكرُ موصولٌ لشيخي الحبيب الدكتور ثامر حتاملة حفظه الله تعالى الذي كانت كلماته وتوجيهاته نبراساً لي أثناء كتابتي لهذا البحث، أعظم الله له الأجر والثواب.

ولا أنسى الصرح الذي انتسبت إليه كلية الشريعة في جامعة بنكول التركية، فلهم مني كل التقدير والثناء إدارةً ومدرسين وباحثين على ما بذلوه من جهدٍ عظيم في خدمة العلم وأهله.

المحتويات

الإهداء I

شكر وتقدير II

BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ VI

Özet IX

ABSTRACT X

الاختصارات XI

مُـقـــدّمَـــة XII

مدخل البحث XIII

خطة البحث XVIII

الـفـصـل الأول: معنى الوطن وقيمته في ضوء السنّة 1

الـمَـبْـحـَـثُ الأول: الوطن ومرادفاته لغة واصطلاحاً 1

المطلب الأول: تعريف الوطن 1

المطلب الثاني: التفريق بين الوطن الأصلي والإقامة والسكنى والدار 5

الـمَـبْـحـَـثُ الـثـَانِـي: الوطن فـــي السنّة النبويّة 7

الـمَـبْـحـَـثُ الثالث: الوطن عند العلماء 14

الـمـطلب الأول: الوطن عند المحدّثين 14

الـمـطلب الثاني: الوطن فـــي أقـــوال الـمُـفَـسِّر يـن 19

الـمـطلب الـثـالث: الوطن فـــيِ اسْـتِـدْلالات الـفُـقَـهَـاء 26

الفصل الثاني: بناء الوطن في عهد النبوة ومنهج إدارته وعقوبة الخيانة..... 30

الـمَـبْـحـَـثُ الأول: الشباب في عهد النبوة ودورهم في رقي الوطن ونهضته 30

الـمَـبْـحـَـثُ الثاني: منهج الإدارة النبويّة في حماية الوطن. 43

المطلب الأول: بناء الوطن سياسياً واقتصادياً ودينياً 43

المطلب الثاني: ترسيخ مفهوم السمع والطاعة والاستجابة لولي الأمر 46

المطلب الثالث: تعيين القادة في المهمات وإسناد المسؤوليات إليهم 50

المطلب الرابع: تأسيس القضاء لرفع المظالم وإنصاف الناس 51

المطلب الخامس: تقسيم الأمصار وتعيين الولاة لسهولة إدارة الدولة والدّفاع عنها 52

المطلب السادس: تشكيل نظام الحسبة والشرطة وتنظيم الجيوش وصنع العتاد 55

الـمَـبْـحـَـثُ الـثـالـث: خيانة الوطن في السنّة النبويّة 57

المطلب الأول: مفهوم الخيانة. 57

المطلب الثاني: الآيات القرآنية التي تبين حكم الله تعالى في الخيانة 58

المطلب الثالث: الأحاديث النبويّة التي تحدثت عن الخيانة 60

المطلب الرابع: علاج السنّة النبويّة للخيانة 65

الفصل الثالث: الوطن عند المسلمين وما بذلوه لأجله 70

الـمَبْـحَـثُ الأول: الوطن عند المهجّرين 70

المطلب الأول: المهاجرون الأولون 70

المطلب الثاني: المهاجرون من السلف 72

الـمَبْـحَـثُ الثاني: مسؤولية المسلمين لحفظ الأوطان والأحاديث المختلقة لحبها. 76

المطلب الأول: مسؤولية المسلمين تجاه أوطانهم..... 76

المطلب الثاني: الأحاديث الموضوعة المشتهرة عن الوطن..... 85

الفصل الرابع: حماية الوطن في السنّة النبويّة واستقراره وفهم المقاصد 88

الـمَبْـحَـثُ الأول: أسس حفظ الوطن في السنّة النبويّة. 88

المطلب الأول: حفظ الوطن دينياً وفكرياً واجتماعياً وتعليمياً..... 88

المطلب الثاني: حراسة الوطن ورد الأعداء وبناء علاقات متينة مع الدول الأخرى..... 92

الـمَبْـحَـثُ الثاني: المقاصد الشرعية في حب الوطن والدّفاع عنه في السنّة النبويّة 97

الـمَبْـحَـثُ الثالث: القانون في السنّة النبويّة ودوره في استقرار الوطن. 109

النتائج والتوصيات: 118

فهرس المصادر والمراجع:..... 120

ÖZGEÇMİŞ..... 137

BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ

Yüksek Lisans tezi olarak hazırladığım "SÜNNETE GÖRE VATANIN DEĞERİ" adlı çalışmanın öneri aşamasından sonuçlanmasına kadar geçen süreçte bilimsel etiğe ve akademik kurallara özenle uyduğumu, tez içindeki tüm bilgileri bilimsel ahlak ve gelenek çerçevesinde elde ettiğimi, tez yazım kurallarına uygun olarak hazırladığım bu çalışmamda doğrudan veya dolaylı olarak yaptığım her alıntıya kaynak gösterdiğimi ve yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu beyan ederim.

.../.../2022

İmza

Manar Eddin Aldakr

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

Manar Eddin Aldakr tarafından hazırlanan **"SÜNNETE GÖRE VATANIN DEĞERİ"** başlıklı bu çalışma, …/…/2022 tarihinde yapılan tez savunma sınavı sonucunda oybirliği ile başarılı bulunarak jürimiz tarafından Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı'nda Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir.

TEZ JÜRİSİ ÜYELERİ (Unvanı, Adı ve Soyadı):

Başkan: …….. İmza: ……..

Danışman: ……. İmza: ……..

Üye: ……. İmza: ……..

ONAY

Bu Tez, Bingöl Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun...../..../ 2012 tarih ve..... sayılı oturumunda belirlenen jüri tarafından kabul edilmiştir.

Doç. Dr. Mehmet Zahir ERTEKİN

Enstitü Müdürü

مُـلَـخـص

إنّ مـن المعلـوم ومـن دون أي شـك أن الـوطن هـو الأصـل الـذي يعتمـد علـى قيـام أي أمّـة، فهـو ركيـزةٌ أساسـيةُ لا يمكـن تجاهلهـا أو الاستعاضـة عنهـا، ولابّـد أن يكـون للـوطن دافـعٌ فـي قلـوب النّـاس للـذود عنـه والحفـاظ عليـه، معتقـدٌ يُـورث انتمـاءً ويعـزز ولاءً ومحبـة، وهـذا مـا قررتـه الشـريعة الغـراء، وسـطّره مداد المحدّثين النجباء، وبيّنه كتاب ربّنا وسنّة نبينا صلى الله عليه وسلم.

وقـد بـرزت أهمّيـة البحـث فـي ضـرورة التـذكير بقيمـة الـوطن وأهمّيتـه، وتمسـك أبنائـه بـذرّات ترابـه والواجبـات المتعينـة علـيهم، فـلا عـزّ لنـا بغيـر أرضـنا، في ظِل ضعفٍ شلّ حركتنا ومزق شملنا في غربتنا.

واختصـت الدراسـة فـي الجانـب العملـي بالواجبـات والمسـؤوليات التـي تتعـيّن علـى شـباب الأمّـة فِعلهـا بغيـة حفـظ أوطـانهم وصـون دمـائهم وديـنهم، فـتم تسـليط الضـوء علـى حـال الرعيـل الأول فـي اغتنـام قـدرات الشّـباب وتوظيفهـا لحفـظ الـدّين وبنـاء الـوطن وإدارة النبـي صـلى الله عليـه وسـلم للدولـة، مبيّنـاً فـي طيـات ذلـك دور القـانون فـي أهمّيـة الحفـاظ علـى الأرض، وأسـس حفـظ الأوطـان، والمقاصد التي تتحصل جراء تطبيق ذلك.

وسـلكتُ فـي سـبيل تحقيـق ذلـك مـنهج التحليـل الوصـفي مـن جانـب والاسـتقراء مـن جانـب آخـر لسـرد الأدلـة مـن السـنّة واستعراضـها وقيـاس السـابق باللحـاق واسـتنباط التوجيهـات والـدلالات وتوظيفهـا لتحقيـق المقصـد منهـا والمرام، وعلى الله اعتمادي وعليه توكّلي وبه اعتصامي.

الكلمات المفتاحية: الحديث، السنّة، الوطن، القيمة، الإدارة.

Özet

Şüphesiz vatan, bir milletin ayakta durabilmesi için sahip olması gereken vazgeçilmez bir değerdir. O aynı zamanda göz ardı edilemeyecek veya değiştirilemeyecek temel bir sütundur. İnsanların kalbinde vatanı koruyacak, savunacak bir aidiyet ve bağlılık hissiyatı ile vatan sevgisini pekiştirecek sağlam bir inancın olması icab eder. İslam'ın diri tutmaya çalıştığı, Kur'an-ı Kerim ve Hz. Peygamber'in (sav) önemsediği ve hadis alimlerinin de değerini kaleme aldığı konulardan biri de vatandır.

Araştırma, vatanın değeri ve önemini hatırlatmanın gerekliliğinden ortaya çıkmıştır. Vatan evlatları, topraklarının özüne bağlı olduklarından şerefleri de vatanlarının varlığına bağlıdır. Dolayısıyla vatan olmadan onur da olamaz. Vatansız olmak bir zayıflık hali olduğundan hareket alanını felç etmekte ve sürgünde birlik beraberliği de yok etmektedir.

Pratik açıdan çalışma; vatanlarını, kanlarını ve dinlerini korumak için gençliğin yerine getirmesi gereken görev ve sorumluluklara odaklanmıştır. Çalışmada din ve vatan inşasında gençlerin imkânlarından istifade eden Hz. Peygamber'in (sav) devlet idaresindeki durumuna ışık tutulmuş, vatanı korumada hukukun önemine vurgu yapılmış ve bireylere düşen görev ve sorumluluklar açıklanarak elde edilecek amaçlar tebyin edilmiştir.

Çalışmada hem betimsel analiz, hem de tümevarım yöntemlerine başvurdum. Sünnetten deliller sunmak, hükümler çıkarmak ve önceki durum ile şimdiki durumu karşılaştırmak suretiyle amaç ve hedeflere ulaşmayı istedim. Yüce Allah'a tevekkül edip bu çalışmamda beni muvaffak etmesini ümit ettim.

Anahtar Kelimeler: Hadis, Sünnet, Vatan, Değer, Yönetim.

ABSTRACT

It is known and no doubt that the homeland is the basis that depends on the establishment of any nation. An essential rule that cannot be ignored or replaced, the homeland must be a motive in the hearts of people to defend and preserve it, a belief that inherits belonging and enhances loyalty and love. This is what the glorious Sharia states, is written by the noble modernizers and explained by the book of our Lord and the Sunnah of our Prophet.

The importance of research emerged in the necessity of reminding the value and importance of the homeland, and the adherence of its sons to the seeds of its soil, and that there is no honor for us other than our land.

And shedding light on the situation of the first generation in utilizing the capabilities of the youth and employing them to build religion and homelands and the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, manage the state, indicating the role of the law in the importance of preserving homelands.

In order to achieve this, I took the method of descriptive analysis on the one hand, and induction on the other hand, to list the evidence from the Sunnah and review it and study the previous to catch up and elicit directives and indications and use them to achieve the purpose of it and the goals, and on God I rely on him and on him I rely and hold fast.

Keywords: Hadith, Sunnah, Homeland, Value, Management.

الاختصارات

(ت): تحقيق.

(هـ): هجري.

(مـ): ميلادي.

(ص): صفحة.

(ط): طبعة.

(د ط): دون طبعة.

(د ت): دون تحقيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُـقـدّمَـة

إن للوطن قيمة رفيعة ومكانة عليّة في قلوب أبنائه، وأولت الشريعة الغراء له أهمّية عظيمة، ولحفظه سالت له مقاصد عزيزة، فكانت قيمة الوطن من قيمة النفس البشرية ومفارقة الوطن معادلة لقتل النفس، فقال تعالى: { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا }[1] ولأجل الحفاظ عليهما معاً شرع الله تعالى الجهاد حفظاً للدين من جانب، وللأرض من جانب، فبُذل له الغالي والنفيس، ودلّ ذلك على نُبل طبع رجاله وبِرّهم لتراب أرضهم، فعبّروا عن أسمى معاني الوفاء والتضحية والفداء، ليُشير ذلك الى قيمة الوطن وأهمّية ترابه، وكانت الدراسة في ضوء السنّة النبويّة وما أشارت إليه الأخبار وتخصص به أهل الآثار، لأنهم أقرب النّاس للسنّة وأكثرهم اتباعاً للهدي النبوي من خلال شروحهم للأخبار وتمسكهم بالسنّة، وتعلق الجانب العملي المحاكي للواقع في هذا البحث، بالواجب الذي يتعيّن على شباب الأمّة فعله بغية حفظ أوطانهم وصون دمائهم ودينهم، وتسليط الضوء على حال أهل الشّام بعد تهجيرهم وغربتهم.

كتبتُ هذه الكلمات بعد عشرٍ عجاف شهدتُها في أرض الشام، عشتُ خلالها الوجع والألم بفقد الوطن، فاستعنت بالله لبيان ذلك في طيات بحثي، من خلال بيان الأهمّية التي أولاها الإسلام للوطن، والسبل التي نصّ عليها للحفاظ عليه، وماهي المقاصد التي لابدّ من توفرها حال وجود الأوطان؟ وماذا تحفظ هذه المقاصد من كرامة الإنسان وحياته؟ وماهي المسؤولية الواجبة المتعيّنة على كل فرد في المجتمع، مبيّناً أهمّية سيادة القانون بسياج الشريعة في حفظ الأرض والمجتمع، وعلى الله اعتمادي وعليه توكلي وبه اعتصامي، وهذا أوان الشروع بالمقصود، والتوفيق من الرب المعبود.

[1] {النساء – 66 }.

مدخل البحث

1. مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الشتات الذي تعيشه الأمّة الإسلامية وخصوصاً العواصم العربية، حيث نتج عن ممارسات الظلم الذي سلكه المستبدون في تهجير الخلق قسراً، ما أدّى إلى تغيرٍ ديموغرافي كامل في المنطقة، وكذلك استهتار بعض الشّباب بالانتماء لأوطانهم وربما خيانتها والسعي لخرابها ودمارها، ونسيان الدور المهم في بناء الوطن والمسؤولية التي تقع على عاتقهم، فكان لابدّ من إيقاظ الغافلين وتنبيه المستهترين، ولا سيما في واقع أمتنا الحالي وما يعصف بها من فتن ومحن.

2. أهمّية البحث:

أ- تسليط الضوء على قيمة الوطن وأهمّيته.

ب- بيان تمسّك أبناء الوطن به والسعي لرفعته.

ت- الدلالة على المقاصد الشرعية المهمّة التي أولاها الإسلام للوطن، والسبل التي نصّ عليها للحفاظ عليه.

ث- تسليط الضوء على حال مدرسة النّبوة والرعيل الأول في اغتنام طاقات الشّباب وتوجيهها واستغلال مواردها في بناء الأرض والوطن.

ح- التحذير من خيانة الأمّة والأرض.

ج- الواجبات والمسؤوليات المتعيّنة للحفاظ على الوطن.

3. منهجية البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي من جانب، والتحليلي الوصفي من جانب آخر، بسرد الأدلة من السنّة واستعراضها واستنباط التوجيهات والدلالات وتوظيفها لتحقيق المقصد منها والمراد.

4. الدراسات السابقة:

إن المصنفات والمؤلفات في هذا الصدد متنوعة ومتينة، قديماً وحديثاً ولعلّ من أهمّ ما وقفتُ عليه في هذا الباب:

1. حب الوطن، للجاحظ (المتوفي: 252 هـ)، ويعدُّ هذا الكتاب من أقدم الكتب التي تخصصت في هذا الباب، وكان رائداً سابقاً، وتأثر به كثير من المحدّثين والمفسّرين فيه.
2. الحنين للوطن، القاضي أبو طاهر الصالحي الحلبي (المتوفي: 395 هـ)، وهو كتابٌ متخصص بحب الوطن على طريقة المحدّثين، بجمع الأخبار وتفنيدي أسانيدها وبسط شواهدها.
3. النزوع الى الوطن، الحافظ أبو سعد السمعاني (المتوفي: 562 هـ)، ويعتبر هذا الكتاب من عيون كتب المحدّثين والحفاظ بالكشف والإبانة عن أهمّية الوطن وقيمته.
4. حب الوطن من منظور شرعي، للدكتور زيد بن عبد الكريم الزيد: وهو عبارةٌ عن كتابٍ صغير الحجمِ جَزِيل الفهم، تناول فيه المؤلف مشكوراً بيان حكم حب الوطن والأرض والتنادي بالوطنية، وبيّن فيه الضوابط والموانع وجواز ذلك في الشريعة الإسلامية.
5. المواطنة من منظور الشريعة الإسلامية (المفهوم- الحقوق- الواجبات)، أبو شاويش، ماهر ذيب (2016)، هدفت هذه الدراسة إلى بيان مفهوم المواطنة، والحقوق، والواجبات من وجهة نظر الشريعة الإسلاميّة، فالبحث يتناول مفهوم المواطنة، وإيراد أبرز الحقوق والواجبات المرتبطة به، وذلك من خلال دراسة دلالاته وتحليلها من منطلق النصوص الشرعيّة من الكتاب والسنّة.
6. المواطنة للدكتور عماد الدّين رشيد: وهو عبارة عن كتيب صغير بسط فيه المؤلف مفاهيم أساسية يسهل فهمهما وتناولها عن الوطن والمواطنة.
7. حماية الوطن في ضوء السنّة النبوية: الندوة العلمية الدولية التاسعة والتي درست الوطن باعتباره مقصد شرعي وضرورة مجتمعية وتكونت هذه الندوة من 34 بحث علمي محكم تم انتخابها واختيارها من 218 بحث

علمي، ومن خلال البحث في هذه الندوة وجدت ما يقارب ال 67 عنواناً قد بُحث في ميدانها وفُصّل غمارها، من التشريعات والسيادة والمحاكمة والعمران والأمن والمواطنة والحماية وأسس البناء والاستراتيجيات والاستشراف المستقبلي والعولمة والسيكولوجيا وقيم الانتماء وترسيخ الاعتقاد والدخل الوطني وغيرها من القضايا الملحة والمهمة التي تحاكي بناء الأوطان وحمايتها والدفاع عنها بصور وأشكالٍ متعددة ومتباينة.

8. حب الوطن في ضوء السنّة النبوية الدكتورة ليلى محمد اسليم: تناولت فيه الباحثة حب الوطن والواجبات المتعينة من دعاء وعمل، والحقوق التي ينعم الناس في ظلها بوجود الوطن من وحدة ونشر علم واستثمار.

5. أهمّ ما يميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة والاستدراك عليها:

اعتبار هذه الدراسة حافزاً مهماً جداً لشباب الأمّة لتذكر أوطانهم والسعي والجدّ للعودة إليها وبنائها ونهضتها، مع التحذير من خطورة خيانة الوطن، بالإضافة الى إظهار دور مدرسة النّبوة في إدارة الوطن التي تدفع الشّباب وتذكرهم بدورهم البنّاء الذي يؤدي لاغتنام قدراتهم والاستعانة بهم، مع تحديد المسؤوليات والإشارة إلى الواجبات المتعينة من أجل النهوض بالأمّة، والتعرف على العديد من الكتب والمراجع العلمية التي تخدم وتثري البحث الحالي.

إنّ الدراسات السابقة تناولت جانب الوطن والمواطنة من حيث التذكير بأهمّية الحفاظ عليه والشوق إليه أو الإسهاب في حقوق المواطنة وواجبات المواطن، والتي بدورها قدّمت جانباً مهمّاً ولكنّها لم ترسم الواجبات والمسؤوليات المتعيّنة على شباب الأمّة بشكل ظاهر وواضح للوصول إلى الأمن والأمان للعيش في ظل الأوطان، مع التحذير من خيانة الأوطان والأمانة التي استخلفها الله لعباده، بالإضافة إلى عدم تكامل أي دراسة سابقة للنقاط التي تناولتها هذه الدراسة مجتمعة.

6- مجالات الاستفادة من الدراسات السابقة:

في ضوء عرض الدراسات السابقة استفاد الباحث من تلك الجهود في عدة مجالات يمكن إجمالها بالآتي:

- الاهتداء إلى بعض المصادر العربية والأجنبية وندوات البحث العلمي المنعقدة والتي تناولت موضوع البحث.
- صياغة منهجية الدراسة وتكوين انطباع أولي عن ذلك.
- الإسهام في بناء بعض أركان الإطار النظري للدراسة.

7- أهداف البحث:

أ- بيان أهمّية الوطن وقيمته في ضوء السنّة النبويّة بما دلت عليه الأخبار والآثار.

ب- تسليط الضوء على قيمة الوطن عند المحدّثين والفقهاء والمفسّرين.

ت- المنهج النبوي في حماية الوطن من إدارة وتوجيه وتوظيف، وبيان التضحيات التي قدّمها الصحابة للحفاظ عليه.

ث- تعزيز حب الوطن والحفاظ عليه عند القارئ.

ج- التركيز على دور الشّباب في رقي الوطن ونهضته.

ح- إظهار دور القانون في ضوء الشريعة الإسلامية في الحفاظ على الأوطان.

خ- التعريف والتفصيل بالمقاصد الشرعية التي تتحصل في ظل الأوطان.

د- التخويف من عقوبة خيانة الوطن في السنّة النبويّة وشناعة الإساءة إليه.

8- أسباب اختيار البحث:

I. حاجة البحث إلى جمع مادته، والكتابة فيه؛ وذلك لعدم وجود كتابات علمية متخصصة في هذا الموضوع، فلم أقف بعد البحث والاطلاع على بحثٍ أو رسالةٍ علمية أو دراسة تتعلق بهذا الشأن على وجه الخصوص تبين أهمّية الوطن والعيش في رحابه والقيمة التي عني بها العلماء قديماً وحديثاً، مع بيان دور الشّباب وأهمّية القانون في الحفاظ على الأرض، لذا كان من المناسب جداً أن نقدم دراسة تخصصية تُعنى بجوانب هذا الموضوع، وتجمع أوابده.

II. وجود عدد كبير من المسائل المتناثرة التي تتعلق بهذا الموضوع في كتب العلم، فسعيت لجعلها في مصنف واحد يجمع شتاتها، ويلم أطرافها، ويوحد أهدافها، مما يجعل هذا العنوان محلاً للاهتمام، والبحث فيه سهلاً في متناول القارئ.

III. كثرة انتقال الشعوب إلى أوطان أخرى والتردد بينها، على اختلاف أسباب هذا التنقل من تهجير قسري أو اختياري، إذ سعيت في طيّات البحث الى إيقاظ الهمم وتحفيز الشباب لأخذ دورهم الريادي في بناء الوطن.

9- وقد انتهجتُ في هذا البحث ما يأتي:

i. رتبتُ موضوع البحث على فصول تليها مباحث فمطالب.

ii. أعزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث، إضافةً لرقم الجزء والصفحة.

iii. إذا كان الحديث في أحد الصحيحين أكتفي بذكره إلّا لحاجةٍ من شاهدٍ أو دلالة.

iv. إذا كان في غير الصحيحين أورد ما كان صحيحاً، وما كان فيه ضعفٌ بيّنته.

v. أورد الأحاديث محذوفة الإسناد لعدم الإطالة والإطناب في إيرادها، وأذكر اسم المؤلف وكتابه مع ذكر راوي الحديث من الصحابة، ومثاله (ما رواه البخاري في صحيحه وبسنده إلى أبي هريرة).

vi. أوثّق ما أنقله من كلام العلماء بعزوه إلى موطنه من كتبهم في الحاشية.

vii. أذكر ترجمة مختصرة للعلماء غير المشهورين والمعرفين عند أهل العلم.

viii. أبيّن ما يحتاج إلى إيضاح من العبارات المشكلة إن وجدت.

ix. أعلّق على كلام الأئمة الأعلام عقب الاقتباس إن كان هناك حاجةٌ لمزيد إيضاح وبيان.

خطة البحث

المقدمة: وفيها عنوان البحث وخطته.

وقد قسّمتُ البحث الى عدّة فصول على ما يأتي:

1- الفصل الأول: معنى الوطن وقيمته في ضوء السنّة.

1.1 المبحث الأول: الوطن ومرادفاته لغة واصطلاحا.

1.1.1. **المطلب الأول:** تعريف الوطن.

2.1.1. **المطلب الثاني:** التفريق بين الوطن الأصلي والإقامة والسكنى والدار.

1.2 المبحث الثاني: الوطن في ضوء السنّة النبويّة.

1.3 المبحث الثالث: الوطن عند العلماء.

1.1.3 المطلب الأول: الوطن والبلدان عند المحدّثين.

2.1.3 المطلب الثاني: الوطن في أقوال المفسرين.

3.1.3 المطلب الثالث: الوطن في استدلالات الفقهاء.

2- الفصل الثاني: بناء الوطن في عهد النبوة ومنهج إدارته وعقوبة الخيانة.

2.1. المبحث الأول: الشباب في عهد النبوة ودورهم في رقي الوطن ونهضته.

2.2. المبحث الثاني: منهج الإدارة النبويّة في حماية الوطن.

1.2.2. المطلب الأول: بناء الوطن سياسياً واقتصادياً ودينياً.

2.2.2. المطلب الثاني: ترسيخ مفهوم السمع والطاعة والاستجابة لولي الأمر.

3.2.2. المطلب الثالث: تعيين القادة في المهمات وإسناد المسؤوليات إليهم.

4.2.2. المطلب الرابع: تأسيس القضاء لرفع المظالم وإنصاف الناس.

5.2.2. المطلب الخامس: تقسيم الأمصار وتعيين الولاة لسهولة إدارة الدولة والدّفاع عنها.

6.2.2. المطلب السادس: تشكيل نظام الحسبة والشرطة وتنظيم الجيوش وصنع العتاد.

3.3. المبحث الثالث: عقوبة خيانة الوطن في السنّة النبويّة.

1.3.3. المطلب الأول: مفهوم الخيانة.

2.3.3. المطلب الثاني: الآيات القرآنية التي تبين حكم الله تعالى في الخيانة

3.3.3. **المطلب الثالث:** الأحاديث النبويّة التي تحدثت عن الخيانة.

4.3.3. **المطلب الرابع:** علاج السنة النبويّة للخيانة.

3- الفصل الثالث: الوطن عند المسلمين في السنّة النبويّة وما بذلوه لأجله.

3.1. المبحث الأول: الوطن عند المهجّرين.

1.3.1. المطلب الأول: المهاجرون الأولون.

2.3.1 المطلب الثاني: المهاجرون من السلف.

3.2. المبحث الثاني: مسؤولية المسلمين لحفظ الأوطان والأحاديث المختلقة لحبها.

1.3.2. المطلب الأول: مسؤولية المسلمين تجاه أوطانهم.

2.3.2 المطلب الثاني: الأحاديث الموضوعة المشتهرة عن الوطن.

4- الفصل الرابع: حماية الوطن في السنّة النبويّة واستقراره وفهم المقاصد.

4.1. المبحث الأول: أسس حفظ الوطن في السنّة النبويّة.

1.4.1. المطلب الأول: حفظ الوطن دينياً وفكرياً واجتماعياً وتعليمياً.

2.4.1. المطلب الثاني: حراسة الوطن ورد الأعداء وبناء علاقات متينة مع الدول الأخرى.

4.2. المبحث الثاني: المقاصد الشرعية في حب الوطن والدّفاع عنه في السنّة النبويّة.

4.3. المبحث الثالث: القانون في السنّة النبويّة ودوره في استقرار الوطن.

النتائج والتوصيات

الـفـصـل الأول: معنى الوطن وقيمته في ضوء السنّة

الـمَـبْـحـَـثُ الأول: الوطن ومرادفاته لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: تعريف الوطن

أ- تعريف الوطن لغة:

قال أبو الفتح الخوارزمي [2] في بيان معنى الوطن لغة: " (الْوَطَنُ) مَكَانُ الْإِنْسَانِ وَمَحَلُّهُ (وَأَوْطَنَ) أَرْضَ كَذَا وَاسْتَوْطَنَهَا وَتَوَطَّنَهَا اتَّخَذَهَا مَحَلًّا وَمَسْكَنًا يُقِيمُ فِيهِ".[3]

وقال الرازي:" (الْوَطَنُ) مَحَلُّ الْإِنْسَانِ، وَ (أَوْطَانُ) الْغَنَمِ مَرَابِضُهَا، وَ (أَوْطَنَ) الْأَرْضَ وَ (وَطَّنَهَا) وَ (اسْتَوْطَنَهَا) وَ (اتَّطَنَهَا) أَيِ اتَّخَذَهَا وَطَنًا، وَ (تَوْطِينُ) النَّفْسِ عَلَى الشَّيْءِ كَالتَّمْهِيدِ، وَ (الْمَوْطِنُ) الْمَشْهَدُ مِنْ مَشَاهِدِ الْحَرْبِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ } [4]". [5]

وذكر صاحب لسان العرب أيضاً: " الوَطَنُ هو المَنْزِلُ تُقِيمُ بِهِ، وَهُوَ مَوْطِنُ الإنسان وَمَحَلُّهُ؛ وَقَدْ خَفَّفَهُ رُؤْبَةُ فِي قَوْلِهِ:

أَوْطَنْتُ وَطْناً لَمْ يَكُنْ مِنْ وَطَني، ... لَوْ لَمْ تَكُنْ عاملَها لَمْ أَسْكُن بِهَا.

وقَالَ ابْنُ بَرّيٍّ[6]: الَّذِي فِي شِعْرِ رُؤْبَةَ:

---

[2] هو أبو الفتح برهان الدين ناصر بن أبي المكارم المطرزي الخوارزمي والمعروف باسم المُطَرِّزي، نسبَة إلى من يُطرّز الثياب ويرقمها، (ولد في الجرجانية سنة 538 - توفي سنة 610هـ) يعتبر من علماء الأدب والنحو في عصره، فقيهًا بارعًا في علوم اللغة وآدابها. يُنظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت 1396 هـ)، **الأعلام**، الناشر: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م، عدد المجلدات: 8، (348/7)؛ أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (ت 879هـ)، **تاج التراجم**، ت: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم – دمشق، ط: الأولى، 1413 هـ -1992م، عدد الصفحات: 367، صـ 309.

[3] ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (المتوفي: 610هـ)، **المغرب**، دار الكتاب العربي، ط: د ط، عدد الأجزاء: 1، باب الواو مع الطاء المهملة، (5 / 589).

[4] {التوبة: 25 }.

[5] زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفي: 666هـ)، **مختار الصحاح**، ت: يوسف محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: الخامسة، 1420هـ / 1999م، عدد الأجزاء: 1، باب (وطن)، (1 / 341).

[6] هو أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش بَرّي بن عبد الجبار بن بَرّي (499 هـ - 582هـ) اشتهر بابن بَرّي. وهو نحوي مصري، كان كثير الاطلاع على المصنفات، أخذ العلم عن الكثير من العلماء ومن أبرزهم ابن

كَيْما تَرَى أَهلُ العِراقِ أَنني **** أَوْطَنْتُ أَرضاً لَمْ تَكُنْ مِنْ وَطَني

وَقَدْ ذُكِرَ فِي مَوْضِعِهِ، وَالْجَمْعُ أَوْطان، وأَوْطانُ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ: مَرَابِضُها وأَماكنها الَّتِي تأْوي إِليها؛ قَالَ الأَخْطَلُ:

كُرُّوا إِلَى حَرَّتَيْكُمْ تَعْمُرُونَهُمَا **** كَمَا تَكُرُّ إِلَى أَوْطانها البَقَرُ " [7]

ورأى اللغوي الهولندي دُوزِي[8] أن معنى البلاد هي ذات الموطن إذ قال: " وابن بلاد: ابن الوطن، مواطن، يقال: هو ابن بلادي أي ابن وطني " [9].

والبلدي من النقود: "هي التي ضربت في الوطن نفسه ولم تضرب خارجه".[10]

وقال صاحب الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: "الوطن هو محل الانسان ومكانه وقد خففه رؤبة بقوله: أوطنت وطنا لم يكن من وطني". [11]

وتطلق مادة (وطن) على توطين النفس على الشيء كالتمهيد: يقال: مهدها لفعله وذللها.

قال ابن سيده: "وطّن نفسه على الشيء وله فتوطنت، حملها عليه فتحمّلت ودلّت له". [12]

ونقل القنوجي في تفسيره فتحُ البيان في مقاصد القرآن عند تفسير قوله تعالى: { لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ

السراج، وتتلمذ على يده كبار العلماء أمثال عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (73/4).

[7] محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفي: 711هـ) ، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة - 1414 هـ، عدد الأجزاء: 15، باب فصل الواو، (13 / 415).

[8] رَينْهَارْت دُوزِي (ولد في ليدن في هولندا، سنة 1237 هـ - وتوفي في الإسكندرية، سنة 1300 هـ) وهو مستشرق هولندي وأستاذ العربية في جامعة لَيْدَن، اشتهر بدراسة تاريخ شمال أفريقيا والأندلس، له مؤلفات عدة، أهمها تكملة المعاجم العربية. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (38/3).

[9] رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفي: 1300هـ)، **تكملة المعاجم العربية**، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ 1 - 8: محمَّد سَليم النعَيمي جـ 9، 10: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والأعلام، الجمهورية العراقية، ط: الأولى، من 1979 - 2000 م، عدد الأجزاء: 11، باب بلد، (1 / 420).

[10] المصدر السابق، (1 / 421).

[11] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ت: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م عدد الأجزاء: ٦، فصل الواو، (217/6).

[12] محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ت: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت عدد الأجزاء: 40 أعوام النشر: (1385 - 1422 هـ) = (1956 - 2001 م) وصَوّرتْ أجزاءً منه: دار الهداية، ودار إحياء التراث وغيرهما، (262/36).

الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ }، قال: "{ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة } تذكير للمؤمنين بنعمه عليهم والمواطن جمع موطن، وفي المصباح الوطن مكان الإنسان ومقره، والجمع أوطان مثل سبب وأسباب، والموطن مثل الوطن والجمع مواطن كمسجد ومساجد، والموطن أيضاً المشهد من مشاهد الحرب ".[13]

والقول في مادة وطّن هو ما ذكره أيضاً صاحب كتاب تكملة المعاجم العربية بقوله " وطّن: وحدها أو وطنّ نفسه أو وطّن على: عزم على القيام بعمل شيء: وطنوا على الموت أو الفتح، أي (إما الموت أو الانتصار). وكذلك وطّن نفسه على الموت: فأيقن بالهلاك ووطن نفسه على الموت، أي عزم واستسلم له. وفي مثال آخر: ووطنوا على الموت ولم يجدُّوا في حماية أنفسهم. أي لم يكن بمقدورهم سوى الاستسلام للموت ولم يبذلوا كل جهودهم في الدفاع."[14]

وورد في كتاب معجم اللغة العربية المعاصرة: "(وطّن البلد توطيناً اتخذه محلاً ومسكناً يقيم به ووطّن نفسه على الأمر مهّدها لفعله وذلّلها وسكّنها وأقرّها عليه وواطنه على الأمر مواطنة، أي وافقه). توطّن: سكن، استقر (بقطر). توطنه أو توطن به ساكنه".[15]

وخلاصة النقل في بيان معنى الوطن لغة أنه المكان الذي يستوطن به الإنسان ويعيش فيه، ويتخذه مسكناً ومحلاً حيث يسعى للاستقرار به والعمل لأجله مستشعراً بذلك الانتماء له، وهو من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى على خلقه.

ب- تعريف الوطن اصطلاحاً:

الوطن هو دار القرار وكذلك هو تلك البقعة التي ينوي الإنسان العيش فيها والإقامة في رحابها.

ويطلق الوطن في اصطلاح أهل العلم ويراد به: "منزل إقامة الإنسان ومقره، ولد به أو لم يولد ".[16]

---

[13] أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفي: 1307هـ)، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، راجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: 1412 هـ - 1992 م، عدد الأجزاء: 15 (5 / 262).

[14] دُوزِي، **تكملة المعاجم العربية**، باب بلد، (11 / 82).

[15] يُنظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفي: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، ط: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 4 (3 ومجلد للفهارس) في ترقيم مسلسل واحد، باب 1708 – خ و ن، (1 / 709).

[16] محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، **قواعد الفقه**، الناشر: الصدف ببلشرز- كراتشي، ط: الأولى، 1407-1986، (544).

قال الكاساني في تعريف الوطن الأصلي: " وهو وطن الإنسان في بلدته أو بلدة أخرى، اتخذها داراً وتوطّن بها مع أهله وولده، وليس من قصده الارتحال عنها، بل العيش بها ".[17]

وقال الجرجاني: "الوطن الأصلي هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه".[18]

وقال أبو البقاء الكفومي: " الوطن هو منزل الإقامة، والوطن الأصلي مولد الإنسان أو البلدة التي تأهل فيها". [19]

فجملة ما سبق من تعريف الوطن عند أهل الاصطلاح، أنه البقعة التي ولد فيها الإنسان وعاش فيها هو وأهله وذريته، ولم يعقد النية على تغيير المكان إلى غيره مرتحلا عنه، أو مسافراً رغبة بغيره، وكان العزم لديه معقوداً على التعيّش والاستقرار.

جـ - تعريف الوطن في الاصطلاح المعاصر:

الوطن هو الأرض التي تسكنها أمّة يشعر في رحابها المرء بالارتباط والانتماء لها.

وقال صاحب التعريفات الفقهية:" الوطن منزل إقامة الإنسان ومقرّه وُلِدَ به أو لم يُولد".[20]

---

[17] يُنظر: علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت 587هـ)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الثانية، 1406هـ - 1986م، عدد الأجزاء: 7، (3 - 1)؛ زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت ٩٧٠هـ)، **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨ هـ)، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، ط: الثانية، د ت، عدد الأجزاء:٨، (2 / 147).

[18] علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفي: 816هـ)، **التعريفات**، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الأولى 1403هـ -1983م، عدد الأجزاء: 1، باب الواو، (3 / 27).

[19] يُنظر: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، ت: عدنان درويش - محمد المصري، د ط، د ت، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، عدد الصفحات: 1083، (صـ 940)؛ محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت 483هـ)، المبسوط، الناشر: دار المعرفة – بيروت، د ط، د ت، تاريخ النشر: 1414هـ - 1993م، عدد الأجزاء: 30، (2 / 273).

[20] محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، **التعريفات الفقهية**، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ - 1986م)، (238).

قال العواجي[21]: " ووطن العاقل هو المكان الذي يتهيأ له فيه عبادة الله تعالى ويقوم بدينه ويصون نفسه وعقيدته من الانحراف آمنا مطمئنا على نفسه ودينه وعرضه".[22]

والذي يمكن استخلاصه مما سبق من تعريف الوطن في المفهوم المعاصر اليوم، أنه تلك البقعة المباركة التي ينتمي لها الإنسان، ويبذل لها الغالي والنفيس من روحه ودمه، يعيش لبنائها ورفعتها، إمامه في ذلك الكتاب، وهديه سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: التفريق بين الوطن الأصلي والإقامة والسكنى والدار

قال الجرجاني: " الوطن الأصلي: هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه، ووطن الإقامة: موضع ينوى أن يستقرَّ فيه خمسة عشر يومًا أو أكثر من غير أن يتخذه مسكنًا ".[23]

بينما رأى القاضي عبد النبي[24] أنّ الأوطان ثلاثة: " الوطن الْأَصْلِيّ وَهُوَ مولد الرجل فِي الْبَلَد، ووطن الإقامة: هُوَ مَوضِع يَنْوِي أَن يسْتَقرّ فِيهِ خَمْسَة عشر يَوْمًا أَو أَكثر من غير أَن يَتَّخِذهُ مسكناً، ووطن السُّكْنَى: وَهُوَ مَوضِع يَنْوِي فِيهِ الإقامة أقل من خَمْسَة عشر يَوْمًا ".[25]

---

[21] غالب بن علي بن غالب عواجي، (ولد في الحرث بجازان سنة 1367هـ - وتوفي 1438 هـ)، نشأ رحمه الله يتيما، فقد توفي أبوه ثم لحقت به أمه، وهو لا يزال طفلا، وله الكثير من الدراسات والكتب والأبحاث رحمه الله. يُنظر مقدمة كتاب: غالب بن علي عواجي، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، ط: الرابعة، 1442 هـ - 2001م، عدد الأجزاء: 3، (1/15-7).

[22] غالب بن علي عواجي، **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها**، المكتبة العصرية الذهبية-جدة، ط: الأولى 1427هـ-2006م، (2 / 982).

[23] الجرجاني، التعريفات، (1 / 253).

[24] القاضي عبد النبي بن عبد الرسول بن أبي محمد بن عبد الوارث العثماني الأحمد نكري أحد العلماء المشهورين، ولد ونشأ بأحمد نكر وقرأ المختصرات على أبيه، له كتاب الأنموذج المسمى بالتحقيقات، وسيف المبتدين في قتل المغرورين لم نعثر على سنة وفاته، وقد تم تأليف كتابه دستور العلماء في سنة 1183 هـ. يُنظر: محمد حفظ الرحمن بن محب الرحمن الكُمِلَّائي، **البدور المضية في تراجم الحنفية**، الناشر: دار الصالح (القاهرة - مصر)، مكتبة شيخ الإسلام (دكا - بنجلاديش)، ط: الثانية، 1439 هـ - 2018 م، عدد الأجزاء: 23 (آخر 2 فهارس)، (80/12).

[25] عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفي: ق 12هـ)، **دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، ت: عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، ط: الأولى، 1421هـ - 2000م، عدد الأجزاء: 4، باب الواو مع القاف، (3/ 317).

وبسط الكلام القاضي الفاروقي الحنفي[26] بقوله:

الوطن عند أهل الشرع أنواع:

"الأول الوطن الأصلي: ويسمّى بالأهلي ووطن الفطرة والقرار أيضا، وهو أن يكون مولده ومأهله ومنشأه، والثاني وطن الإقامة: ويسمّى أيضاً بوطن السّفر والوطن المستعار والحادث، وهو ما خرج إليه بنية إقامة نصف شهر، والثالث وطن السّكنى: وهو ما ينوي فيه الإقامة أقل من نصف شهر ".[27]

ووافقه في هذا التقسيم والتعريف صاحب معجم محيط المحيط بطرس البستاني[28].

وقال صاحب تكملة المعاجم العربية: "الوطن الأصلي، ويسمى أيضاً بالأهلي ووطن الفطرة والقرار".[29]

وقال صاحب التعريفات الفقهية: "الوَطَن الأصلي: ويسمى بالأهليّ ووطن الفطرة هو مولد الرجل وكذا البلد الذي هو فيه، وُلد فيه أو لم يُولد، ولكن قصد التعيش فيه لا الارتحال عنه ، ووَطَن الإقامة: هو موضعُ ينوي أن يستقرَّ فيه خمسةَ عشرَ يوماً أو أكثرَ، من غير أن يتَّخذها مسكناً ووطناً أصليّاً، ووطَن السُّكنى: هو ما ينوي فيه الإقامة أقلَّ من نصف شهر".[30]

---

[26] هو محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التَّهَانَوي (٠٠٠ - بعد 1158 هـ = ٠٠٠ - بعد 1745 م) باحث هندي، له كتاب كشاف اصطلاحات الفنون، وكتاب سبق الغايات في نسق الآيات. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (295/6).

[27] يُنظر: محمد بن علي بن محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفي: بعد 1158هـ)، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، ت: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط: الأولى - 1996م.، عدد الأجزاء: 2.، باب حرف الهاء، (2 / 1800).

[28] بطرس البستاني (المولود سنة 1234 هـ - والمتوفى سنة 1300 هـ)، وهو أديب لبناني من أعظم أركان النهضة العربية، أول من أنشأ مجلة هادفة سامية، هي دائرة معارف البستاني، كما ألف معجم محيط المحيط، وهو أول قاموس عصري في اللغة العربية. يُنظر: أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، **أعلام وأقزام في ميزان الإسلام**، الناشر: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة – السعودية، ط: الأولى، 1424 هـ - 2004 م، عدد الأجزاء: 2، (474/1).

[29] رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفي: 1300هـ)، **تكملة المعاجم العربية**، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ 1 - 8: محمَّد سَليم النعَيمي جـ 9، 10: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة و**الأعلام**، الجمهورية العراقية، ط: الأولى، من 1979 - 2000 م، عدد الأجزاء: 11، باب بلد، (11 / 82).

[30] محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، **التعريفات الفقهية**، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ - 1986م)، ط: الأولى، 1424هـ - 2003م، عدد الأجزاء: 1، باب الوقص، (1 / 238).

يتبيّن مما سبق الفرق بين الوطن الأصلي والإقامة والسكنى فالوطن الأصلي: هو الوطن الفطري الذي ينتسب إليه الإنسان ويشعر بالانتماء له، ولد وعاش فيه مع أهله وذريته، ولا نية له للتحول إلى غيره، وأما عن الإقامة: فالمراد فيها الإقامة التي تفوق خمسة عشر يوماً في أغلب الأقوال والشهر في بعضه، وتكون هذه الإقامة لا على سبيل التأبيد والاستقرار، وإنّما على نحو التوقيت والتحديد، والسكنى: ما نوى فيه الإنسان الإقامة البسيطة التي تساوي قصر المسافر من أيام وليال والذي عليه العمل، أن الإنسان إذا أقام في بلد أقل من خمسة عشر يوماً، كان ذلك ذاك الموطن هو موطن سكنى لا إقامة.

أمّا الفرق بين الدار والبلد فقد كتب محمد رشيد في تفسيره المنار عند قوله تعالى: "{ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ }31، قال: " دَارُ الرَّجُلِ مَا يَسْكُنُهُ هُوَ وَأَهْلُهُ " مُؤَنَّثَةٌ " وَتَكُونُ مُشْتَمِلَةً عَلَى عِدَّةِ بُيُوتٍ، وَالْبَلَدُ دَارٌ لِأَهْلِهِ، وَدَارُ الْإِسْلَامِ الْوَطَنُ الَّذِي تُنَفَّذُ فِيهِ شَرَائِعُهُ وَهِيَ دَارُ الْعَدْلِ الَّذِي يُقِيمُهُ الْحَقُّ، وَيُقَابِلُهَا دَارُ الْكُفْرِ وَدَارُ الْحَرْبِ".32

وفرق محمد رشيد بين الدّار والبلد باعتبار أنّ الدّار أعم من البلد، فالدار هي ما يسكنه الرجل وكذلك أهله ويكون فيها عدد من البيوت، أمّا البلد فهو معنى خاص بدار أهله فقط دون داره، والمعنى العام لمفهوم دار الإسلام هو الوطن في أي بقعة على وجه الأرض أقيمت فيه الحدود والطاعات وساد فيه العدل والسلطان.

المبحث الثاني: الوطن في السنّة النبويّة

1- روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه لَمَّا قَدِمَ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم المَدِينَةَ، وُعِكَ أبو بَكْرٍ وبِلَالٌ، فَكانَ أبو بَكْرٍ إذَا أخَذَتْهُ الحُمَّى يقولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ في أهْلِهِ **** والمَوْتُ أدْنَى مِن شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكانَ بلَالٌ إذَا أُقْلِعَ عنْه الحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ يقولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هلْ أبِيتَنَّ لَيْلَةً **** بوَادٍ وحَوْلِي إذْخِرٌ وجَلِيلُ

وَهلْ أرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ **** وهلْ يَبْدُوَنْ لي شَامة وطَفِيلُ

---

31 {الأعراف – 91}.

32 محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفي: 1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م، عدد الأجزاء: 12 جزءا، (8 / 451).

قال: "اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيبةَ بنَ رَبِيعَةَ، وعُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ، وأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ كما أخْرَجُونَا مِن أرْضِنَا إلى أرْضِ الوَبَاءِ، ثُمَّ قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أوْ أشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا في صَاعِنَا وفي مُدِّنَا، وصَحِّحْهَا لَنَا، وانْقُلْ حُمَّاهَا إلى الجُحْفَةِ".[33]

ومن هذا الحديث العظيم يظهر لنا حب الصحابة الكرام لوطنهم وتعلقهم بأرضهم، وهذا الفهم العميق مستمدٌ من مشكاة الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم، ولعلّ هذا الخبر مهّد أمام الصحابة استذكار النِعم التي عاشوا فيها في ديارهم والفضل الواسع الذي كان يغمرهم، إذ في بداية المحن التي أصابتهم استرجعوا ماضي ديارهم وطيب أرضهم وحنان أهلهم، ولم ينسوا بالطبع الدعاء على من كان سبباً في شتاتهم وفراقهم لأوطانهم.

قال العيني: "وبَيَان الخبر أَنّ الله لما ابتلى نبيه، بِالْهِجْرَةِ وفراق الوطن ابتلى أَصْحَابه بالأمراض، فَتكلم كل إِنْسَان بِمَا فِيهِ، فَأَما أَبُو بكر فَتكلم بِأَن الْمَوْت شَامِل لِلْخلقِ فِي الصَّباح والمساء، وَأما بِلَال فتمنى الرُّجُوع إِلَى وَطنه".[34]

2- وروى البخاري في صحيحه وبسنده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ يقولُ لِلْمَرِيضِ: "بسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أرْضِنَا، بريقَة بَعْضِنَا، يُشْفى سَقِيمُنَا، بإذْنِ رَبِّنَا".[35]

---

[33] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة، ط: 1، 2001 م - 1422هـ، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، (5 / 66)، رقم الحديث 3926؛ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفي: 261هـ)، **صحيح مسلم**، كتاب الجح، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، ط: 1، 2001 م - 1422هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، (4 / 118)، رقم الحديث 1376؛ مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفي: 179هـ)، **الموطأ**، كتاب الجامع، باب ما جاء في وباء المدينة، ط: 1، 1425 هـ - 2004 م، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، ت: محمد مصطفى الأعظمي، (3 / 667)، رقم الحديث 3318؛ أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله (المتوفي: 241هـ)، **مسند أحمد بن حنبل**، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، ط: 1، 1421 هـ - 2001 م، مؤسسة الرسالة، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف د عبد الله بن عبد المحسن التركي، (40 / 419)، رقم الحديث 24360.

[34] محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني أبو محمد (المتوفي: 855هـ)، عمدة القاري شرح **صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د ط، د ت، (10 / 251).

[35] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الطب - باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم، (7 / 133)، رقم الحديث 5749؛ مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب السلام – باب استجابة الرقية، (7 / 17)، رقم الحديث 2194؛ ابن حنبل، **مسند أحمد**، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، (41 / 164)، رقم الحديث 24617.

لقد علم النّاس قديماً أن تربة الوطن معجونة ممزوجة بريق أبنائه، تشفي الجراح وتداوي القروح، ليتحقق في ذلك الرابط المتين بين تربة الوطن وقلوب أربابه رابطاً أساسه الوفاء والإخلاص، إذ كانت استجابة الصحابة والسلف آنذاك لا تعتمد على التعليل الطبي والأسباب العلمية، بل كانت استجابة شرع وافق فطرة المرء وميل قلبه ومحبته، ولو أنصف المصنفون لوضعوا هذا الحديث في باب حب الوطن لا في باب الرقى والطب، فهو في باب الحب أقرب وأوجز وأبلغ.

قال البيضاوي: "وقَدْ شَهِدَتِ الْمَبَاحِثُ الطِّبِيَّةُ عَلَى أَنَّ لِلرِّيقِ مُدْخَلًا فِي النُّضْجِ وَتَعْدِيلِ الْمِزَاجِ وَتُرَابُ الوطن لَهُ تَأْثِيرٌ فِي حِفْظِ الْمِزَاجِ وَدَفْعِ الضَّرَرِ فَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُسَافِرِ أَنْ يَسْتَصْحِبَ تُرَابَ أَرْضِهِ إِنْ عَجَزَ عَنِ اسْتِصْحَابِ مَائِهَا حَتَّى إِذَا وَرَدَ الْمِيَاهَ الْمُخْتَلِفَةَ جَعَلَ شَيْئًا مِنْهُ فِي سِقَائِهِ لِيَأْمَنَ مَضَرَّةَ ذَلِكَ".[36]

وكان من عادة العرب قديماً إذا سافرت أن تحمل معها من تربة بلدها وتحفظه فتستشفي بها إذا حلّ بهم عارض، وقرر هذا قول رجل من بني ضبة:

" نسير على علم بكنه مسيرنا **** وعدة زَاد فِي فنَاء المزاود

ونحمل فِي الْأَسْفَار مِنْهَا قبيضة **** من المنتأى النائي لحب الموالد "[37]

ومن جميل ما وقفتُ عليه أيضاً في هذا الصدد: " أن الْإِسْكَنْدَر أوصى إِذا مَاتَ أَن يحمل إِلَى بَلَده حباً لوطنه.

واعتل اسفنديار فِي بعض غَزَوَاته فَقيل لَهُ: مَا تشْتَهي؟ قَالَ: شمّة من تربة بَلخ، وشربة من مَاء واديها".[38]

---

[36] أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة – بيروت 1960 م – 1379هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، د ط، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، (10 / 208).

[37] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفي: 597هـ)، **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، دار الوطن – الرياض، د ط، ت: علي حسين البواب، (4 / 369).

[38] المصدر السابق

3- وروى البخاري في صحيحه وبسنده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حديث بدء الوحي أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم جاء إلى ورقة بن نوفل فأخْبَرَهُ ما رَأى، فَقالَ ورَقَةُ: هذا النَّامُوسُ الذي أُنْزِلَ علَى مُوسَى، يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ فَقالَ ورَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا". [39]

لم يكن سهلاً وقع الكلام على الحبيب الأعظم في حواره مع ورقة بن نوفل، ما إن قال له أنّه سيُخرج من دياره تحركت أشجانه صلى الله عليه وسلم لبلاده حباً وحرقة بسؤاله: أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ، وكيف لا تتحرك أشجانه صلى الله عليه وسلم ومكة حرم الله، وجوار بيته، وبلد أبيه إسماعيل، ومجمع المسلمين، وفيها خيار العرب نسباً وشرفاً وعزاً، ودلالة تحرك النفس وشوقها يظهر في إدخال الواو بعد الألف بقوله صلى الله عليه وسلم أوَ مُخْرِجِيَّ، على اعتبار أن الواو تُرَدّ الى الكلام المتقدم وتُنمي للمخاطب بأنه استفهام استنكار وتفجع وألم قد أصاب صاحبه. قال السهيلي[40]: " فِي هَذَا الخبر دَلِيلٌ عَلَى حُبِّ الوطن وَشِدَّةِ مُفَارَقَتِهِ عَلَى النَّفْسِ فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ «لَتُكَذِّبَنَّهُ» فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ «وَلَتُؤْذِيَنَّهُ» فَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ «وَلَتُخْرِجَنَّهُ»، فَقَالَ أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ "[41] "وقد أقر أبو شامة هذا الاستنباط البديع للسهلي ونقله عنه".[42]

---

[39] البخاري، **صحيح البخاري**، بدء الوحي - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (1 / 7)، رقم الحديث 3؛ مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان – باب بدء الوحي، (1 / 97)، رقم الحديث 160؛ ابن حنبل، **مسند أحمد**، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، (43 / 52)، رقم الحديث 25865.

[40] أبو القاسم السهيلي هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن، (ولد سنة 508هـ في مالقة، توفي في مراكش سنة 581)، وهو محدث فقيه نحوي أصولي له تصانيف كثيرة من أهمها كتاب الرّوض الأنف، والسهيلي سمي بهذا اللقب نسبة إلى قرية من القرب من مالقة في الأندلس اسمها سهيل. يُنظر: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، **طبقات الحفاظ**، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1403، د ت، عدد الصفحات: 553، (صـ 481).

[41] زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي أبو الفضل (المتوفي: 806هـ)، **طرح التثريب في شرح التقريب** (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)، ط المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي)، د ت، (4 / 196).

[42] شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي أبو القاسم المعروف بأبي شامة (المتوفي: 665هـ)، **شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى**، مكتبة العمرين العلمية - الشارقة/ الإمارات، ط: 1، 1420هـ /1999 م، ت: جمال عزون، (1 / 163).

4- وروى الترمذي في سننه قول رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لمكَّةَ: "ما أطيبَكِ من بلدٍ وأحبَّكِ إليَّ، ولولا أنَّ قومي أخرجوني منكِ ما سَكَنتُ غيرَكِ ".[43]

كان يرجو النبي صلى الله عليه وسلم أن يعود إلى دياره لما لاقى من لظى الأشواق وحال فراق الأوطان، إذ كان قد خرج من أمّ القرى خائفاً يترقب مهاجراً محتسباً مع صحبه الكرام، ليمكث بعيداً عن دياره ثماني سنين معلماً وداعياً ومجاهداً ليعمل ليل نهار لدعوة قومه وهدايتهم ودخول الأرض المباركة في ظل أرض الإسلام، عاش خلالها الوجع والألم، ومع ذلك لم يكن لينسى بقاع أرضه التي نشأ فيها، يدعو الله في كل يوم وهو يترقب عوداً كريماً حتى كتب الله له، ليبين لنا النبي صلى الله عليه وسلم من هذه التجربة وبدلالة واضحة أنّ المسلم مهما طال فراقه لأرضه ظلماً وجوراً فإنّ الله قادرٌ على نصره وتمكينه إذا شمّر عن ساعد العمل وأخذ بالعزيمة ليعود إلى وطنه عزيزاً.

5- وروى مسلم في صحيحه وبسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ نَاقَتَهُ، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكها ". [44]

كحاله صلى الله عليه وسلم ووفائه العظيم وشوقه الكبير وذوقه الرفيع، بيّن لنا الحديث بعضاً من أشواقه صلى الله عليه وسلم التي عايشها أصحابه، فكان إذ ظهرت له عتبات المدينة المنورة التي أنارت به أسرع لاستقبالها ولقاء أهلها حبّاً وشوقاً لها ولتعلق فؤاده بأرضها.

قال ابن بطال في شرحه للصحيح: "واحتُج من فضل المدينة بقوله: (حرَّكَها من حُبِّها) يريد من حبه للمدينة، قال: فقد خصها الله بفضائل كثيرة منها: أن الله اختارها دارًا لنبيه أفضل خلقه، وجعلها منزل وحيه، وحباها بقبره، ومنها نشر الله دينه وبَلَّغ شريعته، إلى ما لا يحصى من فضائلها، وتعجيل سيره (صلى الله عليه وسلم) إذا نظر إليها من أجل أنّ قرب الدار يجدد الشوق للأحبة والأهل، ويؤكد الحنين إلى الوطن، وفي رسول الله الأسوة الحسنّة".[45]

---

[43] محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفي: 279هـ)، **سنن الترمذي**، أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في فضل مكة، ط: 2، 1395 هـ- 1975 م، ت: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، (6 / 208)، رقم الحديث 3926.

[44] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحج – باب فضل المدينة، (4 / 116)، رقم الحديث 1373. الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب الدعوات عن رسول الله– باب إذا رأى الباكورة من الثمر، (449/5)، رقم الحديث 3454.

[45] علي بن خلف بن عبد الملك أبو الحسن المعروف بابن بطال (المتوفي: 449هـ)، **شرح صحيح البخاري لابن بطال**، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط: 2، 1423هـ - 2003م، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (4 / 555).

6- وروى أبو داود في سننه وبسنده إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " قفلة كغزوة ".[46]

إن من المقرر في شريعتنا الغراء أن الجهاد هو سنام الإسلام وملاكه، وهو فرضٌ ماضٍ في الأمّة لا يضره جور جائرٍ ولا قهرُ ظالم، وللمجاهد في الكتاب والسنّة ما هو معلومٌ من الأجر العظيم، أمّا إشارة النبي صلى الله عليه وسلم في الخبر بقوله قفلة كغزوة إشارةٌ عظيمةٌ جداً لأجر من فارق وطنه ومن ثم عاد إليه، لما ذاق من حرقة أرضه أولاً وفراق أهل مودته ثانياً وشتات التغيرات عليه أخيراً، فما أجمل هذا الوصف اللطيف في حب الأوطان ومقارنته بجانب عظيم من أركان الإسلام.

قال الخطابي: "وفي الخبر وجه أن يكون أراد به القفول عن الغزو والرجوع إلى الوطن يقول إن أجر المجاهد في انصرافه إلى أهله كأجره في إقباله إلى الجهاد وذلك لأن تجهيز الغازي يضر بأهله وفي قفوله إليهم إزالة الضرر عنهم واستجمام للنفس واستعداد بالقوة للعود".[47]

7- وروى البخاري في صحيحه أن النّاس كانوا إذا رأوا أوّل الثّمر جاؤوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالَ: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا في ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا في مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا في صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا في مُدِّنَا، اللَّهُمَّ إنَّ إبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وإنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وإنَّه دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وإنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ ما دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ معهُ، قالَ: ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ له فيُعْطِيهِ ذلكَ الثَّمَرَ".[48]

في أحوال النّاس اليوم من إذا أحب شيئاً دافع عنه وتمنى أن يكون في أحسن أحواله وأجمل أوصافه، وما يملك المسلم إلّا الدعاء بقلبٍ صادق لمن أحب، فكان الصحابة الكرام رضوانُ الله عليهم يأخذون ثمر المدينة فرحاً للحبيب الأعظم، والنبي يأخذه ويرفع يديه داعياً رب

---

[46] أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفي: 275هـ)، **سنن أبي داود**، كتاب الجهاد – باب في فصل القفل في سبيل الله، ط: 1، 1430 هـ - 2009 م، دار الرسالة، ت: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، (3 / 11)، رقم الحديث 2487؛ ابن حنبل، **مسند أحمد**، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، (11 / 198)، رقم الحديث 6625.

[47] أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي أبو سليمان (المتوفي: 388هـ)، **معالم السنن**، وهو شرح **سنن أبي داود**، ط: 1 1351 هـ - 1932 م، د ت، المطبعة العلمية – حلب، (2 / 237).

[48] البخاري، **صحيح البخاري**، أبواب العمرة- باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة، (3 / 7)، رقم الحديث 1802؛ الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب منه، (5 / 439)، رقم الحديث 3441؛ ابن حنبل، **مسند أحمد**، مسند أنس بت مالك رضي الله عنه، (20 / 71)، رقم الحديث 12619.

الأرباب أن يبارك بمنبت الأرض والزرع وأن يجعل الأرض طيبةً مباركة لكلِ من نزل بها وسكن في حناياها، فهل في حب الوطن أبلغُ من هذا الفعل؟!.

قال ابن لاشين[49]: "لئن كانت مكة أحب البلاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتبارها مولده ونشأته ووطنه الأول إلا أن المدينة آوته ونصرته ونشرت دينه، وكان فيها ومنها ربيع الإسلام، رجع إليها صلى الله عليه وسلم بحنان ورغبة صادقة وحب أكيد بعد فتح مكة، وكانت مكافأته لهذه البلدة الكريمة أن دعا ربه لها أن يجعلها حراماً كمكة، فقال صلى الله عليه وسلم: اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة، ومثله معه. اللهم بارك لأهل المدينة في مدينتهم ومكيالهم وموازينهم ومقاييسهم وجميع مقاديرهم، بركة مع بركة. فأجاب الله دعاءه ".[50]

8- وروى أحمد في مسنده وبسند إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا".[51]

حث النبي المصطفى النّاس لاغتنام أوقاتهم وحفظ أعمالهم وإعمار أوطانهم وجمع ذلك كله في حديث أنس رضي الله عنه، فإن إعمار الأرض حياة للقلوب واستقرار للنفوس، فنحن قومٌ بلغتنا الأرضُ اليوم عزيزةً كريمةً بدفاع أسلافنا عنها وما بذلوه من دماء نفيسة على أسوارها سعياً منهم لإعمارها وإعلاء كلمة التوحيد فيها ورفع منار الإسلام عالياً في سمائها.

قال ابن الأمير[52]: "والحاصل أنه مبالغة وحث على غرس الأشجار وحفر الأنهار لتبقى

---

[49] موسى شاهين لاشين، الملقب بموسى لاشين (ولد في أسنيت سنة 1338هـ - 1430 هـ)، حاصل على دكتوراه في التفسير والحديث من كلية أصول الدين عام 1965م، شغل منصب عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ومجمع البحوث الإسلامية والمركز الدولي للسيرة والسنة بوزارة الأوقاف المصرية. يُنظر، تاريخ الوصول 2022/09/01. https://www.shamela.ws/index.php/author/2282

[50] موسى شاهين لاشين حفظه الله، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، ط: 1، 1423 هـ - 2002 م، دار الشروق، (5 / 445).

[51] ابن حنبل، **مسند أحمد**، مسند أنس بت مالك رضي الله عنه، (20 / 296)، رقم الحديث 12981.

[52] الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (ولد بكحلان سنة 1099 هـ - توفي بصنعاء سنة 1182 هـ) يعتبر ابن الأمير من أئمة اليمن الأعلام المتأخرين، له مصنفات كثيرة، منها: سبل السلام، شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (38/6).

هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعلوم عند خالقها، فكما غرس غيرك ما شبعت به فاغرس لمن يجيء بعدك".[53]

وفيما سبق من أخبارٍ ونقلٍ لشُرّاح الحديث، دلالةٌ قويةٌ أنّ السنّة النبويّة قد أولت الأرض والوطن اهتماماً عظيماً وقيمة رفيعة، فالسنّة النبويّة وعلى اعتبارها وحيٌ من عند الله تعالى لم تكن لتكتفي بتفصيل العبادات والأحكام والأخلاق وغيرها، بل امتدت لبناء شخصية الإنسان المسلم على حدّ الكمال والتمام، بناء تكامل وتعاض، لتكون نواة المجتمع متينه قوية راسخة كالجبال الراسيات، تحفظ الأرض في القلوب كما تحفظ النفس في الصدور.

الـمَبْـحـَـثُ الثالث: الوطن عند العلماء

الـمطلب الأول: الوطن عند المحدّثين

بعد أن بيّنا آنفاً في الفصل السابق قيمة الوطن في السنّة النبويّة لابدّ لنا أن ننتقل من جانب السرد النظري إلى جانب التطبيق العملي في نقل أحوال أهل العلم ممن تأثروا بحب أوطانهم، كيف غيّرت أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في أحوالهم ومجريات حياتهم، فوجدتُ الكثير في هذا الصدد مما لا يسعني ذكره، وسأكتفي بذكر مقتطفات مهمّة من هذه المواقف الجلية.

قال محمد بن إسحاق السراج[54]: "وا أسفا على بغداد، فقيل له: ما الذي حملك على الخروج منها؟ قال: أقام بها أخي إسماعيل 50 سنّة، فلما توفي ورفعت جنازته، سمعت رجلا على باب الدرب، يقول لآخر: من هذا الميت؟ قال: غريب كان هاهنا، فقلت: إنّا لله، بعد طول مقام أخي بها واشتهاره بالعلم والتجارة، يُقال: غريب كان هاهنا، فحملتني هذه الكلمة على الانصراف إلى الوطن"[55]

---

[53] محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفي: 1182هـ)، **التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ**، ط: 1432 هـ - 2011 م، مكتبة دار السلام الرياض، ت: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، (4 / 241).

[54] أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران الخراساني السراج الثقفي أحد رواة الحديث النبوي، ولد سنة 216 هـ. سمع من كبار المحدثين أمثال إسحاق بن راهويه وقتيبة بن سعيد، وحدّث عنه كبار المحدثين أيضاً أمثال البخاري، ومسلم بن الحجاج، أبو حاتم الرازي. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (29/6).

[55] أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي أبو بكر(المتوفي: 463هـ)، **تاريخ بغداد**، ط: 1، 1422هـ - 2002 م، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ت: بشار عواد معروف، (7 / 284).

ووقفت كذلك على كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة الذي ألّفه لسان الدين بن الخطيب[56] وهذا الكتاب أشهر وأضخم مؤلّفاته رحمه الله التي زادت على السّتّين، وقد استهلّه بمقدّمة مُسجّعة رائعة في بابها جميلة فريدة بمدادها بدأها بالحمد والثّناء، ثم انتقل إلى ذكر السبب الذي دعاه إلى كتابته:" هو أن بعض المصنّفين أفرد لوطنه تاريخا، كتاريخ مدينة بخارى لمحمد بن أحمد بن سليمان الفخار، وتاريخ بغداد للخطيب أبي بكر أحمد بن علي البغدادي، وتاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر، وتاريخ مصر لعبد الرحمن بن أحمد بن نواس، وتاريخ مالقة لأبي عبد الله بن عسكر، فداخلته عصبية حبّ الوطن، فأقدم على كتابة تاريخٍ لوطنه غرناطة".[57]

ومما تعلّمناه قديماً أنّ من البيان لسحراً، ولكن لم أكن لأتيقن حقيقة ذلك إلّا بعد قراءتي لقصة "قتيل الوطن" وهي على ما ساقه الحفاظ أنّ أَحمد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن مُغفل أَبُو مُحَمَّد المزني المغفلي الهروي[58] أقام مجلس إملاءٍ حديثي جليل، في حب الوطن وافتدائه بالنفس، ومرض عقبه وتوفي بعد جمعة فلقب رحمه الله بقتيل الوطن، وكان إماماً محدّثاً حافظاً، بل كان شيخاً لمحدّثي زمانه، وكان له سابقةُ الفضل ومعيةَ العونِ في جهود وأعمال المحدّثين في تأصيل قيمة الوطن، حتى أصبح انعقاد مجالس الحديث في فضائل الوطن وحبه ديدن بعض العلماء، لتنطق المجالس الحديثية بهذه القيمة العليا، وتساق لها الأحاديث والمرويات والأسانيد، وتكتب طباق السماع، وتستنسخ الأجراء الحديثية، معربة عن حب الوطن، وكان أَبُو مُحَمَّد المزني يُلقب بالباز الْأَبْيَض.

ومن شعر الجليل:

---

[56] هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد السّلماني الخطيب الشهير لسان الدين ابن الخطيب ولقب ذو الوزارتين وذو العمرين وذو الميتين، (ولد في لوشة 25 رجب 713 هـ - ومات في فاس 776 هـ) اشتهر بعلمه في الأندلس رحمه الله فكان عالماً وشاعراً وكاتباً وله عناية في الطب والفلسفة وكان فقيهاً مالكياً، اشتهرت قصيدته "جادك الغيث" وغيرها. قضى معظم حياته في غرناطة في خدمة بلاط محمد الخامس، وجدران قصر غرناطة شاهدة على أشعاره حتى اليوم. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (235/6).

[57] محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل الغرناطي الأندلسي أبو عبد الله الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفي: 776هـ)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط: 1، 2003 م - 1424 هـ، و د ت، دار الكتب العلمية_ بيروت، (1 / 3).

[58] هو المحدث أبو محمد أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن بشر بن مغفل بن حسان بن صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن مغفل المزني المغفلي الهروي، الملقب بالباز الأبيض (ولد سنة 270 هـ، وتوفي سنة 356 هـ). يُنظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، **سير أعلام النبلاء**، الناشر: دار الحديث- القاهرة، ط: 1427هـ-2006م، عدد الأجزاء: 18، (12 / 243).

نزلنا مكرهين بها فلما **** ألفناها خرجنا مكرهينا

وما حب الديار بنا ولكن **** أمر العيش فرقة من هوينا [59]

وها هو القاسم أبو حاتم السجستاني البصري[60] ألّف كتاباً سمّاه كتاب الشوق إلى الوطن وهو من أهل البصرة ويعتبر من كبار أهل العلم، له نيف وثلاثون كتاباً لعلّ أجودها كتاب الشوق للوطن.

وروي بالسند إلى اسحاق بن إبراهيم الموصلي قوله: "جلست مع الواثق في الزلال[61] نريد النجف، فلما أخذت المجازف الزلال ذكرتُ الوطنَ فتنفستُ الصّعداء، فقال لي: يا أبا اسحاق تنفستَ الصعداء وأنت معي؟! فقلت: يا أمير المؤمنين أنشدك بيتين فإن عذرتني، وإلّا فهذا الماء فاقذفني فيه ثم أنشدته:

حننت الى أصيبية صغار **** وهاج لي الهوى قرب المزار

وأبرح ما يكون الشوق يوما **** إذا دنت الديار من الديار

قال: فاستحسنها وأمر لي بعشرة آلاف درهم. "[62]

فحنين الوطن عند اسحاق أنساه هيبته وسطوته وجبروته، لينطلق لسانه معبّراً عمّا في قلبه، وتتأثر جوارحه بما يدُور في جوانح صدره، وحُقّ له ذلك، فما عزّنا بغير أرضنا، وما حياتنا بدون تراب منبتنا.

ومن أبيات الحنين الرائعة التي سطّرها بمداد الدمع قبل القلم ورسّخها ترنم القلب قبل اهتزاز الصوت ما كتبه علي بن منصور بن خليل الطبري:

---

[59] تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفي: 771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، ط: 2، 1992 م _ 1413هـ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ت: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، (3 / 18).

[60] هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي السجستاني ثم البصري (توفي سنة 248) وهو مقرئ نحوي لغوي فارسي، نكان إماماً في علوم الآداب، وعنه أخذ علماء عصره كأبي بكر محمد بن دريد والمبرد وابن قتيبة الدينوري وغيرهم، صلى عليه حين وفاته سليمان بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، وكان والي البصرة يومئذ، ودفن بسرة المصلى. يُنظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ت: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الأولى 1994، عدد الأجزاء: 7 (430/2).

[61] وهو الزورق الذي ينقل عابر النهر من ضفة لأخرى، أو البحر من مكان لآخر.

[62] عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفي: 660هـ)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، د ط، د ت، دار الفكر، عدد الأجزاء: 12، (3 / 1425).

"من للمحب الغريب النازح الوطن *** أمسى قتيل الجوى والهم والحزن

يُعدّ حياً إذا ما عُدّ تسمية **** وفي الحقيقة ميّتٌ غير مدفن

إن الذي لا أسميه وأكنفه **** خوف الوشاة فدته النفس من سكن

لو شاء فرّج عني ما بليت به *** فعاد روحي كما قد كان في بدني "[63]

وقال ابن زيدون[64] في رقعةٍ خاطب بها ابن جهور[65] من موضع اعتقاله يقول فيها: "إنّ الرجل أينما توجه ورد أعذب منهل، وحط في جناب قبول، وضُوحك قبل إنزال رحله، وأُعطي حكم الصبي على أهله، وقِيل له أهلاً وسهلاً ومرحباً... فهذا مبيت صالح وصديق، غير أن الوطن محبوب، والمنشأ مألوف، واللبيب يحنّ إلى وطنه، حنين النجيب إلى عطنه، والكريم لا يجفو أرضاً بها قوابله، ولا ينسى بلداً فيه مراضعه".[66]

وفي قوله رحمه الله من بيان المحبة والعشق للوطن ما يظهر عند كل لبيب، فوالله إن الوطن لمحبوب، والمنبتَ مألوف، والفطن من حنّ إلى وطنه حنين النجيب الكريم.

ومما ذكره أهل الأثار وتناقله جماعة الحفاظ في بيان أهمّية الأرض لأبنائها وحاجتهم لها ما بلغنا بالسند في تاريخ الأندلس عن محمد بن عبد الله بن الحكم[67]، إذ قال: "لَم يقْدم عَلَيْنا من

---

[63] أحمد بن عمران المرزباني المعروف بأبي عبيد الله (المتوفي: 384 هـ)، **معجم الشعراء**، ط: 2، 1402 هـ - 1982 م، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ت: الأستاذ ف. كرنكو، (1 / 293).

[64] هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أحمد بن غالب بن زيد المخزومي المعروف بابن زيدون (ولد بالرصافة في ضواحي قرطبة سنة 394هـ - وتوفي في سنة 463 هـ) وهو شاعر أندلسي، برع بالشعر كما برع في فنون النثر، ويعتبر من أبرز شعراء الأندلس المبدعين وأجملهم شعرًا وأدقهم وصفًا وأصفاهم خيالا، كما تميزت كتاباته النثرية بالجودة والبلاغة، وتعد رسائله من عيون الأدب العربي وأكثرها أهمية ودراسة. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (185/1).

[65] أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن يوسف بن بخت بن أبي عبدة، (ولد سنة 364 هـ المتوفي في المحرم 435 هـ)، وهو واحد من أهم وزراء الدولة الأموية في الأندلس وأول حكام طائفة قرطبة. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (74/6).

[66] أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (المتوفي: 542هـ)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ط: 2 1401 ه - 1981 م، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ت: إحسان عباس، (1 / 343).

[67] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (ولد سنة 182 - وتوفي سنة 268هـ)، وهو الابن الثالث لعبد الله بن عبد الحكم، انتهت إليه رياسة العلم فكان فقيه عصره، ومفتي الديار المصرية، وإليه كانت الرحلة من المغرب والأندلس في العلم والفقه، ومن أبرز شيوخه عبد الله بن وهب، وابن أبي فُديك، وأشهب بن عبد العزيز، والشافعي. يُنظر: فؤاد سزكين، **تاريخ التراث العربي** (علوم القرآن والحديث - التدوين التاريخي - الفقه - العقائد)، نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، راجعه: د عرفة مصطفى - د سعيد عبد الرحيم، أعاد صنع الفهارس: د عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام النشر: 1411 هـ - 1991 م عدد الأجزاء: 4، (158/3).

الأنْدَلُس أحدٌ أعلَم من قاسِم بن مُحَمَّد، ولقد عاتَبْتُه في حين انصرَافه إلى الأنْدَلُس، فقُلتُ لهُ: أقِمْ عنْدنا فإنَّك تَعقِدُ هاهُنَا رياسَةً، ويَحْتَاجُ النّاس إليْك، فَقَال: لاَبُدّ لِي من الوطن".[68]

إنّ حاجة الرجل لوطنه مهمّة جداً في استقراره وإنجازه لما له فيه من مزايا تنعكس على من توطن منشأه مستقراً فيه بأمن وأمان ورخاء وسعة رزق وهدوء بال.

ومن الأشجان التي بثها أهل العلم في مجالسهم ومنها ما سطّروه في كتبهم قول الخازن[69]: "وَمَا الشَّأْن فِي هَذَا وَلَكِن الشَّأْن فِي عشر سِنِين فَاتَت بَين علم ينسى وغمّ لَا يُحْصى وإنفاق بِلَا ارتفاق وأسفار لم تسفر عَن طائل وَلم تغن عني ريش طَائِر وَبعد عَن الوطن على غير بُلُوغ الوطر".[70]

وبيّن أبو بكر مُحَمَّد بن داود[71] قيمة الوطن بما يلقاه من فارقه من أسى الغربة التي يسميها من عاش خضمها كربة ووحشة فقال: "من لم يشرب ماء الغربة، ولم يضع رأسه على ساعد الكربة، لم يعرف حق الوطن والتربة، ولم يعرف حق ذي العلم والشيبة". [72]

إنّ الإنصاف عزيز والاعتراف بالفضل وإسناده إلى أهله لهو من خير الأمور، فكم للأرض من فضلٍ عظيم وللدّين من فضلٍ قويم لما جعل من الضوابط والمقاصد لحفظ الوطن الذي يحفظ به المرء كرامته وكيانه ومعاشه ومماته.

ومهما تنقّل الإنسان بين الأمصار وزار البلدان وعاشر الإخوان فإن حنينه وقلبه سيميل لا مُحال لموطنه الأول فحكمة الله قضت ذلك منذ الأزل، ليدافع الإنسان عن أرضه ويتعلق بها ويذود

---

[68] عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي (المتوفي: 403هـ)، **تاريخ علماء الأندلس**، ط: 2، 1408 هـ - 1988 م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ت: السيد عزت العطار الحسيني، (1 / 398).

69 هو علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المعروف بالخازن، (ولد في بغداد سنة 678 هـ - وتوفي في حلب سنة 741 هـ)، وعُرف بالخازن لأنه كان أمينًا لمكتبة في دمشق. كان عالما بالتفسير والحديث، ومن فقهاء الشافعية. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (5/5).

[70] عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفي: 429هـ)، **يتمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ط: 1، 1403ه - -1983م، دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان، د ت، (3 / 379).

[71] أبو بكر محمد بن داود بن علي الفقيه الظاهري (ولد ببغداد سنة 255 هـ - وتوفي في بغداد سنة 297 هـ)، وهو ابن داود بن علي الظاهري، كان عالمًا بارعًا، إماما في الحديث، أديبا، شاعرا فقيها ماهرا، كان يلقب بعصفور الشوك لنحافته وصفرة لونه. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (120/6).

[72] أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي أبو بكر (المتوفي: 463هـ)، **تاريخ بغداد**، ط: 1، 1422هـ - 2002 م، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ت: بشار عواد معروف، (16 / 122).

عن حياضها ويجاهد في سبيلها، فيحيا كريماً عزيزاً في ظل الإسلام وحكم الملك الدّيان، ووددتُ أن اختم هذا المبحث بقصة أخذت لباب قلبي من جمالها وترداد بيت شعرها وهي قول الحافظ ابن رجب الحنبلي: "لمّا خُلق آدم (عليه السلام) أُسكن هو وزوجته الجنة، ثُم أُهبطا منها ووُعدا بالرجوع إليها، وصالح ذريتهما، فالمؤمن أبداً يحن إلى وطنه الأول، وحب الوطن من الإيمان، كما قيل:

كم منزل للمرء يألفهُ الفتى **** وحنينه أبدا لأول منزل".[73]

نالت عناية الوطن عند المحدثين مكاناً مهمّا وربما يعود ذلك لكثرة ترحالهم وطلبهم للعلم والحديث وشوقهم إلى ديارهم وأهلهم، والناظر في أخبار هؤلاء القوم يجد الوفاء العجيب عندهم ومحبتهم لموطنهم الأصلي، ونجد بمقارنة ذلك وفي نفس الميدان أن دينهم وقول الحق ونشر العلم عندهم أغلى وأعلى من أي شيء آخر، فلذلك هاجر البخاري وكذلك الثوري وغيرهم من الأئمة الأعلام من أجل الحفاظ على دينهم وعقيدتهم ورضى الله سبحانه وتعالى، فالوطن الحقيقي هو بقعة الأرض التي يقام فيها شرع الله تعالى ويطبق فيها سننه وتسطر فيها حدوده.

المطلب الثاني: الوطن في أقوال المُفَسِّرين

عبّر الفخر الرازي في ملمح لطيف في تفسير القران الكريم معبراً عن الوطن والحاجة إليه، وأنّه داع فطري شديد العمق في النفس؛ حيث أشار إليه في كتابه التفسير الكبير في خواتيم سورة الأنفال، عند تفسير قوله تعالى:{ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم }[74]، فقال: "{ وهاجروا } يعني: فارقوا الأوطان، وتركوا الأقارب والجيران في طلب مرضاة الله، ومعلوم أن هذه الحالة حالة شديدة، قال تعالى:{ ولو أنّا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم }[75]، جعل مفارقة الأوطان معادلة لقتل النفس" [76].

---

[73] زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفي: 795هـ)، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، ط: 7، 1422هـ - 2001م، مؤسسة الرسالة – بيروت، ت: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، (2 / 379).

[74] {الأنفال – 72}.

[75] {النساء – 66 }.

[76] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفي: 606هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة - 1420 هـ، (7 /552).

وسياق القرآن في قول الله تعالى من الآية السابقة يشير إلى مقابلة أعظم مشقتين كتبتا على الإنسان في هذه الدنيا، ولا شك أن المشقة العظيمة هي قتل النفس، ويكافئها ويساويها في العذاب والنزع فراق الوطن، ففراق الأوطان عند العقلاء والنجباء لا يمكن تصوره وهو أمرٌ عصيب، يعادل بذلك ألم قتل النفس، وبذلك نعلم أن التعلق بالوطن وحبّه هو أمر عميق في النفس شديد في الوجد.

وفي سياق متصل بتفسير الآية نفسها إذ شرع في تفسيرها وهبة الزحيلي[77] في قول الله تعالى: "**{** أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ **}**إشارة صريحة إلى تعلق النفوس البشرية ببلادها، وإلى أن حب الوطن متمكن في النفوس ومتعلقة به، لأن الله سبحانه جعل الخروج من الديار والأوطان معادلا ومقارنا قتل النفس، فكلا الأمرين عزيز، ولا يفرط أغلب النّاس بذرة من تراب الوطن مهما تعرضوا للمشاق والمتاعب والمضايقات".[78]

والذي سبق الفخر الرازي في ذكر هذا الملمح الطيب في فهم الآية الكريمة هو الجاحظ، حيث قال في رسالته الأوطان والبلدان: " ذكر الله تعالى الديار فخبر عن موقعها من قلوب عباده، فقال: **{** ولو أنا كتبنا عليهم أن أقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من ديركم ما فعلوه إلا قليل منهم **}** [79]، فسوى بين موقع قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم، وقال: **{** قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا **}**" [80]، فسوّى بين موقع الخروج من ديارهم وبين موقع هلاك أبنائهم ".[81]

ومن استنباطات المفسّرين كذلك قول ابن الجوزي أيضاً في كتابه تذكرة الأريب، عند تفسير قوله تعالى: "**{** وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فأقمت لهم الصلاة **}** [82]: ابتدأتها،**{** وليأخذوا **}**: يعني:

---

[77] وهبة بن مصطفى الزحيلي الدمشقي (ولد بريف دمشق سنة 1353 هـ - وتوفي في دمشق سنة 1436هـ)، ويعتبر من أبرز علماء أهل السنة والجماعة في العصر الحديث، شغل عضو المجامع الفقهية بصفة خبير في مكة وجدة والهند وأمريكا والسودان، حصل على جائزة أفضل شخصية إسلامية في حفل استقبال السنة الهجرية التي أقامته الحكومة الماليزية سنة 2008 في مدينة بوتراجاي.https://al-maktaba.org/author/1052 ينظر، تاريخ الوصول 2022/09/01.

[78] وهبة بن مصطفي الزحيلي، **التفسير الوسيط للزحيلي**، الناشر: دار الفكر – دمشق، ط: الأولى - 1422 هـ، عدد الأجزاء: 3 مجلدات في ترقيم مسلسل واحد، (1 / 342)

[79] {النساء – 66 }.

[80] {البقرة – 246 }.

[81] الجاحظ، **الأوطان والبلدان**، رسائل الجاحظ، ط: دار الجيل، بيروت، لبنان، ت: عبد السلام هارون، (112/4).

[82] {النساء – 102/103}.

الباقين، **{** فإذا سجدوا **}**: يعني: المصلين، **{** فليكونوا من ورائكم **}**: أي: فلينصرفوا إلى الحرس، **{** فإذا اطمأننتم **}**: عدتم إلى الوطن، **{** فأقيموا الصلاة **}** أي: أتموها، **{** كتابا موقوتا **}**: أي مفروضا "[83].

فجعل الله تعالى الاطمئنان شرطاً لإقامة الصلاة بتمامها، ولا يتحقق هذا الاطمئنان إلّا بالعودة للوطن والسكنى فيه، فكم للوطن من أهمّية وأولوية في اعتبارات الشرع وأقوال الفقهاء والمفسّرين والعلماء العاملين.

ومن هذ الملمح الذي وصل إليه ابن الجوزي بشفوف نظره ودقة فهمه في السياق القرآني والإعجاز البلاغي أن الاطمئنان المعبّر عنه في الذكر الحكيم والقول محكم التنزيل إشارة إلى رجوعهم إلى أوطانهم وديارهم، على اعتبار أن كل واحد منهم خرج من حال الخوف والحذر والفزع، وعاد إلى وطنه وبين أهله، ورفع الجرح والأسى عنه، وسكن خاطره وارتاح باله، فإذا كان القرآن الكريم يشير إلى ما وراء تلك المعاني فأعظم بها وأنعم إذ إنها تشتمل أسمى الأحوال وأطيبها في مضمار معاني الوطن.

ومن استنباطات المفسّرين أيضاً قول الملا علي القاري[84] في كتابه مرقاة المفاتيح، قال: " ومفارقة الأوطان المألوفة هي أشد البلاء، ومن ثم تابع بتفسير قوله تعالى: **{** والفتنة أشد من القتل**}** [85]، بالإخراج من الوطن؛ لأنه عقب بقوله: **{** وأخرجوهم من حيث أخرجوكم **}**[86] ".[87]

---

[83] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفي: 597هـ)، **تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)**، ت: طارق فتحي السيد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1425 هـ - 2004 م، عدد الأجزاء: 1، (1 / 71).

[84] هو نور الدين أبو الحسن علي بن سلطان محمد القاري، الهروي المكي، المعروف بملَّا علي القاري، (وُلد بهراة، وتوفي سنة 1014هـ)، وهو فقيه حنفي، من أبرز علماء أهل السنة والجماعة في العصر الحديث. يُنظر: نبيل بن محمد آل إسماعيل، **العناية بالقرآن الكريم وعلومه من بداية القرن الرابع الهجري إلى عصرنا الحاضر**، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، د ط، د ت، (صـ 29).

[85] {البقرة – 191 }.

[86] {البقرة – 191 }.

[87] علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفي: 1014هـ)، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1422هـ - 2002م، عدد الأجزاء: 9، (7 / 582).

ومن ثم فقد تبين لك أن كل آية تُظهر فضل الهجرة فإنها راجعة إلى هذا الأصل معتمدة عليه، وبيانه هو شدة الصبر ومغالبة النفس، على فراق ما تهوى النفس من وطن الآباء والأجداد، إيثاراً لمعنى من معانيه الشريفة، فكم لهذا المعنى من وقع، حتى تصبر النفس على تلك المشقة العظيمة لأجله.

وذكر الشنقيطي[88] في تفسيره أضواء البيان إخباراً عن أَعْظَمِ خَبَائِثِ قوم لوط وما فعلوه بنبيهم من تهديد وإخراج فقال: " كذبَّ القومُ نَبِيِّ اللَّهِ لُوطاً وهددوه بِالْإِخْرَاجِ مِنَ الوطن، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ:{ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ }[89] .[90]

وأشار المنياوي[91] الى قوله تَعَالَى فِي سُورَةِ «مَرْيَم» بقوله عن حال سيدنا لوط: إِلَى أَنَّهُ لَمَّا هَجَرَ الْوَطَنَ وَالْأَقَارِبَ عَوَّضَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ قُرَّةَ الْعَيْنِ بِالذُّرِّيَّةِ الصَّالِحَةِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:{ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيّاً }[92]. [93]

فقوم سيدنا لوط عليه السلام عندما أرادوا أن يُلحقوا به أشد أنواع الضرر والأذى قالوا له سنخرجك من أرضك وموطنك، على اعتبار أن البعد عن الوطن لا يطاق وفراق الأحبة والخلان شديد وشاق ولا يستطيع عليه أحد ولا يقوى على شعوائه عاقل حاذق، وعندما لازم سيدنا لوط عليه السلام باب الله وألح عليه بالدعاء والتضرع والطلب، أكرمه الله بكرمه العجيب وجعل له قرة عيين في ين ووهب من ذريته سيدنا إسحاق ويعقوب تعويضاً له عن فقد أرضه ووطنه.

---

[88] هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي المدني (المولود بمدينة تنبه في موريتانيا سنة 1325 هـ - المتوفى سنة 1393 هـ)، نشأ يتيماً، برع في علوم القرآن الكريم والسيرة النبوية المباركة والأدب والتاريخ. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (45/6).

[89] {الشعراء – 167}.

[90] يُنظر: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (المولود سنة 1325 هـ - المتوفى سنة 1393 هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، ط: الخامسة، 1441 هـ - 2019 م (الأولى لدار ابن حزم)، عدد الأجزاء: 7، (4 / 43).

[91] هو أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف (ولد في سنة ١٣٩٠ هـ)، المؤهل/ بكالوريوس تربية. https://shamela.ws/author/1205 ينظر، تاريخ الوصول 2022/09/01.

[92] {الْأَنْبِيَاء – 73/72}.

[93] أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفي بن عبد اللطيف المنياوي، **الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشّنقيطي في تفسيره أضواء البيان**، الناشر: مكتبة ابن عباس، مصر، ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، عدد الأجزاء: 2، (2 / 486).

ونقل الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان عن التابعي الأغرّ الأبرّ ابن عطاء في تفسير قوله تعالى: { وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ }[94] قال: اجتمع عليه شدّة مفارقة الوطن من الدنيا والأهل والولد وشدّة القدوم على ربّه لا يدري بماذا يقدم عليه.[95]

وهذا الملمح العظيم فيه من الخوف الكثير، من شدة الفراق والغربة والرحيل عن الوطن الحبيب، فنهاية حال العباد والخلق الرحيل الى الرب الجليل، وكل إنسان لابدّ له من أن يذوق لوعة الفراق والرحيل، فنسأل الله صحة سلامة الطريق وحسن العرض عليه يوم الجمع.

وقال الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب عند قوله تعالى: { قالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكم إِنَّ هَذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ في المَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنها أَهْلَها فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}[96] قال: " كان غَرَضَ مُوسَى وَالسَّحَرَةِ فِيمَا تَوَاطَئُوا عَلَيْهِ إِخْرَاجُ الْقَوْمِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَإِبْطَالُ مُلْكِهِمْ وَمَعْلُومٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُقَلَاءِ أَنَّ مُفَارَقَةَ الوطن وَالنِّعْمَةِ الْمَأْلُوفَةِ مِنْ أَصْعَبِ الْأُمُورِ".[97]

اتهم فرعون بخسة طبعه وجلافة لفظه مع سيدنا موسى عليه السلام والسحرة الذين آمنوا معه بأنّهم يريدون إخراج النّاس من أرضهم وهذا هو هدفهم، وفرعون يعلم أن البلد إذا خويت من أهلها لا يمكن حكمها ولا العمل بها، فلا يُتصور بحال من الأحوال وجود أرض بغير أبنائها أو أبناء بغير أرضهم، فارتباطهم بها هو ارتباط وثيق لا يمكن أن يعيش أحدهم بغير الآخر.

وقال البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل عند قوله تعالى:{ وَرَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ إِذْ قامُوا فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً ** هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً }[98]

---

[94] {القيامة – 29}.

[95] أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفي: 427هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ت: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى 1422، هـ - 2002 م، عدد الأجزاء: 10، (10 / 90).

[96] {الأعراف – 123}.

[97] الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفي: 606هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير**، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة - 1420 هـ (14 / 339).

[98] {الكهف – 14-15}.

قال: "وَرَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ وقويناها بالصبر على هجر الوطن والأهل والمال، والجراءة على إظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار".[99]

وهذه الآية من الآيات التي تريح القلب وتُسكّن الفؤاد لأن الله تعالى أيد بمدده وربط بثبات عقيدته في قلوب عباده فأنزل صبره وسِلوانه على قلوب المهجّرين المخرجين من أرضه، لمّا جهروا بالحق وتعالت أصواتهم بطلب الدليل المبين.

ورأى القِنَّوجي في تفسيره فتحُ البيان في مقاصد القرآن عند تفسير الآية:{ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }[100]، قال: "{ الذين صبروا } على أذى المشركين أو على مفارقة الوطن والهجرة أو على الجهاد وبذل الأنفس والأموال في سبيل الله واللفظ أعم من ذلك.[101]

وتابع الخلوتي في تفسير الآية ذاتها بقوله، ليس الخبر كالمعاينة: الذين { صَبَرُوا } على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توجه مهاجراً الى المدينة وقف ونظر الى مكة وبكى وقال (والله إني لا أخرج منك وإني لأعلم أنّك أحب بلاد الله الى الله تعالى وأكرمها على الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت)".[102]

فجل الله تبارك وتعالى مفارقة الوطن من الأمور المهمّة التي يتجلد الإنسان عندها ويصبر حيالها، والصبر كما عُلِم في استقراء السنّة النبوية والأثر أن أجره لله تبارك وتعالى، فيوفى الصابرون أجرهم لقاء صبرهم بغير حساب فكم لمفارقة الأرض من أهمّية عظيمة حتى نالت هذا الأجر والثواب.

وعطف على السياق السابق الزحيلي في تفسيره الوسيط عند قول الله تعالى: { وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ** الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ **بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

---

[99] ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفي: 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى - 1418 هـ، (3 / 274).

[100] {النحل – 42}.

[101] القنوجي، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، (7 / 245).

[102] الخلوتي، **روح البيان**، (5 / 36).

يَتَفَكَّرُونَ }[103]، إذ قال: لقد استحق هؤلاء المهاجرون هذه المنزلة العالية لأنهم صبروا على أذى قومهم، وعلى مفارقة الوطن المحبوب، وهو حرم الله مكة، وعلى المجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله، وعناء السفر ومتاعب الغربة، وتوكلوا على ربهم، وفوضوا أمورهم إليه، فأحسن عاقبتهم في الدنيا والآخرة.[104]

لقد أعد الله تعالى على ما ترى من عظيم الأجر والثواب للمهاجرين الذين هجروا ما نهى الله عنه من المعاصي والآثام والذين هجروا الظلم والكفر الى ديار الإسلام رغبة في دين الله، وحبّاً في العيش مع أهل الصلاح والفلاح، فكان هذا الأجر بكرم الله تعالى لما لاقوه من هموم الدنيا بفراق أوطانهم وغربتهم عن تراب ديارهم، فلقوا ما لقوا من المآسي والغموم، فكان ثواب ذلك كالبحر الزخار لا يعرف خزائنه إلّا الله.

وذكر الرَّازِيُّ مسألة من المسائل المتعلقة بالآية التالية: { فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ }[105] قال: " فِي الْآيَةِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ اسْتِجَابَةَ الدُّعَاءِ مَشْرُوطَةٌ بِهَذِهِ الْأُمُورِ (أَيِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ مَعَ الْمُهَاجَرَةِ، وَاحْتِمَالِ الْإِخْرَاجِ مِنَ الوطن، وَالْإِيذَاءِ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ، وَالْخَيْرِ، وَالْقَتْلِ وَالْقِتَالِ فِيهِ) فَلَمَّا كَانَ حُصُولُ هَذَا الشَّرْطِ عَزِيزًا كَانَ الشَّخْصُ الْمُجَابُ الدُّعَاءِ عَزِيزًا ".[106]

وفي قول فخر الدين جميل عبارةٍ، إذ رأى أن استجابة الدعاء لها صلة وثيقة بالإخراج من الوطن والإيذاء والغربة، لأن الإنسان يكون في هذا الموقف في أشد حالات ضعفه وتقهقر قوته، فيغدو بذلك دعاؤه مستجاباً، فكم للوطن من قيمة عظيمة ونعمة غفل عنها الكثير من الخلق.

وفي ختام المبحث الذي سعى فيه الباحث لجمع أقوال المفسّرين وآرائهم وأقوالهم فيما يخص الوطن والأرض وبيان مالها من قيمة وفضل وبيان مزية وعناية، وكيف أن الله تعالى

---

[103] {النحل – 41-42-43-44 }.

[104] وهبة بن مصطفي الزحيلي، **التفسير الوسيط للزحيلي**، الناشر: دار الفكر – دمشق، ط: الأولى - 1422 هـ، عدد الأجزاء: 3 مجلدات في ترقيم مسلسل واحد، (2 / 1263).

[105] {آل عمران – 195}.

[106] محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفي: 1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م، عدد الأجزاء: 12 جزءا، (4 / 254).

اختص قوماً بالعذاب عن طريق سلبهم لأوطانهم وتشريدهم في الأرض جزاءً لهم بما كسبت أيديهم، واقترفته آثامهم، وهذا المعنى واضحٌ ظاهرٌ في بيان قيمة الوطن وأهميته عند العلماء العاملين والمفسّرين المجتهدين وأهل العلم أجمعين.

المطلب الثالث: الوطن في استدلالات الفقهاء

ذهب بعض الفقهاء إلى تعليل حكمة الحج وعظم ثوابه إلى أنه يهذب النفس بالغربة الحاصلة للحاج لقاء فراق الوطن، والخروج على المألوف، فقال أبو العباس القرافي المالكي صاحب الذخيرة: " ومصالح الحج: تأديب النفس بمفارقة الأوطان، وتهذيبها بالخروج عن المعتاد من المخيط وغيره ليذكر المعاد، والاندراج في الأكفان، وتعظيم شعائر الله في تلك البقاع ".[107]

إنّ القرافي بفهمه السديد وعقله الفقيه الرشيد، غاص على حكم الحج وآدابه، وأثره في نفوس العباد، فاهتدى إلى أن من مقاصد الحج المعتبرة شرعا أن تتشوق النفوس وتشعر بمشقة فراق الأوطان، وتلامسها حالة الغربة بما تبعثه في النفس من انقطاع عن الأهل والديار والأحباب، وكم لهذا من تهذيب للنفوس، فإذا امتزج ذلك بهدير أصوات الملايين بالتلبية والتكبير والفاقة مع الرجوع والتوبة إلى الله فإن هذا المجموع يحدث في النفس أبلغ الأثر.

ومن استنباطات السادة الحنفية في فقه مذهبهم رحمهم الله في تعليل قصر الصلاة للمسافر أن هناك مشقة تلحق بالمسافر لما يلقى من غيبة عن وطنه، فقال أبو المعالي[108] ولنا في قوله صلى الله عليه وسلم: " فرض المسافر ركعتان من غير قصر"، ولأن السفر له صار مرخصاً باعتبار مشقة تلحقه المشي بالأقدام، والغيبة عن الوطن ولا خطر في هذا، وإنّما الخطر في مقصوده لا في عين السفر، فيبقى بعين السفر مرخصاً مبيحاً.[109]

---

[107] أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفي: 684هـ)، **الذخيرة**، ت: جزء 1، 8، 13: محمد حجي، جزء 2، 6: سعيد أعراب، جزء 3 - 5، 7، 9 - 12: محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط: الأولى، 1994 م، عدد الأجزاء: 14 (13 ومجلد للفهارس)، (3 / 194).

[108] هو محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري المَرْغِيناني، ابن مَازَةَ (ولد سنة 551 هـ - توفي في سنة 616 هـ)، من أكابر فقهاء الحنفية، عدّه بعض العلماء من المجتهدين في المسائل في الفقه الحنفي، وهو من بيت علم عظيم في بلاده. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (161/7).

[109] أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي (المتوفي: 616هـ)، **المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه أبي حنيفة رضي الله عنه**، ت: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1424 هـ - 2004 م، عدد الأجزاء: 9، (2 / 24)

فنجد أن الفقهاء أخذوا بعين الاعتبار في تعليل قصر الصلاة للمسافر اعتبار المشقة المتحصّلة له من السفر من جانب، والغيبة عن الوطن والتحرق له من جانب آخر، والحقيقة أن هذا ملمح مهم جداً في التعليل الفقهي وبناء الأحكام على أمور جليلة مهمة في هذا الباب.

وفاضل الدَّمِيري[110] أبو البقاء من السادة الشافعية بين الفروض التي يترافق معها السفر والعودة للوطن، وبين الفروض التي لا يتصور معها إلا فراق الوطن والبعد عنه فقال: " لا يجب على من يصلح للقضاء طلب القضاء ببلدة أخرى لا صالح بها، وأعقب القول في هذا الرافعي فقال: يجوز أن يفرق بينه – أي القضاء- وبين القيام بسائر فروض الكفايات المحوجة إلى السفر كالجهاد وتعلم العلم ونحوهما، فإن تلك يمكن القيام بها والعود إلى الوطن، وعمل القضاء لا غاية له، فالانتقال له هجرة، وترك الوطن بالكلية تعذيب".[111]

فمهمّة القضاء لابدّ على أهل العلم المتقدمين منهم أن يحملوا ثغورها ويرفعوا لوائها، لما لها من أهمّية في الدين والمجتمع، ومع ذلك رأى السادة الشافعية التقدّم لها لأهل البلد لأن الذي يأتي من خارجها لا يُتصور رجوعه لوطنه وسيتحصل له مشقّة فراق الوطن والغربة وهذا ما وصفه الرافعي من أئمة الشافعية باعتباره تعذيب.

ونقل الرجراجي[112] من السادة المالكية عند تفصيله بيان حدّ الحر الزاني، فقال: " فالكامل حدّ الأحرار الأبكار البالغين جلد مائة، وتغريب عام؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم -: "البكر بالبكر وتغريب عام" إلا أن التغريب مختص بالذّكران من الأحرار دون النساء والعبيد، ويُغرَّبُ الحُر سنة، ويسجن في الموضع الذي غُرّب فيه، ولا يُغَرَّب العبد؛ لأنه لا وطن له؛ لأن المقصود من التغريب ما يدرك المغرَّب من الوحشة لمفارقة الوطن ومباعدته عن الأهل، والقرابة؛ فيكون ذلك

---

[110] هو أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي الملقب بالدميري، (ولد بمدينة القاهرة عام 742 هـ - وتوفي في سنة 8080 هـ)، تلقى العلوم الأساسية كاللغة والفقه والحديث والأدب بالجامع الأزهر على كبار علماء عصره منهم السبكي، والإسنوى، والنويري، وابن الملقن، والبلقيني. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (118/7).

[111] كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشافعي (المتوفي: 808هـ)، **النجم الوهاج في شرح المنهاج**، الناشر: دار المنهاج (جدة)، ت: لجنة علمية، ط: الأولى، 1425هـ - 2004م، عدد الأجزاء: 10، (10 / 143).

[112] هو أبو الحسن علي بن سعيد الرجراجي، (المتوفي: بعد 633هـ)، **صاحب كتاب مناهج التحصيل في شرح المدونة**، وهو إمام فقيه، حافظ متقن، كان ماهرا في اللغة العربية، أخذ عنه كثير من أهل المشرق على اعتباره فقيهٌ مالكي من علمائها. يُنظر: عبد العزيز بنعبد الله، معلمة الفقه المالكي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1403 هـ - 1983 م، عدد الصفحات: 329، (صـ 146).

عقوبة عليه، والعبد لا قرار له، ولا وطن، ولا عنده عشيرة تدركه الوحشة بمفارقتها، وهو كل زمان يتحول من يد إلى يد ".[113]

وعلى ما نقله الرجراجي أن الحر من الرجال يُغرّب سنة ولا يكون ذلك للعبد، وعلّة ذلك أن الحر يعيش عزيزاً في بلده كريماً في محياه رابط الجأش بين إخوانه وعشيرته، فإذا ما غُرّب تحققت الوحشة والفرقة والبعد عن الأرض والأهل والأحباب، فيحصل بذلك هدف التعزير والتأديب من التغريب، ولا تكون العلّة سالفة الذكر متحققة بالعبد لأنه مسلوب الوطن بعيد عن مفهوم العشيرة والأخوة والأهل.

وقال بعض العلماء أنّ في التغريب فتح باب الزنا لانعدام الاستحياء من العشيرة، فأجاب ابن أبي العز[114] من السادة الحنفية على بيان ما سبق بقوله " كان هذا قد يقع لبعض النّاس أن المصلحة التي تحصل بالتغريب في حق غالب النّاس من مفارقة الوطن والأهل والإخوان وغير ذلك مما يكسر النفس ويقمع داعي الفساد تربو على هذه المفسدة".[115]

ونجد من القول السابق أن المفسدة المترتبة عن الغربة وفراق الوطن والأهل والأحباب تزيد على مفسدة خشية المرء على نفسه من الزنى في الغربة لانعدام الاستحياء، فسبحان الله على هذه المفاضلة البديعة.

ومن استنباطات السادة الحنابلة ما لمحه محمد المختار الشنقيطي[116] ملمحاً جميلاً، في مفهوم الوطن ومزاياه ولطائفه، فقال: وهذا واضح الملمح جليٌ، قال تعالى: **{** وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ

---

[113] أبو الحسن علي بن سعيد الرجراجي (المتوفي: بعد 633هـ)، **مَنَاهِجُ التَّحصِيلِ ونتائج لطائف التَّأْوِيل في شَرحِ المدَوَّنة وحَلِّ مُشكِلاتها**، اعتنى به: أبو الفضل الدّمِيَاطي - أحمد بن عليّ، الناشر: دار ابن حزم، ط: الأولى، 1428 هـ - 2007 م، عدد الأجزاء: 10، (10 / 84-85).

[114] هو صَدرُ الدين أبو الحسن عليُّ بن علاءِ الدين الدمشقي الصالحيَّ الحنفي ابن أبي العز، (ولد في دمشق سنة 731 هـ / - وتوفي في دمشق سنة 792هـ)، نشأ في كنف أسرة جميعُ أفرادها أحناف، ومعظمهم قد تولى القضاء، تولى قضاء بدمشق. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (313/4).

[115] صدر الدين عليّ بن عليّ ابن أبي العز الحنفي (المتوفي 792 هـ)، **التنبيه على مشكلات الهداية**، ت: عبد الحكيم بن محمد شاكر (جـ 1، 2، 3) - أنور صالح أبو زيد (جـ 4، 5)، أصل الكتاب: رسالة ماجستير- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الناشر: مكتبة الرشد ناشرون - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1424 هـ - 2003 م، عدد الأجزاء: 5، (4 / 145).

[116] محمد المختار بن محمد سيد الأمين بن حبيب الله بن مزيد الجكني الشنقيطي، (ولد في مدينة الرشيد في موريتانيا سنة 1337 هـ - توفي بالمدينة المنورة سنة 1405 هـ)، أصله من موريتانيا وهو عالم وفقيه أصولي، وهو أستاذ التفسير في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ومدرس بالحرمين الشريفين. يُنظر: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (ت ١٤٢٩هـ)،

رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} [117]، فمعنى ذلك: " نجد أن أوامر الشرع دائماً تجعل النفس طوعاً للعبد، فلذة النوم، ولذة الطعام والشراب، ولذة النكاح، ولذة اللباس، ولذة الوطن والأهل، كلها جاء في مقابلها عبادات، فلذة اللباس يقال لك في مقابلها في الحج: انزع عنك هذا المخيط، وأما لذة الأوطان، فتجد أن الحج يُخرج الرجل من بلده وأهله متغرباً لله عز وجل، ضاحياً لله في حجٍ أو عمرة، ولذلك قالوا: إن الحج جهاد من هذا الوجه".[118]

فنظر الشنقيطي إلى علّة اعتبار الحج جهاد بهذا الوجه على أنّه يُخرج الرجل من موطنه وينزع عنه أهله مغتربا متفرغا لعبادة الله وحده غير منشغل بسواه.

وبوّب سيد سابق[119] في كتابه فقه السنّة، بابُ فضل الجهاد، فصل الجهاد أفضل نوع من أنواع التطوع، ومعناه: " إعلاء لكلمة الله، وتمكين لهدايته في الأرض، وتركيز للدين الحق، ومن ثم كان أفضل من تطوع الحج، والعمرة، وأفضل من تطوع الصلاة، والصوم، وهو مع ذلك ينتظم كل لون من ألوان العبادات، سواء منها ما كان من عبادات الظاهر أو الباطن، فإن فيه من عبادات الباطن الزهد في الدنيا، ومفارقة الوطن، وهجرة الرغبات".[120]

وهذا نوعٌ من أنواع فقه الجهاد الذي يحمل في طياته مفارقة الأرض وهجر الأحبة والانشغال بالذود عن دين الله من جانب والأرض التي أناطها الله بعباده وجعلهم خلفاء عليها من جانب آخر.

بعد الوقوف على بعض الأحكام من المذاهب الأربعة في كُتب الفقهاء، كان من الملاحظ اهتمام الفقهاء وعنايتهم بجانب الأرض والوطن وبناء بعض أحكامهم الفقهية على أساس فراق الوطن والغربة عنه، وتعليل الأحكام عليها.

طبقات النسابين، الناشر: دار الرشد، الرياض، ط: الأولى، 1407 هـ - 1987 م، عدد الصفحات: 231، (صـ 205).

[117] {النازعات: 40 }

[118] محمد بن محمد المختار الشنقيطي، **شرح زاد المستقنع**، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، ط: الأولى 1428 هـ - 2007 م، (7 / 135).

[119] سيد سابق، (ولد بالمنوفية في مصر سنة 1335 هـ - وتوفي فيها سنة 1420 هـ)، **صاحب كتاب فقه السنة الشهير**، تخرج في كلية الشريعة بالأزهر، اتصل ب حسن البنا، يعتبر واحد من أهم منظري جماعة الإخوان المسلمين. يُنظر: أعضاء ملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء عدد الصفحات: 372، (صـ 95).

[120] سيد سابق (المتوفي: 1420هـ)، **فقه السنة**، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، 1397 هـ - 1977 م، (2 / 628).

الفصل الثاني: بناء الوطن في عهد النبوة ومنهج إدارته وعقوبة الخيانة

الـمَبْـحَـثُ الأول: الشباب في عهد النبوة ودورهم في رقي الوطن ونهضته

أ- معنى الشباب في اللغة:

الأصل اللغوي للشباب من شب، ومنه من شب على شيء شاب عليه، أي اعتاد عليه ولازمه وداوم الالتزام به، وهي كذلك كلمة تحمل في طياتها معاني التوقد والقوة والنماء .

قال ابن فارس[121] في بيان المعنى اللغوي: " (شَبَّ) الشِّينُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى نَمَاءِ الشَّيْءِ، وَقُوَّتِهِ فِي حَرَارَةٍ تَعْتَرِيهِ. مِنْ ذَلِكَ شَبَبْتُ النَّارَ أَشُبُّهَا شَبًّا وَشُبُوبًا. وَهُوَ مَصْدَرُ شُبَّتْ، وَكَذَلِكَ شَبَبْتُ الْحَرْبَ، إِذَا أَوْقَدْتُهَا، فَالْأَصْلُ هَذَا، ثُمَّ اشْتُقَّ مِنْهُ الشّباب، الَّذِي هُوَ خِلَافُ الشَّيْبِ. وَالشّباب أَيْضًا: جَمْعُ شَابٍّ،وَذَلِكَ هُوَ النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ بِقُوَّةِ جِسْمِهِ وَحَرَارَتِهِ. وَالشَّبِيبَةُ: الشّباب".[122]

وقال الخوارزمي[123] (الشَّابُّ) بَيْنَ الثَّلَاثِينَ إلَى الْأَرْبَعِينَ وَقَدْ شَبَّ شَبَابًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ وَقَوْمٌ شَبَابٌ أَيْ شُبَّانٌ وَصْفٌ بِالْمَصْدَرِ (وَقَوْلُ) ابْنِ سِيرِينَ وَيُسْتَشَبُّونَ أَيْ يُطْلَبُونَ شَبَابًا بَالِغِينَ فِي الشَّهَادَةِ وَقِيلَ يُنْتَظَرُ بِهِمْ فِي الْأَدَاءِ وَقْتُ الشّباب.[124]

ب - معنى الشباب في الاصطلاح:

الذي عليه بيان أهل العلم والفنّ أن مرحلة الشّباب هي الفترة العمرية التي تبدأ مع سن البلوغ، وتنتهي مع بداية سن الكهولة أو الشيخوخة، وهي محل خلاف بين العلماء في تحديد هذه المرحلة العمرية .

---

[121] هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ولد في سنة 329 هـ - توفي في همذان سنة 395 هـ)، لغوي أي إمام لغة وأدب، قرأ عليه بديع الزمان الهمذاني وابن عباد وغيرهما من أعيان البيان من أبرز مؤلفاته معجم مقاييس اللغة. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (193/1).

[122] أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفي: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ت: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م، عدد الأجزاء: 6، (3 / 177).

[123] هو أبو الفتح ناصر بن عبد السيد أبى المكارم بن برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ، (ولد في جرجانية في خوارزم سنة 538 هـ - وتوفي فيها سنة 610 هـ)، وهو أديب عالم باللغة، من فقهاء الحنفية كان رأسا في الاعتزال. ولما توفى رثي بأكثر من ٣٠٠ قصيدة رحمه الله. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (348/7).

[124] ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (المتوفي: 610هـ)، **المغرب**، الناشر: دار الكتاب العربي، ط: د ط، عدد الأجزاء: 1. (1 / 243).

وقال صاحب معجم لغة الفقهاء: " الشاب: من كان في سن الشّباب على اختلاف الاقوال: من خمس عشرة سنّة إلى الثلاثين ما لم يبلغ عليه الشيب، أو من سن التاسعة عشرة إلى الرابعة والثلاثين، أو بين الثلاثين والأربعين."[125]

وقال ابن الجوزي: " وسنّ الشّباب هو الذي يتكامل فيه النمو ويبتدئ عقيبه بالانحطاط، ومنتهاه في غالب الأحوال خمس وثلاثون سنة، وقد يبلغ أربعين ".[126]

من التقسيمات التي سلكها أهل العلم في هذا الميدان أقوالٌ لا يسع الباحث ذكرها ولا القارئ الوقوف عليها، غير أن خلاصة القول في ذلك السنّ أنه متردد في بدايته بين كونه في الخامسة عشر إلى العشرين، وفي نهايته بين الثلاثين إلى الأربعين، ولعلّ الأمارة التي تظهر على الإنسان هي دلالة على تحديد السن، فمن تعين فيه النمو وظهرت عليه علامات القوة والنماء يكون قد خاض غمار هذا السن إلى أن يظهر عليه أعراض الشيب أو الانحطاط أو الوهن والتعب فتكون بذلك شمس هذه السن قد أفلت.

ومن خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية السابقة لمرحلة الشّباب نخلص إلى بعض ميزات هذه المرحلة وخصائها على ما يأتي:

1. هي المرحلة التي يعيش فيها الإنسان أوج قوته؛ ويكون فيها أقوى ما يكون نباهة وإدراكاً، وحماسه في ذروته وجذوة الإنجاز والنصر محبب إليه.
2. الفترة التي تظهر فيها إبداعات الإنسان ونشاطاته ومواهب حياته التي يسعى لتنميتها وصقل جذوتها .
3. وبالنظر إلى اعتبار أن مرحلة الشّباب تلي مرحلة الطفولة فيكون بذلك الإنسان عديم الخبرة والتجربة التي سيسعى لبنائها وتكوين مهاراتها، فيبني قدراته وفكره ومنهج حياته، فيتجاوز بذلك عقبات الحياة وهمومها ليصل إلى تجربة صالحة وعقلٍ نيّرٍ قويم.

إنّ الباحث في ميدان السنّة النبويّة يعلم أنّ الذين حملوا على عاتقهم الدعوة والتعليم في مجتمعاتهم بغية بناء أوطانهم ورفع الجهل عن إخوانهم هم من شريحة الشّباب فخاضوا في

---

[125] محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، **معجم لغة الفقهاء**، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية، 1408 هـ - 1988 م، (1 / 255).

[126] ابن الجوزي، **كشف المشكل من حديث الصحيحين**،(532 /3) .

مجالس الشورى وقضايا الحكم والقضاء والفتوى وسعوا في أرض الله تعالى معلّمين وعاملين وعالمين، ومن أبرز الأمثلة على ذلك في عصر الصحابة:

1- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان من أكثر الصحابة فتوى، وأوسعهم فقهاً، حتى كان عمر رضي الله عنه يُجلسه وهو شابٌ صغيرٌ مجالس الكبار من أهل بدرٍ ويستشيره فيدلي برأيه ويبسط علمه.[127]

فقد جاء في صحيح البخاري وبسنده إلى عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما-، قال: " «كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ}[128]؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا، وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: «هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ لَهُ»، قَالَ: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ}[129] «وَذَلِكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ»، {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}[130]، فَقَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ» ".[131]

وكما هو الحال في أمور الحكم والسياسة وإدارة شؤون الدولة فلا يصلح في شأنها وأخذ مشورتها إلّا الخاصة من القوم أصحاب الفطنة والذكاء والقول السديد في الرأي والعمل، ومن أحسن قولاً من قول ابن عباس إذ كان ديدن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشاورته على ماورد في الخبر السابق وهو شابٌ في ريعان الشّباب، وسار على ذلك أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في مشاورته في أحواله الخاصة والعامة وشؤون الإمارة، ولك أن تتخيل عِظم الموقف ورسوخ القول وأهمّية الشّباب في العمل والقوة والنماء إذ اختاره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله بإرساله لمقارعة الخوارج وإعادتهم إلى الحق وجماعة المسلمين، فناظرهم وحاججهم ودفع شبهاتهم ودحض افتراءاتهم، وقد كان عددهم "

---

[127] يُنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (4/380-386).

[128] { النصر: 1}.

[129] المصدر السابق نفسه.

[130] { النصر: 3}.

[131] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى؛ فسبح بحمد ربك واستغفره، (6/179)، رقم الحديث 4970.

ثمانية آلاف رجل، وقيل اثنا عشر ألفا، فعاد أربعة آلاف منهم إلى رشدهم، وقاتل علي رضي الله عنه بقيتهم ممن أبى التوبة والرجوع إلى رشده "[132]، فنجح عبد لله بن عباس رضي الله عنه نجاحاً باهراً وأبدع إبداعاً طيباً، فبهؤلاء الشباب يمكن بناء مجتمع متماسك ووطن قويم، يحفظ به الأفراد أنفسهم وأبنائهم، وتحرس حدود الأرض بفكرهم وعقيدتهم.

نموذج الشاب المتعلم العامل الذي سعى في دين الله عزوجل عالماً ومتعلماً يخدم النّاس ويجلس للإفتاء ليل نهار يسأل كبار الصحابة عن دقائق الأمور وخفاياها، ويُعلّم التابعين الفتوى والقرآن، يُستشار فيشير بالرأي السديد والقول الراجح النضيد، فنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده كعمر وعلي ومعاوية رضي الله عنهم وأرضاهم اغتنموا همّة الشباب ووجهوا طاقاتهم في خدمة الوطن وحفظ الأرض من علم وتعليم وحجة وإقامة العدل بين الناس، فأنعم بابن عباس من شاب يبني الوطن ويحفظ الدين.

2- معاذ بن جبل رضي الله عنه:

كان أعلم الأمّة بالحلال والحرام، وأحد أصحاب الفتوى والدعوة، كان من حفاظ القرآن الكريم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قد أسلم رحمه الله وهو ابن ثماني عشرة سنه.[133]

روى الترمذي وأبو داود في سننهما وبسندهما إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه: " « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: "كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟»، قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟»، قَالَ: فَبِسنّة رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سنّة رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟» قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، وَلَا آلُو فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ، وَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ، رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ ".[134]

---

[132] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفي: 774هـ)، **البداية والنهاية**، ت: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى 1408، هـ - 1988 م، (7/ 310—312) .

[133] يُنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (3/269-273).

[134] أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الأقضية، باث اجتهاد الرأي في القضاء، (3/ 303) حديث592؛ الترمذي، **سنن الترمذي**، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، (3/608) رقم الحديث1327 .

لك أن تتصور إشادة النبي صلى الله عليه وسلم على قول شاب من شباب المسلمين كان قد تجهز لأمرٍ عظيم وهمّ كبير ألا وهو مهمة رسولِ رسولِ رب ين ليدعو أقواما لم يبلغهم دين الله عزوجل، فسأله على سبيل الاطمئنان فأجاب بجوابٍ رائعٍ أشاد به المعلم الأول، فهذا هو حال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم إذ كان عماد عمله في بناء الأمّة والدعوة شباب المسلمين لشدة نشاطهم وتوقد همّتهم ورجاحة عقلهم، فاغتنم حال الشباب في تأسيس أركان الدولة وبسط العلم ونشر الدعوة فحافظوا على الأرض ورسخوا مفهوم الدّفاع عنه والتحرك من بقاعه إلى غيره للتوسع والتمدد ونشر الدعوة وبث العلم.

3- زيد بن ثابت رضي الله عنه:

هو أفرض المسلمين وأعلمهم في علم الفرائض، كما روى الترمذي في سننه وبسنده إلى أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أمّة أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأمّة أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ".[135]

وكان أحد حفظة القرآن الكريم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، شيخ المقرئين، ومن كتّاب الوحي العظيم، أسلم وهو ابن إحدى عشرة سنة، وهو الذي أمره النبي صلى الله عليه وسلم ليتعلم لغة يهود ليقرأ له كتبهم، فتعلّم السريانية والعبرية في أسبوعين وهذا من مشاركته رحمه الله في إدارة شؤون الدولة، ثم حمّله أبو بكر رضي الله عنه وهو ابن إحدى وعشرين سنة أمراً عظيماً ومهمّة خطيرة، وهي مسئولية جمع القرآن الكريم، وسار على ذلك النهج عثمان بن عفان رضي الله عنه في نسخ المصحف وتوزيعه في الأمصار بقيادة زيدٍ رضي الله عنه فانتدبه لهذه المهمة وأضف إلى ذلك أنه كان من أصحاب الفتوى والدعوة.[136]

وكان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أن يحث الشّباب على التعلم والعمل لاستقطاب طاقاتهم وتوظيفها في خدمة الدين والدعوة ومن هذا لمّا طلب من زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم اللغتين السريانية والعبرانية لَمّا رأى منه القدرة على ذلك، فتعلمهما زيدٌ رضي الله عنه في

---

[135] الترمذي، **سنن الترمذي**، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: مَنَاقِبُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَأُبَيّ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، (6 / 127)، رقم الحديث 3791.

[136] يُنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (4/67-72).

أسبوعين، روى أحمد في مسنده وبسنده إلى خارجة بن زيد بن ثابت، قال: قال زيد بن ثابت: " أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ، وَقَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي» فَتَعَلَّمْتُهُ، فَلَمْ يَمُرَّ بِي إِلَّا نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى حَذَقْتُهُ، فَكُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ إِذَا كَتَبَ وَأَقْرَأُ لَهُ، إِذَا كُتِبَ إِلَيْهِ ".[137]

ولابدّ لتقدم الأوطان أن يتعلم أبنائها وأن يسارعوا في بسط العلم وتطويره والبحث عن الاكتشافات التي تخدم الأمة وتحافظ على الأرض، فتعلم لغة الأقوام أمرٌ مهمٌ جداً يساعد في هذا الصدد والباب، فهذا هو المنهج الذي سال من مشكاة النبوة باستعمال الشّباب وتوظيف طاقاتهم وتوليتهم أموراً مهمةً وركائز أساسية في شؤون بناء الأمّة والوطن.

ومن جميل صنيع الأمراء والخلفاء وتقديرهم لأهل العلم وإن كانوا شباباً يافعين ما روي عن سليمان بن يسار، قال: ما كان عمر وعثمان يقدمان على زيد أحداً في الفرائض والفتوى والقراءة والقضاء.[138]

4- مصعب بن عمير رضي الله عنه:

أحد السبّاقين إلى الإسلام، أسلم والنبي صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم، وكان من أنعم شباب مكة ثراءً ومالاً، فمنعه أهله ذلك فصبر وخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو السفير الدعوي الأول إذ أرسله النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة داعية وهو في سنّ الشّباب يعلمهم الإسلام، حتى دخل الإسلام جميع بيوت الأنصار، ولا تعجب من ذلك فقد كان أيضاً حامل لواء المهاجرين في بدرٍ وأحد، وبقي راسخاً شامخاً حتى توفّاه الله تعالى وهو ابن أربعين سنة.[139]

روى البخاري رحمه الله في صحيحه وبسنده إلى خباب رضي الله عنه، قال: "هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَجْرِهِ، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ نَمِرَةً، فَإِذَا غَطَّيْنَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا

[137] أحمد، **مسند أحمد**، مسند زيد بن ثابت، (35/ 490) حديث21618. أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب، (3/ 318) حديث3645. وقد أخرجه البخاري معلقا بصيغة الجزم في صحيحه، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام، (9/ 76) رقم الحديث7195.

[138] يُنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (4 / 71).

[139] يُنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (3/96-101).

رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الإِذْخِرِ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا" [140]

هذا حال من خالط الإيمان بشاشة قلبه، ولامست شغاف روحه، أن يقدّم روحه وجسده وماله وجاهه في سبيل دين الله وخدمة أمّة الإسلام وأوطان المسلمين، لتُرفع الراية شامخة وتحيا الأمّة سليمة، بعيداً عن ملذات الدينا وشغفها.

لمّا رأى النبي صلى الله عليه وسلم من همّة مصعب ونشاطه الكبير وقوة شخصية وحسن أسلوبه وجهه لتعليم الصحابة والناس، واغتنم هذا الجانب المهم عنده ليرتكز على قوام الشباب في الحفاظ على قوام الأمة والوطن من أمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر ليحفظ بذلك قوام المجتمع الإسلامي وخلاياه.

5- حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

الشّاب النبيه، صاحب المهام الخاصة، الذي ندبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب ليجس له خبر العدو، سُمّي حذيفة رضي الله عنه بصاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أطلعه على أسماء المنافقين وشأن الخلافة وأمور الفتن، وكان من الخواص رحمه الله، وممن يعود له الخلفاء ويستشيرونه ويسألونه في النوازل.[141]

روى البخاري في صحيحه رحمه الله بسنده إلى أبو الدرداء رضي الله عنه إذ قال لعلقمه رضي الله عنه: "أَلَيْسَ فِيكُمْ، أَوْ مِنْكُمْ، صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، يَعْنِي حُذَيْفَةَ؟".[142]

فلكل عملٍ ومشروعٍ مهما تعاظمت أركانه وتسامت أهدافه لابدّ من أمينٍ يكتم السر ويحفظ الأمانة لهذه الأمّة والوطن، فكانت هذه المهمّة في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حذيفة رضي الله عنه مع كونه شاباً، وفي القوم من هو أكبر منه عمراً وأسبق منه دعوة وأغزر منه علماً، ولكنّه استنهاض الهمّة لحال شباب الأمّة، ليصلوا بها إلى القمّة.

روى مسلم في صحيحه وبسنده إلى إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل

---

[140] البخاري، **صحيح البخاري**، باب فضل الفقر، (8 / 75) رقم الحديث6448.

[141] يُنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (4/27-33).

[142] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل أصحاب النبي ه، باب مناقب عمار وحذيفة رضن الله عنهما، (5/ 25) رقم الحديث3743.

ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وَقُرٌّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامة؟» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامة؟» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامة؟»، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ".[143]

وبيان الخبر ثقة الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم بشباب الأمّة وتشجيعهم وزرع الثقة في نفوسهم لحملهم الأمانة وبناء الأمّة والعمل على قدر الهدف وعِظم المشقة، وأسناد المهام السياسية والاجتماعية والاقتصادية إليهم لمشاركتهم في بناء المجتمع السليم القويم، وتدريبهم على حمل الأمانة وتقدير المسؤولية.

6- علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره، أول من أسلم من الصبيان، حامل لواء المسلمين، ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشّرين، شابٌ من أفذاذ شباب المسلمين، علمٌ من أعلامهم، وشجاعٌ من أقوى فرسانهم، من كتّاب الوحي، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم سفيراً ووزيراً.[144]

إن مهمّة بسط الأمن والدّفاع عن حمى الوطن وبيضة سنامه من أعظم المهام التي توكل للشباب وتناط بهم، إذ لا يقدر عليها سواهم، ولا ينبري لحماها غيرهم، ولذلك فإن المتتبع لأحوال السيرة النبويّة المطهرة وأحداثها العِظام يجد دوراً بارزاً للشباب في السرايا والغزوات، والدّفاع عن الدين، وحراسة النبي صلى الله عليه وسلم، بل إنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد أوكل لهم مهمّة القيادة مرات عديدة، فلم يقتصر الأمر على دورهم بالجندية فحسب، ومن هؤلاء أبو الحسن رضي الله عنه، فقد حمل لواء المسلمين في غزوة سفوان[145]، وهو ابن ثلاثٍ وعشرين سنة،

---

[143] مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابٌ: الْجِهَادُ وَالسِّيَرُ، بَابٌ: غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ، (177/5)، رقم الحديث 1788.

[144] يُنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (495/2-505).

[145] غزوة سفوان وتسمى بغزوة بدر الأولى، كان على رأس الغزوة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لم يحدث في هذه الغزوة قتال لأن كرز بن جابر الفهري قائد المشركين هرب ومن معه، وسميت باسم غزوة سفوان لأنها حدثت في وادٍ يقال له سفوان من ناحية بدر. يُنظر: صفي الرحمن المباركفوري (ت 1427هـ)، **الرحيق المختوم** (مع بعض التعديلات والزيادات من د علاء الدين زعتري وغسان محمد رشيد الحموي)، الناشر: دار العصماء - دمشق، ط: الأول - 1427، عدد الصفحات: 440، (صـ 139).

وكذلك كان بعدها بسنة واحدة فقط حاملاً للواء في غزوة قرقرة الكدر[146]، وعندما فتح الله على يديه في خيبر كان لا يتجاوز الثلاثين عاماً، فإنه قد ولد قبل البعثة بعشر سنين، وفتحت خيبر في السنّة السابعة للهجرة.[147]

ولا تخفى قصة فتح خيبر على يد علي رضي الله عنه فهي قصة مشهورة، فقد روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى سهل بن سعد رضي الله عنه، سمع النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: يوم خيبر: "لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»، فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟»، فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَمَرَ، فَدُعِيَ لَهُ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ ".[148]

وفي الخبر بيان فضل علي رضي الله عنه وقربه من النبي صلى الله عليه وسلم واعتماده عليه في المهمّات الحرجة فلا تكون الراية إلا لأصحاب الهمّة الرفيعة والرأي السديد، فانتدبه النبي صلى الله عليه وسلم لهذه المهمة العظيمة.

وبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليّاً إلى اليمن مصلحاً ومعلماً وقاضياً بين أهلها رغم حداثة سنه، روى أبو داود في سننه وبسنده إلى علي رضي الله عنه قال: "بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ، وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ، وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ، فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَصْمَانِ، فَلَا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخَرِ، كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ»، قَالَ: «فَمَا زِلْتُ قَاضِيًا، أَوْ مَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَعْدُ".[149]

---

[146] وقعت غزوة الكُدْر في السنة الثانية للهجرة، وسميت بهذا الاسم لأن بني سليم اجتمعوا على ماء لهم يقال له الكُدْر، فتوجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكدر فلم يلق منهم مكراً أو حرباً، وعاد بالنصر ومعه الغنائم. يُنظر: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت 630هـ)، **الكامل في التاريخ**، ت: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1417هـ / 1997م، عدد الأجزاء: 10، (31/2).

[147] يُنظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفي: 751هـ) **زاد المعاد في هدي خير العباد**، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، د: ت، ط: السابعة والعشرون، 1415هـ /1994م عدد الأجزاء: 5، (3/316).

[148] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة، (4/ 47) حديث 2942؛ مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (4/ 1871) رقم الحديث2404.

[149] أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الأقضية، باب كيف القضاة، (3/ 301) رقم الحديث 3582.

لقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم للأعمال المفصلية في الدولة للحفاظ عليها وبناء قوامها حُذّاق أصحابه كالقضاء وفك النزاعات بين المتخاصمين؛ ولا شك أن هذه المهمات تحتاج إلى مزيد فطنة وذكاء ومعرفة بأحوال الناس، ودراية بسلوكياتهم، وقدرةً على مخاطبة عقولهم، ومن اللافت للانتباه أنّ الذين تولوا هذه المهمة من الصحابة في زمن النبوة وفي خضم بناء الدولة هم من فئة الشّباب.

7- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، من السابقين الأولين في الإسلام ومن المهاجرين المناضلين، وأحد العشرة المبشرين، من أخوال النبي صلى الله عليه وسلم، وفداه النبي لقوة رميه وتحقيق هدفه، حامل لواء المسلمين في غزوة بواط[150]، أمّره النبي صلى الله عليه وسلم قائداً على سرية الخرّار[151] يتعقب عير قريش في ذي القعدة بعد تسعة أشهر من الهجرة، وقد كان عمره وقتها بضع وعشرين سنة فقط.[152]

شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شابٌ، فقد شهد بدراً وأحداً والخندق وكان من أمهر الرماة رحمه الله اختاره عمر رضي الله عنه ليكون من أصحاب الشورى الستة ليختاروا خليفة بعده، وكذلك استعمله على إمارة الجيوش في مواجهة الفرس، وفتح الله على يديه المدائن وكان أول والي على الكوفة، واللافت للنظر فيما سبق أن سعداً رضي الله عنه تولى هذه المهام من حراسة وقيادة وولاية وشورى وهو شاب رحمه الله لينتدب لحفظ الأوطان والدّفاع عن الأنام ويتسلم المهام الحرجة فينجح بها غاية النجاح وهذا من هدي النبي صلى الله عليه وسلم

---

[150] غزوة بواط حدثت في السنة الثانية للهجرة، سميت بهذا الاسم لأنها حدثت في سلسلة جبال بواط مما يلي المدينة المنورة، خرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم في مائتين من أصحابه، يعترض عيراً لقريش، ولكن عيون قريش علمت بذلك فأسرعت القافلة بتغير طريقها وسلوكها طريقاً مغايراً وتخطت المسلمين، ورجع المسلمون إلى المدينة. يُنظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، (8/2).

[151] وهي ثالث السرايا التي أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخرار، وعقد لها لواء أبيض، هدفها اعترض عير لقريش، وطلب النبي صلى الله عليه وسلم أن لايجاوز الخرّار وهي منطقة تقع بين الجحفة ومكة قريبة من خم. يُنظر: سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)، الأساس في السنة وفقهها، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط: الطبعة الثالثة، 1416 هـ - 1995 م، عدد الأجزاء: 4، (370/1).

[152] يُنظر: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ابن هشام، أبو محمد، جمال الدين (المتوفي: 213هـ)، **السيرة النبويّة لابن هشام**، ت: مصطفي السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية، 1375هـ - 1955 م، عدد الأجزاء: 2، (600/1).

وصحابته الكرام في اغتنام هذه القضايا التي تصب في خدمة الوطن وتطويره والحفاظ على موارده التي ينعم بها أبناؤه واستقراه.[153]

8- أسامة بن زيد رضي الله عنه:

الحب بن الحب، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسامة بن زيد رضي الله عنهما الذي أمّره النبي صلى الله عليه وسلم قائداً على جيوش المسلمين، وأنفد الصديق رضي الله عنه هذا الجيش بعد وفاة الحبيب الأعظم، وكان عمره أقل من عشرين سنة، فهو من صغار الصحابة وأقربهم للنبي صلى الله عليه وسلم.[154] روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: " غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، وَخَرَجْتُ فِيمَا يَبْعَثُ مِنَ البُعُوثِ تِسْعَ غَزَوَاتٍ مَرَّةً عَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ، وَمَرَّةً عَلَيْنَا أُسَامة ".[155]

ما أعظم هذا الدين، الذي جعل فيه قائد جيوش المسلمين أسامة بن زيد وهو ابن عشرين سنة، وخلفه من الجنود أكابر الصحابة والخلفاء الراشدون الصديق والفاروق وذو النورين يأتمون بأمره وينتهون بنهيه، ولكن النبي ينظر نظرة المفكر الباحث والعامل لاستقطاب الشّباب وقدراتهم واستغلال طاقاتهم والعمل على استثمارها وتوظيفها في بناء الوطن وخدمة المجتمع.

9- الحسن بن علي رضي الله عنه:

سبط رسول الله وريحانته في الجنان، خامس الخلفاء الراشدين وسيّد شباب أهل الجنة، وقيل إنّه أشبه النّاس خَلقا بجدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أصلح الله على يديه بين فئتين عظيمتين من المسلمين، فكان سبباً في حقن الدماء وجمع الكلمة ووحدة الصف بعد فتنة أحرقت الأخضر واليابس، واستشهد فيها خيار المسلمين والصحابة وقُتل فيها خلقٌ كثير[156] .

روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى الحسن رضي الله عنه قال: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل

---

[153] يُنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (3/66-70).
[154] يُنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (4/107-112).
[155] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد إلى المرقات من بني جهينة، (5/ 144) رقم الحديث 4270.
[156] يُنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (4/330-340).

على النّاس مرة، وعليه أخرى ويقول: "إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلعلّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ ".[157]

تربى الحسن رضي الله عنه في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمّه فاطمة الزهراء وأبوه علي ابن عم رسول الله، وجدّه المعلّم الأول والمربي الأمثل، تربى بين يديه وعلى عينيه في العبادة والطاعة والحكمة، تولى الخلافة عَقِبَ استشهاد والده علي رضي الله عنه، وأخذ البيعة من جمهور الصحابة ليبقى فيها بضعاً من ستة أشهر ونيف، فيلتقي بعد ذلك بمعاوية رضي الله عنه ويتنازل له عن الخلافة لجمع الكلمة ووحدة الصف وحقن الدماء وصون المجتمع من الهلاك وحماية الوطن من مطامع الأعداء، وهو شاب من شباب المسلمين، إلّا أن حكمته كانت حكمة الشيوخ وعلمه علم الأئمة المهديين.[158]

تربى الحسن رضي الله عنه في بيت النبوة وتعلم ونهل من معين الحكمة، حتى أوكل له النبي صلى الله عليه وسلم وبعده الخلفاء المهام الكثيرة فنجح فيها وأثبت جدارته في إدارة الأزمات وتثبيت الناس، وهذا النهج والأسلوب النبوي من أقوم الأمور التي تحافظ على الأوطان وترعاها وتدافع عن حياضها في ظل الفتن التي تعصف بالأمة والمكر الذي يحيق بالأرض والدين.

10- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

أحد العشرة المبشرين بالجنة، والثمانية السابقين للإسلام، والستّة الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ليختاروا خليفة بعده، لقب بالغني الشاكر والصادق البار، كان مثالاً للشاب المسلم الذي حمل همّ دينه ووطنه فغدا ممن يُنفق ماله ليل نهار صباح مساء لا يخشى من فقر و لا من آفة، لمّا حضرته الوفاة أوصى لكل رجلٍ ممن بقي من أهل بدر بأربعمائة دينار، وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغٍ كبير، وأنفق أربعة آلاف درهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقدر بنصف ماله، ثم تصدق بأربعين ألفًا، وكان مما أنفقه في سبيل الله أنه اشترى خمسمائة فرس للجهاد، ثم اشترى خمسمائة راحلة.[159]

---

[157] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي: إن بني، (9/ 56) رقم الحديث7109 .

[158] يُنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (4/330-340).

[159] يُنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (3/49-55).

ومن مواقفه المشهورة قصة المؤاخاة بينه وبين سعد بن الربيع - رضي الله عنهما -، روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى أنس رضي الله عنه قال: " قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ المَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ". [160]

فالشاهد في بيان الخبر أن عبد الرحمن رضي الله عنه لابدّ أن يكون قدوة لشباب المسلمين المتقاعسين القابعين في بيوتهم بحجة فقر الحال وسوء الأوضاع، فالأمّة تموت بموت همّة شبابها، وتُهدم الأوطان بتكاسل أبنائها، فعبد الرحمن رضي الله عنه لم يرض لنفسه أن يكون عالة على المجتمع بتاتاً، بل اجتهد حتى أصبح من أثرى أثرياء المدينة في مدّة وجيزة بِجّده ونشاطه وسعيه واجتهاده.

ومن هدي النبي صلى الله عليه وسلم إرشاد أصحابه للعمل والكسب باليد، واعتبر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من خير الأعمال وأفضلها عند الله تعالى، روى البخاري في صحيحه بسنده إلى المقدام رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ". [161]

إنّ الأساس الراسخ لبناء الأمم وصناعة حضارتها السعي في بناء أركانها وأعمدة فكرها، هو بث الروح البنّاءة في قلوب الشّباب من طلبٍ للعلم وكسبٍ للمال، فإن أوطاننا اليوم تزخ تحت الكثير من التحدّيات بسبب الفقر الذي أصاب أرضنا، وفُتور الهمّة والعمل بين شباب أمتنا، فإن الكلمة لا تكون صنيعة رأسنا ما لم تكن لقمتنا من فأسنا، ولا نأمل من أهل الغي والضلال وأهل الكفر والإلحاد أي عونٍ ومساعدة لبناء هذه الأمّة، فالواجب اليوم على شباب الأمّة لبناء أوطانهم وأقلّ القليل في ذلك أيضاً أن يعملوا ويتعلموا ويقدموا الخدمات والاختراعات وأنفس الأوقات والميّزات لأمّة الإسلام بغية تحقيق نهضة شاملة ودولة متينة.

فنجد بذلك أن المجتمع الإسلامي في نواة التأسيس ومرحلة البناء وصولاً للنهوض لم يتفرغ فقط للدعوة بل كان الصحابة يعملون على كل الاتجاهات التي تساعد الدولة للنهوض

---

[160] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب مناقب الأنصار، باب كيف آخى الثبن صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، (5/ 69) رقم الحديث3937.

[161] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، (3/ 57)، رقم الحديث2072.

وترسيخ الأركان، حتى وصل الدين إلينا على النحو الذي وصل، في ظلّ دولة قوية وأمّة راسخة وشعب متعلم وثقافة عريقة وأمجاد خالدة.

الـمَبْـحَـثُ الثاني: منهج الإدارة النبويّة في حماية الوطن.

المطلب الأول: بناء الوطن سياسياً واقتصادياً ودينياً

أولاً: سياسياً

اهتمّ النبي صلى الله عليه وسلم بالنواحي السياسية للدولة من أجل الحفاظ عليها وإدارتها بشكل قويم صحيح، وبرز ذلك من خلال وثيقة المدينة التي نصت على وحدة الأمة كأساس لحماية الوطن وكذلك تناولت العلاقات بين المسلمين وبين غيرهم ومحيطهم وحددت المسؤوليات ورسمت الواجبات على الأفراد والمجتمع.

وكذلك نجد في هذا الصدد أن النبي صلى الله عليه وسلم عزز قيم الانتماء للوطن من حب وحنين له وإرادة الخير والدعاء له وذكر فضائله والنعيم الذي يتحصل للأفراد في العيش بظله، وقد سبق بيان الأحاديث المتعلقة في هذا الجانب.

ومن الأمور السياسية التي انتهجها النبي صلى الله عليه وسلم لبناء مجتمع متماسك قويم، هو وضع أصول مهمة والعمل عليها كالشورى والعدل والمساواة والحرية والطاعة والأخوة والبيعة والوحدة وسيادة الشرع والأمة والحقوق والتكافل وغيرها، وبذلك انتظم المجتمع سياسياً داخلياً وخارجياً وحفظ الوطن من المطاع والأعداء متماسكاً صلباً.

وشجّع النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً على التدريب والقوة في الحرب ودفع بالصحابة لتعلم فنون القتال وأن الخيرية في القوة والبدنية والعقلية، روى الإمام البخاري في صحيه وبسنده إلى يزيد بن عبيد الله رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ ؛ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا، ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ ". قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ؟ " قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ ".[162]

[162] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، (38/4)، رقم الحديث 2899.

وكذلك الأمر فقد حث الصحابة على صنع الأسلحة بأيديهم كالسهام والمنجنيق وتعلم الرمي وفنون الحرب كحفر الخندق وغير ذلك مما يسدد بناء المجتمع وقوامه، وفي هذا استجابة لأمر الله تعالى القائل: { وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ } [163].

ولم ينشغل النبي صلى الله عليه وسلم بالأمور الداخلية عن الخارجية، فقد راسل الملوك والأمم الأخرى ودعاهم بحكمة الدين إلى الإسلام والنجاة من النار، وكان خطابه خطاب من أراد استعطاف القلوب واستمالتها لدخول الإسلام كما أرسل في كتابه إلى هرقل فجاء فيه " إلى هرقل عظيم الروم"[164] وهذا فيه حكمة سياسية مهمة للوصول الى الغايات والمقاصد السنية.

ثانياً: اقتصادياً

أولى النبي صلى الله عليه وسلم الجانب الاقتصادي والحياة المدنية للناس اهتماماً كبيراً بغية ازدهار المجتمع والرقي به وضمان سلامة وأمن الأرض والوطن، فشجع صلى الله عليه وسلم على استقلال الأسواق وعمل الصحابة واجتهاد الأفراد في طلب الرزق والكسب والدأب ليل نهار للحفاظ على كرامة المرء من خلال كسب رزقه بيده، فشجّع صلى الله عليه وسلم على الزراعة واغتنام الأراضي، روى مسلم في صحيحه وبسنده إلى جابر رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَزْرَعَهَا، وَعَجَزَ عَنْهَا فَلْيَمْنَحْهَا أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، وَلَا يُؤَاجِرْهَا إِيَّاهُ ".[165] فيظهر بذلك أنّ النجاح الاقتصادي على مستوى المجتمع لا الفرد لأن النجاح هو نجاح أمة لا نجاح أفراد وبذلك تحفظ الأوطان.

وركّز النبي صلى الله عليه وسلم على كسب المرء بيده وأنّ كسب اليد كانت مهنة الأنبياء خير الخلق والبشر، روى البخاري في صحيحه بسنده إلى المقدام رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ".[166]

---

[163] {الأنفال – 60}.

[164] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، (8/1)، رقم الحديث 7.

[165] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البيوع، باب كراء الأرض، (19/5)، رقم الحديث 1536.

[166] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، (3/ 57)، رقم الحديث2072.

ونهى القرآن الكريم والسنة النبوية في مواطن متعددة عن الإسراف والتبذير بغية حفظ الموارد واغتنامها وبناء المجتمع ورخائه، روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ، فَقَالَ: " هَلَّا اسْتَمْتَعْتُمْ بِإِهَابِهَا ؟ " قَالُوا: إِنَّهَا مَيِّتَةٌ. قَالَ: " إِنَّمَا حَرُمَ أَكْلُهَا ".[167]

ثالثاً: دينياً

كان من منهج النبي صلى الله عليه وسلم الاهتمام بحال الصحابة وتربيتهم تربية إيمانية متينة والنهوض بحالهم عقدياً وأخلاقياً وكذلك بجانب التعامل مع بعضهم والتعبد مع ربهم إلى أحسن حال، فرسخ النبي صلى الله عليه وسلم الوحدة العقدية الشاملة بين الصحابة كأساس يبنى عليه نجاح المجتمع وحماية الوطن، فروى البخاري في صحيحه وبسنده إلى عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ - وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: " بَايِعُونِي عَلَى: أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ،....."[168]

وكذلك عندما أرسل الوفود ليعلموا الناس دينهم ويدعوهم إلى ربهم كان أول أعمالهم دعوة الناس لشهادة "أن لا إله إلا الله" وهذا ما صنعه معاذ عندما ذهب إلى اليمن.[169]

كما ركز النبي صلى الله عليه وسلم على العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج لبناء الجانب الروحي للفرد المسلم الذي يرتقي المجتمع به ويزده الوطن بنمائه، روى البخاري في صحيحه وبسند إلى أبي هريرة أن أعرابياً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَالَ: " تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ". قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا. فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا ".[170]

---

[167] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب البيوع، باب جلود الميتة قبل أن تدبغ، (81/3)، رقم الحديث 2221.

[168] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، (12/1)، رقم الحديث 18.

[169] يُنظر: مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، (1 / 37)، رقم الحديث: 19.

[170] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، (105/2)، رقم الحديث 1397.

عندما يكون بناء الجانب الروحي للفرد المسلم سليماً سيتشكل في المجتمع وحدة قوية راسخة تحمي الوطن وتحافظ عليه وتذود عن حياضه وترد الطامعين والطامحين في تمسكه ووحدته، لذلك كان من منهج النبي صلى الله عليه وسلم القيام بالأعمال الجماعية التي تغذي هذا الجانب وتقويه فقام صلى الله عليه وسلم ببناء المسجد الذي يعتبر اللبنة الأولى لاجتماع الناس ولقائهم وتعارفهم ودعوتهم وتعلمهم أمور دينهم، ومن ثم حضّ على صلاة الجماعة وكان لها من الأثر العظيم والثواب الكبير في الإسلام لاجتماع الناس وتوحدهم ولقائهم بشكل يومي ومن ثم أكد صلى الله عليه وسلم على تسوية الصفوف التي بها يتحقق التماسك الاجتماعي والقيم التعبدية من صحة عبادة وسلامة سريرة لتشكل عندنا بذلك بناء لمجتمع قويم سليم يستطيع أن يحفظ القيم وأن يدافع عن الوطن.

وكان من منهجه صلى الله عليه وسلم أيضاً أنّه اهتمّ بالجانب الأخلاقي الذي يحافظ على علاقات الأفراد في المجتمع من خلال تعاملهم وتعارفهم، فأكد على قيم الصدق تارة وكذلك الأخلاق الحميدة أخرى، وبدأ الانتقال الى العهد المدني بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وتوثيق العلاقات وتوطيد الصِلات، والهدف السامي من هذه الأعمال هو النهوض بالمجتمع على مستوى الفرد والمجتمع للوصول الى وحدة متينة تستطيع أن تواجه التحديات وتحل المتغيرات وتحفظ الدين والأرض.

المطلب الثاني: ترسيخ مفهوم السمع والطاعة والاستجابة لولي الأمر

إنّ مفهوم السمع والطاعة له أهمّية كبيرةٌ في أعمالنا ومجتمعاتنا وقيام أي دولة أو سلامة أي عمل، فلا بدّ من وجود هذا المبدأ الأصيل الذي يحمي الوطن ويأصل ثباته، ويرسخ بنائه، قال الله تعالى: **{** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**}**[171]، فجعل الله تعالى طاعته من طاعة الرسول ومن ثم من طاعة ولي الأمر، وهذا المنهج الرباني القويم هو الأساس الذي لابدّ أن نعمل عليه للوصول إلى استقرار المجتمع والوطن وحمايته.

هذا وقد رسخ النبي صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ في مواطن كثيرة في السنّة النبوية ومنها ما رواه مسلم في صحيحه وبسنده إلى عبد الله بن عمر رضي اللَّهُ عنهما، عن النَّبي صلى الله عليه

[171] {النساء: 59}.

وسلم قَالَ: "عَلى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ فِيما أَحَبَّ وكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإذا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طاعَةَ".[172]

وفي رواية أخرى عن ابن عمر رضي اللَّهُ عنهما قَالَ: كُنَّا إِذَا بايَعْنَا رسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلى السَّمْعِ والطَّاعةِ يقُولُ لَنَا: "فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ".[173]

فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد على سلامة المنهج بالسمع والطاعة ويجعل مناطه ما كان فيه تقوى الله عزوجل، أمّا ما كان فيه معصية فلا سمع ولا طاعة، لأن الاستجابة تكون في حدود الشرع ومضماره.

روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية".[174]

ويمكن الجمع بين حديث ابن عباس وابن عمر في السمع والطاعة والصبر على الاستجابة لولي الأمر، أن السمع والطاعة يكون في طاعة الله وما فيه مصلحة العباد والبلاد المتعيّنة والمتحققة للعباد، وأما لو كان الأمر في معصية ظاهرة بيّنة لا خلاف فيها ويتعيّن عورها للناس فلا يكون حينها صبرٌ ولا طاعةٌ ولا استجابة فلا يفسد المجتمع ولا الوطن بأوامر أهل الغي والفسق والجور.

وهذا يبيّنه ويقضي في خلافه ويجمعُ أوابده ما رواه البخاري في صحيحه وبسنده إلى جنادة بن أبي أمية رضي الله عنه قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، قلنا: أصلحك الله، حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان"[175]

---

[172] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، (15 / 6)، رقم الحديث 1839.

[173] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب: كيف يبايع الناس، (77 / 9)، رقم الحديث 7202.

[174] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الفتن، باب: سترون بعدي أموراً، (47 / 9)، رقم الحديث 7053.

[175] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الفتن، باب: سترون بعدي أمورا تنكرونها، (47 / 9)، رقم الحديث 7055.

ولنا في السلف الصالح قدوةٌ حسنةٌ في فهم النصوص مجتمعة والعمل للحفاظ على الدّين والوطن وتجدر الإشارة هنا الى ما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين تولى الخلافة أمام الناس: "(أيها النّاس القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له الحق، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا سمع ولا طاعة) وكذلك ما أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن سيرين قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا استعمل رجلاً كتب في عهده: (اسمعوا له وأطيعوا ما عدل فيكم) "[176]

قال العلماء كما حكى النووي معناه: " تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت معصية، فلا سمع ولا طاعة ".[177]

روى مسلم في صحيحه وبسنده إلى عبد الله بن عمر رضي اللَّهُ عنهما قالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: "مَنْ خلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّه يَوْم القيامة ولا حُجَّةَ لَهُ، ومَنْ ماتَ وَهُوَ مُفَارِقٌ لِلْجَماعةِ؛ فَإِنَّهُ يمُوت مِيتَةً جَاهِلِيَّةً".[178]

وروى مسلم كذلك في صحيحه وبسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، ثُمَّ مَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ، وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبَةِ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، لَا يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي بِذِي عَهْدِهَا، فَلَيْسَ مِنِّي"[179]

وفي الخبر بيان أهمّية الطاعة والاستجابة ومدى خطورة مفارقة الجماعة والفرقة، وهذه المفاهيم من أهمّ الأصول التي تحمي الوطن وتعزز الارتباط والتماسك في المجتمعات، من اجتماع واتحاد وسمع وطاعة ونبذ الفرقة والخلاف، والتشرذم والشتات، أضف إلى ذلك أن أمّة الحبيب المصطفى لابدّ لها من وحدة الصف والتكاتف والالتفاف حول الأئمة المهدين بالكتاب والسنّة، لأن الوطن لا يحفظ إلا بذلك ولا يستقر إلا ببنائه السليم وركنه القويم، قال عبدالله بن

---

[176] أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفي: 571هـ)، **تاريخ دمشق**، ت: عمرو بن غرامة العمرو، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م، عدد الأجزاء: 80 (74 و6 مجلدات فهارس)، (286/12).

[177] أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثانية، 1392، عدد الأجزاء: 18، (224/12).

[178] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، (22 / 6)، رقم الحديث 1851.

[179] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، (6 / 20)، رقم الحديث: 1848.

مسعود رضي الله عنه في خطبة له " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهَا حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَمَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ "[180] وكذلك ما روي عن الحسن البصري رحمه الله تعالى: " هُمْ يَلُونَ مِنْ أُمُورِنَا خَمْسًا: الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ وَالْعِيدَ وَالثُّغُورَ وَالْحُدُودَ، وَاللَّهِ مَا يَسْتَقِيمُ الدِّينُ إِلَّا بِهِمْ، وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا، وَاللَّهِ لَمَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِمْ أَكْثَرُ مِمَّا يُفْسِدُونَ، مَعَ أَنَّ - وَاللَّهِ - إِنَّ طَاعَتَهُمْ لَغَيْظٌ، وَإِنَّ فُرْقَتَهُمْ لَكُفْرٌ ".[181]

إنّ لزوم الجماعة ووحدة الكلمة وذمّ التشرذم والفرقة من أوجب الواجبات اليوم وذلك لحفظ شوكة المسلمين وحفظ ديارهم وأوطانهم ومن هذا ما رواه مسلم في صحيحه وبسنده إلى عرفجة الأشجعي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ"[182]، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم وحدة الكلمة والتزام الجماعة أعظم من الدم المعصوم وهي من باب المفاضلة بين المصالح والمفاسد وهو باب عظيم من أبواب المقاصد الذي لا يسعنا بسط الكلام فيه.

وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم الأصول التي لابدّ أن نعتمد عليها في الاستجابة حتى ولو كان الأمير المكلف بأي مهمة في المجتمع مختلف الأوصاف قادراً للمهمة أو لا، ولكن لابدّ من الاستجابة والصبر والعمل على الإصلاح والنصح بالرفق واللين، لحفظ الأمانة وإقامة الديانة ومن هذا ما رواه البخاري في صحيحه وبسنده إلى أنس رضي الله عنه قال: قال رسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "اسْمَعُوا وأطِيعُوا وإنِ اسْتُعْمِلَ علَيْكُمْ عَبْدٌ حبشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ"[183] وكذلك ما أخرجه الآجري بسنده إلى سويد بن غفلة رضي الله عنه قال: قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لعلك أن تخلف بعدي فأطع وإن كان عبداً حبشياً، وإن ضربك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن دعاك إلى أمر منقصة في دنياك فقل: سمعاً وطاعة دمي دون ديني".[184]

---

[180] أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفي: 360هـ)، **الشريعة**، ت: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، ط: الثانية، 1420 هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 5، (1 / 298).

[181] ابن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم**، (2/ 117).

[182] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الإمارة، باب: من فرق بين المسلمين وهو مجتمع، (6 / 23)، رقم الحديث: 1852.

[183] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الْأَذَانِ، بَابُ إِمَامَةِ الْعَبْدِ وَالْمَوْلَى، (140/1)، رقم الحديث 639.

[184] الآجري، **الشريعة**، مقدمة باب في السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين والصبر عليهم وإن جاروا وترك الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة، (40)، حديث رقم 72.

المطلب الثالث: تعيين القادة في المهمات وإسناد المسؤوليات إليهم

إنّ من المنهج الإداري القويم الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم واعتمد عليه في بناء الدولة وحماية الوطن هو تعيين القادة الأفذاذ أصحاب المهمات الملحّة بحسب قدراتهم واستطاعتهم وقوة شخصيتهم الإدارية، روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً [185]، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، فطُعِن في إمارته، فقال: " إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبله، وايم الله إن كان لخليقاً للإمرة، وإن كان لمن أحب النّاس إليَّ، وإن هذا لمن أحب النّاس إليَّ بعده".[186]

إن الاستجابة للأمير والاجتماع عليه هي سنّة متوارثة من مشكاة النبوة ولا يصلح حال بلدٍ أو يستقيم نسيم أرض أو تحفظ حدود وطن بغير السمع والطاعة والإمارة ووجود قادة فاتحين مطاعين راسخين ثابتين قادة وجنداً فهموا المهمة ووعوا القضية في الدّفاع والحفاظ على أرض الأوطان.

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم من قادة الصحابة إلى الأمصار وانتدبهم لمهمّات عظيمة في نشر الدعوة وتبليغ الرسالة وتوسيع حدود الأرض والوطن، فروى مسلم في صحيحه وبسنده إلى معاذٍ رضي الله عنه قال: بعَثني رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليَمن فَقَالَ: " إنَّكَ تأْتي قَوْمًا منْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إلى شَهَادةِ أَنْ لا إله إلاَّ اللَّه، وأَنِّي رسولُ اللَّه، فَإنْ أَطاعُوا لِذلكَ، فَأَعْلِمهُم أَنَّ اللَّه تَعالى افْتَرَض عَلَيْهِمْ خمْسَ صَلواتٍ في كلِّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ، فَإنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلكَ، فأَعْلِمهُم أَنَّ اللَّه افْتَرَض علَيْهِمْ صَدقة تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهم فَتُردُّ عَلى فُقَرائِهم، فَإنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلَكَ، فَإيَّاكَ وكَرائِم أَمْوالِهم وَاتَّقِ دَعْوةَ المظْلُومِ، فَإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وبيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ".[187]

وأمّر النبي صلى الله عليه سلم كذلك سيف الله المسلول، على كثيرٍ من الغزوات، وحارب أهل الردة وردهم إلى جادة الصواب وقاتل مسيلمة الكذاب وغزا العراق، وشهد حروب الشام،

---

[185] أي أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية.

[186] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: الأيمان والنذور، باب: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وايم الله"، (8 / 128)، رقم الحديث: 6627.

[187] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، (1 / 37)، رقم الحديث: 19.

ومناقبه غزيرة وقيادته معروفة مشهورة، وأمّره الصدّيق كذلك على سائر أمر الأجناد، فحاصر دمشق وفتحها مع أبي عبيدة.[188]

وسار على هذا الأمر الصحابة الكرام والخلفاء المهديين بعد النبي صلى الله عليه وسلم فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولى قيادة الجيش الزاحف على تخوم الشّام أبو عبيدة بن الجراح خلفاً لخالد بن الوليد، فتمّ له فتحها، وبلغ الفرات شرقاً وآسيا الصغرى شمالاً، وكان رقيقاً متواضعاً، "وقد مات سنّة 18هـ في طاعون عمواس بين الرملة وبيت المقدس وله ثمان وخمسون سنّة".[189]

وعلى هذا نهج وسلك أصحاب الإمارة في استعمال القادة الصالحين وانتقائهم معتمدين على ذكائهم وقوة شخصيتهم وفطنتهم وحسن إدارتهم وسرعة اتخاذ القرار مع كونه موفق ومسدد، ولعلّ نجاح هذا الأمر هو من أهمّ القضايا التي تحفظ الأوطان وتسعى للمّ شتات شملها وحفظ ترابها بعيداً عن الضياع والفرقة.

المطلب الرابع: تأسيس القضاء لرفع المظالم وإنصاف الناس

إنّ أي وطنٍ لابدّ له من مؤسسات للحفاظ عليه وحمايته وضمان استمراره، وإن مهمّة القضاء ورفع المظالم عن النّاس لهي من أهمّ الأمور وأوجب الواجبات التي ينبغي العمل عليها وتهيئة الأسباب التي تقضي بها بكل نزاهة وحياد، فلا يُتخيل وجود وطنٍ قائمٍ ترتع فيه الظّلمات وينتصر القوي على الضعيف وتُأكل الحقوق لنصل بذلك لحُكم قانون الغاب الذي لا يستطيع أن يحيى في ظِلّه أحد، لذلك قال تعالى: **{** إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاس أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**}**[190].

---

[188] يُنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (1/366-367).

[189] يُنظر: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت 230هـ)، **الطبقات الكبرى**، ت: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، 1410 هـ - 1990 م، عدد الأجزاء: 8، (7/269).

[190] {النساء: 59 – 58 }.

وبيّن لنا النّبي صلى الله عليه وسلم أهمّية هذا الأمر ووضوح منهجه للوصول الى السلامة في الدارين، ومن هذا ما رواه مسلم في صحيحه وبسنده إلى عائشة رضي الله عنها نقلت ما قَاله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنَّما أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عليه الحَدَّ، وايْمُ اللَّهِ لو أنَّ فَاطِمَةَ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"[191]، وفي الخبر إشارةٌ عظيمةٌ ولطيفةٌ رائعةٌ على أهمّية الحكم بالعدل بين النّاس، وفيه قسم النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي لا يُقسم إلّا لعظيم، لو أن ابنته سرقت لأقام عليها الحد وهذا فيه بسط عدلٍ ومزية إنصافٍ و كمال مساواةٍ بين الخلق لقيام الوطن واستقراره وبسط السلام والأمن في ربوعه.

المطلب الخامس: تقسيم الأمصار وتعيين الولاة لسهولة إدارة الدولة والدّفاع عنها

إنّ من الأمور المهمّة التي تعين على إدارة الدولة وحفظ الوطن ومؤسساته هو تقسيم الأمصار فيها وتعيين الولاة ومتابعتها بشكلٍ مركزي من إدارة الدولة لحفظ الوطن وبسط الأمن والأمان وسهولة الدّفاع عن الثغور في حال الاعتداء على أرض دولة الإسلام من أطرافٍ شتى وبقاعٍ متفرقة.

كان من منهج النبي صلى الله عليه وسلم تعيين الأمراء والولاة واستعمالهم وتوكيلهم، وتنوعت بذلك طرق اختيار الخلفاء في النظام السياسي الإسلامي، فقد كانت طرق اختيار الولاة وعمّال الدولة متنوّعة وفريدة، ولقد وضع رسول الله صلى الله عليه سلم منهجًا عامّاً لمن يتولَّى الإمارة وأراد أن يتصدر لها أو يعمل في ميدانها، روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، لاَ تَسْأَلْ الإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا ".[192]

وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم أهمّية الإمارة وعظمها وأنّها تكليفٌ وأمانة وهي يوم القيامة وبالٌ على من أخذها بغير حقها، وسار الصحابة الكرام على هذا النهج الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم، وأنّ الأصل في الإمارة التكليف وأخذها بحقها مع وجود القدرة في صاحبها وحامل رايتها ودافع الأعداء عن حياضها، روى مسلم في صحيحه وبسنده إلى أبي ذر رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم

---

[191] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم، (4 / 175)، رقم الحديث 3475.

[192] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: الأيمان والنذور، باب: قول الله: لا يؤاخذكم الله في باللغو في أيمانكم، (8 / 127)، رقم الحديث: 6622.

قال: "يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامة خِزْيٌ وَنَدَامة، إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا".[193]

إنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرص على تعيين الأمراء الذين تتوافر فيهم الكفاءة والقدرة مع القوة التي تمكّنهم من حمل الأمانة وأداء الرسالة، ولم يكن هناك اعتبارٌ لقربٍ أو علو منزلة تُأخذ بعين الاعتبار عند اختيار الأمراء فقد ولّى النبي صلى الله عليه وسلم إمارة اليمن لباذان بن ساسان[194] - من ولد بهرام جور- ذكر ابن القيم في زاد المعاد في تولية باذان فقال: "أمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل اليمن كلّها بعد موت كسرى، فهو أول أمير في الإسلام على اليمن، وأوَّل من أسلم من ملوك العجم، ثم أمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت باذان ابنه شهر بن باذان على صنعاء وأعمالها، ثم قُتِل شهر، فأمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص، وولَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر بن أبي أمية المخزومي رضي الله عنه كندة والصَّدف.."[195]

واقتفى هذا الطريق الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم مقتدين بهداه مقتبسين من نور حكمته وإدارة شؤون البلاد وحماية الأوطان، ومن هذا ما سلكه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما وضع طريقاً وشروطاً فيمن يتولّى الإمارة، معتبراً أنّه لا يصلح الوالي إلا بأربع خصال، إن نقصت واحدة لم يصلح له أمر، وهي " قوة على جمع المال من أبواب حلِّه، ووضعه في حقِّه، وشدة لا جبروت فيها، ولين لا وهن فيه".[196]

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقدّم الولاة حتى يختبرهم سراً وعلانية ويسأل عنهم أهل الصلاح والفلاح، ويأتي بهم وينصحهم ويختبر عزيمتهم وقوة شكيمتهم، ويركز على رحمة العمّال والولاة ولين قلوبهم، وكان يشترط عليهم ألا يُغلقوا بابهم دون حوائج الناس، كما

---

[193] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الإمارة، باب: كراهة الإمارة بغير ضرورة، (6 / 6)، رقم الحديث: 1825.

[194] هو آخر حاكم فارسي لكسرى في اليمن اعتنق الإسلام في السنة 6 للهجرة، واسمه باذان بن ساسان بن بلاش ابن الملك جاماساف بن الملك فيروز بن يزدجر الملك، بن بهرام جور ملك فارس. يُنظر: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 456هـ)، **جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم**، ت: إحسان عباس، الناشر: دار المعارف - مصر، ط: 1، 1900 م، (صـ 23).

[195] ابن القيم، **زاد المعاد**، (1 / 125).

[196] أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (المتوفي: 520هـ)، **سراج الملوك**، الناشر: من أوائل المطبوعات العربية – مصر، د: ت، تاريخ النشر: 1289هـ، 1872م، (صـ 50).

كان لا يُوَلِّي عملاً لرجل يطلبه، وقد سار على النهج اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ قال لطالب عمل أراد الإمارة والتصدر لها: "إِنَّا لا نَسْتعين عَلَى عَمَلِنَا بِمَنْ يَطْلُبُهُ".[197]

وبناءً على هذه السياسة الحكيمة التي انتهجها عمر رضي الله عنه وجدنا بالاستقراء أن كثيراً من هؤلاء الولاة كانوا على درجة كبيرة ومكانة عليّة من الكفاءة والجدارة والقدرة الإدارية والذكاء المجتمعي، فكان من أبرز ولاة ابن الخطاب رضي الله عنه الصحابي الجليل والقائد المغوار عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي استطاع أن يفتح مصر بثلاثة آلاف وخمسمائة جندي [198]، وبعد فتح مصر استطاع رضي الله عنه أن يقدم الكثير من المشاريع والأعمال المهمة التي عادت على البلاد بالخير والنفع، وكذلك على بيت مال المسلمين، وأسس عمرو رضي الله عنه حاضنة اجتماعية متينة بينه وبين أهل مصر؛ فكان يحب شعبها ويحبونه، ونعموا في ظلِّ حكمه بالعدل والحرية، وفيها قام بتخطيط مدينة الفسطاط [199]، وأعاد حفر خليج أمير المؤمنين المُوَصِّل إلى البحر الأحمر لنقل الغنائم إلى الحجاز بحراً [200]، وأنشأ بها جامعاً سُمِّيَ باسمه، رضي الله عنه وأرضاه.

ومن ذلك أيضاً إذا بحثنا في سير التابعين نجد النماذج الكثيرة، ومن هذا في صدر الخلافة الأموية وفي عزّ ازدهارها وامتدادها، لمّا ولَّى عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز لإمارة مصر، فكان مما نصحه به: "ابسط بشرك، وأَلِن كنفك، وآثر الرفق في الأمور، فإنه أبلغُ بك، وانظر حاجبَكَ فليكن من خير أهلِكَ، فإنه وجهك ولسانك، ولا يقفنَّ أحد ببابك إلا أعلمك مكانه؛ لتكون أنت الذي تأذن له أو تردُّه، وإذا خرجتَ إلى مجلسك فابدأ بالسلام يأنسوا بك، وتثبُتْ في قلوبهم محبَّتك، وإذا انتهى إليك مُشكلٌ فاستظهر عليه بالمشاورة؛ فإنها تفتح مغاليق الأمور، وإذا سخطت على أحدٍ فأخِّر عقوبته؛ فإنك على العقوبة بعد التوقُّف عنه أقدرُ منك على ردِّها بعد إمضائها".[201]

---

[197] النسائي، **سنن النسائي**، كتاب: آداب القضاة باب ترك استعمال من يحرص على القضاء، (224/8)، حديث رقم 5382.

[198] عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (المتوفي: 257هـ)، **فتوح مصر والمغرب**، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، د: ت، د ط، عام النشر: 1415 هـ، (صـ 65).

[199] المصدر السابق نفسه، (صـ 105).

[200] المصدر السابق نفسه، (صـ 179).

[201] محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت 709هـ)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، ت: عبد القادر محمد مايو، الناشر: دار القلم العربي، بيروت، ط: الأولى، 1418 هـ - 1997 م، (126).

فلله درّه من جميل نصحٍ وبيان معنى الحكمة في القيادة والتركيز على مواطن القوة وما يجب أن يفعل القائد لنجاحه وحماية حدود بلده التي وضعت أمانة في عنقه.

فتقسيم الإمارة إلى ولايات ليسهل إدارتها ويُضبط شأنها ويعين القادة في بذل الجهد للحفاظ على الأمصار وازدهار وتطورها وإخماد الفتن الداخلية ورد أطماع الأعداء المتسلقين من الخارج من الأشياء الأساسية التي تحفظ الأوطان وتنشر الأمن وتبسط الأمان بين الناس.

المطلب السادس: تشكيل نظام الحسبة والشرطة وتنظيم الجيوش وصنع العتاد

إنّ من غير المتصور قيام وطن بأركانه وقوامه مالم يكن فيه ولاية تقضي برفع الظلم عن النّاس وتسيير حياتهم وتنظيم أعمالهم اليومية وحماية بعضهم بعضاً، وبغير ذلك ستصير أحوال الخلق الى الظّلم والظّلمات التي يشوبها حكم الغاب، قال الله تعالى: **{** ولا تحسبنَّ الله غافلا عما يعمل الظالمون**إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار**مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء **}** [202]،وقال سبحانه: **{** ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء**}**.[203] ولابدّ من وجود نظامٍ يقضي بتنفيذ الأحكام الصادرة عن القضاء وهو ما يعرف في الإسلام بنظام الحسبة، فالظلم قديمٌ قِدم الإنسان، فمنذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض، وجد الظلم معه، فكان يلجأ إلى الظلم لِفرض هيبته، وجبروته على فردٍ أو مجموعة أفراد، وقد يجد من يزجره ويردعه، أو من يوافقه وينهج طريقته، وقد عمّ الظلم والنزاع أرجاء الجزيرة العربية قبل البعثة، وساد فيها الجور حتى استطاع العرب بفطرتهم إيجاد حلّ لهذا الأمر، ومن نماذجه ما يسمّى بحلف الفضول الذي كان من أسباب انعقاده الظلم الذي وقع لرجل من اليمن، قدم مكة لبيع بضاعة له فاشتراها منه العاص بن وائل، وكان ذا قدرٍ بمكة وشرف، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي - صاحب السلعة - الأحلاف، عبد الدار ومخزوماً وعُدي بن كعب وغيرهم، فأبوا أن يبعثوه على العاص، وزجروه وانتهروه، فلما رأى الزبيدي ذلك منهم وأحس بالظلم الذي حاق به صعد عند طلوع الشمس على جبلٍ بمكة يسمى أبي قبيسه، وقريش تمكث حول الكعبة، ونادى بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته..... ببطن مكة نائي الدار والنفر

---

[202] {إبراهيم: 42-43}.

[203] {إبراهيم: 27 }.

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال: ما لهذا مترك، فاجتمعت هاشم وزهرة، وتميم في دار عبد الله بن جدعان، أحد رجال الكرم والجود والإطعام والضيافة في ذلك العهد، فصنع لهم طعاما، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام قياما، فتعاقدوا، وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يؤدى حقه، فسمت ذلك الحلف حلف الفضول ثم مشوا إلى العاص بن وائل، فانتزعوا منه بضاعة الزبيدي ودفعوها إليه وفي هذا الحلف قال الزبير:

إن الفضول تحالفوا وتعاقدوا..... ألا يقيم ببطن مكة ظالم

أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا..... فالجار والمعتر فيهم سالم "[204]

هذا الحلف حصل قبل الإسلام وأجمع العقلاء أن غايته شريفة، ولذلك كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه أقر هذا الحلف وكان يَفخر به ويُعظّم من شأنه في صدر الإسلام وتبليغ الدعوة، حتى إنّه لو دعاه به أحدٌ لأجابه كما يدعو لمكارم الأخلاق وحسن المعاملة، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: "شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي، وَأَنَا غُلَامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ، وَأَنِّي أَنْكُثُهُ"[205].

وقد نظر الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه، إلى هذا الحلف وأشاد فيه وقرر مضمونه لما فيه من الفضائل الكثيرة من رفع الظلم وإقامة العدل ورد الحقوق لأصحابها، بغض النظر عن الشخص وانتمائه وكونه ذا قوة وشوكة ومنعة أو ضعيفاً يتردد خشية إضاعة حقه، فلا يمكن لدولة أن تقوم ولا نظام حكم أن يسود أرضاً ويحافظ عليها بغير وجود العدل والإنصاف والقانون الذي يحمي الحقوق ويلزم الواجبات.

إن أول من أفرد للمظالم يوماً يتصفح فيه قصص المظلومين هو عبد الملك بن مروان، ثم جلس للمظالم بعده الخليفة عمر بن عبد العزيز، وكان قوياً في الحق، ودفع الظلم عن المظلوم، فردّ مظالم بني أمية على أهلها، حتى قيل له، وقد شدد عليهم: "إنّا نخاف عليك من ردها العواقب، فقال: كل يوم أتقيه وأخافه دون يوم القيامة لا وقيته"[206]، وقد اقتفى بنو العباس أثر الدولة الأموية،

---

[204] يُنظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، (2 / 365).

[205] أحمد، **مسند أحمد**، مسند عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه، (3 / 193)، رقم الحديث: 1655.

[206] أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفي: 733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د: ت، ط: الأولى، 1423 هـ، (2 / 249).

فكان أول من جلس لها الخليفة المهدي، ثم الهادي، ثم الرشيد، ثم المأمون، يتناوبون عليها ويدفعون الظلم ويقومون الأمر، لحفظ الخلافة وتقويم الناس وسلامة الثغور الداخلية والخارجية.

فرفع الظلم عن الناس الذي يفضي لتحسين حالهم واستقرارهم النفسي والمعيشي في ظل أرضٍ كريمة وحياة عزيزة ووطن قوي، هو من أعظم القربات إلى الله تبارك وتعالى وأوجب الواجبات كذلك، هذا وجُعلت هذه المهمّة العظيمة موكلة الى أمير الدولة حامي حماهما وحافظ أركانها، لأن رفع المظالم لا يقوى عليه أي أحد، بل يحتاج إلى قوة وسطوة ومنعة، لذلك عندما يسود العدل وتحفظ الحقوق يسود الأمن والأمان في المجتمع ويُحفظ الوطن وحدوده من الداخل والخارج وتتماسك وحدة أرضه.

المَبْحَثُ الثالث: خيانة الوطن في السنّة النبويّة

المطلب الأول: مفهوم الخيانة.

أ-المعنى اللغوي:

الخون: الانقطاع، يُقال: خان الدلو الرشاد، إذا انقطع، والخيانة التفريط في الأمانة. [207]

وعليه نجد أن معنى الخيانة كما يظهر في اللغة هو: النقص والضعف من جانب، والانقطاع والتفريط من جانب آخر.

ب- المعنى الاصطلاحي:

وهو على ما عرّفها الجاحظ فقال: " الخيانة هي الاستبداد بما يؤتمن الإنسان عليه من الأموال والأعراض والحرم وتملك ما يستودع ومجاحدة مودعه، وفيها أيضاً طي الأخبار إذا ندب لتأديتها، وتحريف الرسائل إذا تحملها فصرفها عن وجوهها ".[208]

---

[207] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفي: 538هـ)، **أساس البلاغة**، ت: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1419 هـ - 1998 م،(صـ 172).

[208] أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفي: 421هـ)، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، ت: ابن الخطيب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، ط: الأولى، عدد الأجزاء: 1، (صـ 329).

وقال ابن عاشور[209]: " وحقيقة الخيانة عمل من اؤتمن على شيء بضد ما اؤتمن لأجله، بدون علم صاحب الأمانة ".[210]

وخيانة الوطن هي التفريط بحدود ديار الإسلام وضياع الأمانة التي أناطها الله تعالى بعباده لقيام العدل في أرضه وإعمارهم إيّاها والعمل فيها بالإنصاف والعدل ليعيش النّاس في سخاء ورخاء تحت مظلّة الإسلام وأحكامه، ولا شك أن عقوبة الخيانة عظيمة وشنيعة وهي غير مقبولة أو متصورة والله لا يحب الخائنين.

المطلب الثاني: الآيات القرآنية التي تبين حكم الله تعالى في الخيانة

1- قال تعالى:**{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**}**[211]

وسبب نزول هذه الآية على ما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان[212] " أن النبي صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة، إحدى وعشرين ليلة، وأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا إلا على الحكم فرفضوا، وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحهم وهو حليف لهم فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فلما أتاهم قالوا: يا أبا لبابة أننزل على حكم محمد صلى الله عليه وسلم فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه: إنه الذبح فلا تنزلوا على الحكم. فأطاعوه، وكان أبو لبابة وولده معهم فغش المسلمين، وخان فنزلت في أبي لبابة: **{** يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**}**، إنها خيانة، ثم حذرهم فقال: **{** وَاعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ **}** يعني بلاء لأنه ما نصحهم إلا من أجل ماله وولده لأنه كان في أيديهم"[213]

---

[209] محمد الطاهر بن عاشور، (ولد بتونس سنة 1296 هـ - 1393 هـ)، وهو عالم وفقيه تونسي، أسرته منحدرة من الأندلس ترجع أصولها إلى أشراف المغرب الأدارسة، تعلم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار أساتذته، وله تفسير مشهور ومعروف وكتب في علم المقاصد فأبدع. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (174/6).

[210] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفي: 1393هـ)، **التحرير والتنوير**، د: ت، د ط، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنّة النشر: 1984 هـ، (174/24).

[211]{ الأنفال: 27}.

[212] هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (توفي بالبصرة سنة 150هـ)،ويعتبر من أعلام المفسرين صاحب التفسير المسمى "تفسير مقاتل"، أصله من بلخ في أفغانستان، وانتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (281/7).

[213] يُنظر: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفي: 150هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ت: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط: الأولى - 1423 هـ، سورة الأنفال، (2 / 109).

وفي سبب نزول الآية دلالة صريحة على حرمة الخيانة وأن الولاء لله ودينه والاتباع لسنّة نبيه والبراء من الكفر والشرك وأهله، ومهما كان من صلة للقرابة أو مودة وصحبة فإن الله حرّم الخيانة وجعل النصح وحفظ الأمانة مزية لأمّة الإسلام.

2- وقال تعالى:{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ }[214]

وسبب نزول هذه الآية على ما ورد في تفسير بحر العلوم للسمرقندي: "«نزلت في بني قريظة، كعب بن الأشرف وأصحابه، لأنهم عاهدوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم نقضوا العهد وأعانوا أهل مكة بالسلاح على قتال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا، فعاهدهم مرة أُخرى، فنقضوا العهد»"[215]

إنّ من المعلوم في سياق القرآن الكريم وقصص السابقين أن من صفات اليهود القبيحة نقدهم للمواثيق والخيانة والغدر وقد ذكر الله تعالى صفاتهم وذمها في مواطن كثيرة في القرآن، وهذا فعل كعب وهو من سادات اليهود وممن خان العهد والميثاق، وإن هذه الصفة لتقدح في عدالة الرجل في مجتمعه وبين أهله وإخوانه وأثناء تعاملاته لما تلازم صاحبها من خزي وخسارة.

3- وقال تعالى: {وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [216]

وسبب نزول هذه الآية على ما ورد في تفسير الوسيط للواحدي، قال: " نزلت في العباس وأصحابه من الأسارى، قال ابن جريج: أراد بالخيانة ههنا الخيانة في الدين وهو الكفر، يعني: إن كفروا بك، {فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ}[217] أي: كفروا بالله، فأمكن منهم المؤمنين ببدر حتى قتلوهم وأسروهم، وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى القتال ومعاداة المؤمنين، والله عليم بخيانة إن خانوها، حكيم في تدبيره عليهم ومجازاتهم إياهم ".[218]

---

[214] { الأنفال: 58}.

[215] السمرقندي، **بحر العلوم**، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفي: 373هـ)، سورة الأنفال، (2 / 27).

[216] { الأنفال: 71}.

[217] المصدر السابق نفسه.

[218] الواحدي، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الشافعي (المتوفي: 468هـ)، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1415 هـ - 1994 م، عدد الأجزاء: 4، سورة الأنفال، (2 / 473).

وصف الله تبارك وتعالى الكفر في هذه الآية بالخيانة وكفى بهذا الوصف للخيانة من قُبح يحمل صاحبها على تحمل أوزار آثامها القبيحة، فخيانة الله ورسوله في دينه أو في أرضه وعباده، هي محرمة وذلك ظاهرٌ في استقراء النصوص وتتبع الأقوال من كتاب ربّنا وسنّة نبينا، فلا بدّ للإنسان أن يحذر كل الحذر من خيانة الله وإنّ من أهمّ معاني الخيانة التي سلف ذكرها هي خيانة الله في أرضه الذي كلف الإنسان المسلم تكليفاً شرعياً بالحفاظ عليها والذود عنها والدّفاع عن ثغورها والذب عن حياضها واستخلفه فيها واستعمره في تطويرها وبنائها والسعي لتقدمها واستقرار أهلها، فشرع لحفظ حدودها الجهاد الذي فيه بذل الدماء والنفس والمال ومهلكة للجسد، فكيف يتصور بمن يخون الله في أرضه ويفتك بديار عباده.

المطلب الثالث: الأحاديث النبويّة التي تحدثت عن الخيانة

أ- ما رواه البخاري في صحيحه وبسنده الى عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ ". [219]

وفي الخبر تشنيع كبير لمن اتصف بالصفات السابقة، إذ وصف النبي صلى الله عليه وسلم من تلبّس واعتنق هذه الصفات بالنفاق أو بعض خصاله، فالخيانة والغدر والكذب والفجور من المهلكات للمجتمعات، تفتت بنيتها وتدمر تماسكها، وتجعلها سهلة لينة في وجه الرياح التي تعصف المجتمع.

قال الخولي[220] في شرح الحديث: " يبيّن الرسول صلى الله عليه وسلم أن من وجدت فيه أربع خصال كان منافقاً خالصاً ومن وجد فيه بعضها كان لديه من النفاق بقدر ما وجد فيه، وتلك الخصال هي خيانة الأمانة، والكذب في الحديث، والغدر في المعاهدة، والفجور في المخاصمة وحقاً إنّها لكبائر موبقة وجرائم مرديه، لا تصدر عن مؤمن ملأ الإيمان قلبه، فخيانة الأمانة ظلم

[219] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المظالم، باب إذا خاصم فجر، (3 / 131)، رقم الحديث 2459.

[220] هو محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي، (ولد في الحامول بالمنوفية في مصر سنة 1310 هـ - وتوفي بالقاهرة سنة 1349 هـ)، تخرج من مدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة، له كتب منها: مفتاح السنّة أو تاريخ فنون الحديث، الأدب النبوي، إصلاح الوعظ الديني. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (209/6).

لصاحبها ونزع للثقة من نفوس النّاس بخائنها، وهي نوع من السرقة، وقد فسروا الخيانة: بأنها التصرف في الأمانة بغير وجه شرعي كبيعها أو جحدها أو انتقاصها أو التهاون في حفظها ".[221]

فالخيانة تُورث صاحبها المهالك، وتجهل ثقة النّاس فيه معدومة، ونظر الله إليه هيّن، لأن من اقترف هذه الخصلة فقد أودى بنفسه الى بحر الظلمات العميق الذي لا يُنظر من خلاله ولا يُقتبس من مياه ولا يُهتدى بطريقه أو مناراته.

ب- وروى البخاري في صحيحه وبسنده الى عمران بن حصين رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» - قَالَ عِمْرَانُ: لاَ أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً - قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ"[222]

ومما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في بيان الحديث أن الأمّة سيأتي عليها زمانٌ تسود فيه الخيانة وإضاعة الأمانة ويُطلب من أحدهم أن يُقدّم شهادته فلا يفعل، ولا شك أن هذه الصفات التي أخبر النبي عنها على سبيل التحذير والتخويف من أجل اجتنابها والابتعاد عنها، وعلى سبيل الإخبار عن أحوال النّاس التي يسود زمانهم الشتات والضياع أيضاً، وإن قوماً لو اتصفوا بهذه الصفات فسلامٌ على الدنيا ومن فيها وضيعة الوطن الذي يعيشون في ظلّه كذلك.

ت - روى أحمد في مسنده وبسنده الى عبد الله بن رافع عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – قال: " لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَالْكُفْرُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ، وَلَا يَجْتَمِعُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ جَمِيعًا، وَلَا تَجْتَمِعُ الْخِيَانَةُ وَالْأَمَانَةُ جَمِيعًا ".[223]

نفى النبي صلى الله عليه وسلم مفهوم الأمانة والصدق والوفاء في حال خيانة الإنسان ووقوعه في الغدر وانغماسه في المهالك، ونلتمس في طيات الحديث تحذيرٌ شديدٌ من الخيانة

---

[221] الخَوْلي، **الأدب النبوي**، محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي (المتوفي: 1349هـ)، دار المعرفة – بيروت، ط: الرابع، 1423 هـ، (18).

[222] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، (3 / 171)، رقم الحديث 2651.

[223] أحمد، **مسند أحمد**، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (14 / 251)، رقم الحديث 8593.

وفعلها وحتى الاقتراب منها لأنّها تتنافي مع معاني الصدق والعمل الصالح، والإيمان الذي تشرب بقلب العبد المسلم.

ث - وروى الترمذي أيضاً في سننه وبسنده الى أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ".[224]

قال ابن عبد البر: " وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ وَهَذَا مَعْنَاهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ لَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ بَعْدَ أَنِ انْتَصَرْتَ مِنْهُ فِي خِيَانَتِهِ لَكَ وَالنَّهْيُ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى الِابْتِدَاءِ أَوْ مَا يَكُونُ فِي مَعْنَى الِابْتِدَاءِ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَيْسَ لَكَ أَنْ تخونه وإن كان قد خانك كما من لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَخُونَكَ أَوَّلًا ".[225]

فالخيانة لا تكون ابتداءً حتى تصح انتهاءً ولا يجوز أن يقابلها الإنسان بالمثل لسوء فعلها وقبح طبعها وعدم توافق صفاتها في شخصية المسلم المنضبط.

جـ - وروى البخاري في صحيحه وبسنده الى علي رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا، والزبير، والمقداد، فقال: " انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ؛ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوا مِنْهَا ". قَالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا، حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ. فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ. قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟ " قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ. يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفًا، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ ". فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لعلّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ". فَأَنْزَلَ

---

[224] الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب البيوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (2 / 542)، رقم الحديث 1264.

[225] ابن عبد البر، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، (20 / 159).

اللَّهُ السُّورَةَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ}. إِلَى قَوْلِهِ: {فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}".[226]

ويظهر لنا من قصة حاطب أنّ أمر الخيانة عظيمٌ جداً وذلك واضحٌ من فعل الصحابة وعلى رأسهم عمر رضي الله عنه عندما وجّه الاتهام له بقوله: " منافق " وأراد قتله، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن الأمر وفصّل فيه وقضى حكمه، وأنزل الله عزوجل قرآنا يتلى فيه من الوعد والوعيد الشديد لمن يخون الله ورسول ويتولى أعداء الدّين ويسعى في موالاتهم والتودد إليهم والانشراح لهم، تحت أي ظرفٍ كان أو علّة متحققة في فهمه أو متوهمة في نظره.

حـ - وروى مسلم في صحيحه وبسنده الى عبد الله بن عباس، قال: حدثني عمر بن الخطاب، قال: " لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ، فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ ". ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ، فَنَادِ فِي النَّاسِ: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ ". قَالَ: فَخَرَجْتُ، فَنَادَيْتُ: أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ ".[227]

وهذا الحديث فيه دلالةٌ واضحةٌ وإشارة مهمة من إنكارٍ وتشنيعٍ لمن خان الله وغلّ بغير علم رسوله وإذنه، معتبراً جزاء ذلك النبي صلى الله عليه وسلم النار مع عظم عمله وجهاده، والجزاء الذي أخبر عنه النبي المصطفى دليلٌ ظاهرٌ على عِظم الخيانة واقترافها، فالأوطان عزيزةٌ على أبنائها ولا يقوم بنيانها ولا يُحفظ كيانها إلّا برسوخ إيمانهم وقوة عقيدتهم وتمام استجابتهم.

خـ - وروى مسلم في صحيحه وبسنده الى بريدة بن الحصيب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ، فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إِلَّا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامة، فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ، فَمَا ظَنُّكُمْ؟ ".[228]

---

[226] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، (5 / 145)، رقم الحديث 4274.
[227] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب تحريم الغلول، (1 / 75)، رقم الحديث 114.
[228] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب حرمة نساء المجاهدين، (6 / 42)، رقم الحديث 1897.

وخيانة الله تعالى فيمن جاهد في سبيله أمرٌ جَلَلٌ، وفيه ما تعافه النفس وتكرهه الشيء الكثير، وهذه من خيانة الدين والأوطان، لأنّ المجاهد خرج للدفاع عن دين الله وعن أرض الإسلام، وترك أهله خلفه، وأَوكل بهم من يقوم بشؤونهم، فضيّع الأمانة وخان صاحبها، فيقف يوم القيامة وهو خصيمه أمام الملك الدّيان ليأخذ من أعماله جزاء غدره وخيانته وتقصيره في حمل الأمانة وتكامل الرسالة في الدّفاع عن الوطن، فالذي يخلف الغازي في أهله أجره كأجر المجاهد المدافع عن أرضه، فالمنظومة متكاملة من غير نقصان أو اعوجاج.

د - وروى أحمد في مسنده وبسنده إلى عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده[229]، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ خَائِنٍ، وَلَا خَائِنَةٍ ".[230]

إنّ من خزي الله لأهل الخيانة في الدنيا عدم قبول شهادتهم، لأنه من تجرء واعتدى على حرمات الله ودينه وسوّلت له نفسه الخيانة فلن يقبل النّاس له شهادة ولن تُرفع له في الأرض راية.

ذ - ورى أبو داود في سننه وبسنده الى المقبري، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ ".[231]

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم واستعاذته من الخيانة نعلم شدة مآل الخوض فيها والحذر من مفهومها، فقد ورد في الخيانة من الأخبار الكثيرة التي تفيد بالنهي عن اقترابها والانغماس فيها، ومما سبق من الأخبار وما نقله أصحاب الآثار عن النبي المختار في مفهوم الخيانة من اقترافٍ أو فعلٍ ما فيها من التحذير الشديد الذي يحمل في طياته الخزي في الدنيا بين النّاس وفي الآخرة من العذاب والتشنيع عند الحساب، فلا يُتصور أن يستقر في قلب عبدٍ مؤمنٍ عرف الله تعالى وتحقق العبودية أن يخون الله في أمانته، في دينه وأرضه وبين عباده، وأن يفسد المهمّة التي أوكلها له من الاستخلاف والاستعمار في الأرض والمحافظة عليها والدّفاع عن ترابها، ولنعلم أيضاً أن هذه الصفة مع قبحها وسوء فعالها وخسّة من اتصف بها إلّا أن الله عزوجل جعل لمن خاض غمارها سبيلاً في العودة والإنابة وهي على ما سيأتي بيانه وتفصيله...

---

[229] اختلف العلماء بالحكم على صحة هذه السلسة من الأسانيد، والراجح عند أهل العلم أنّها من قبيل الحسن والله أعلم.

[230] أحمد، **مسند أحمد**، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، (11 / 299)، رقم الحديث 6698.

[231] أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة، (2 / 129)، رقم الحديث 1547.

المطلب الرابع: علاج السنّة النبويّة للخيانة

حملت السنّة النبويّة في صريحها وبين طيات نصوصها أقوالاً ومواقف وأحداث تعدّ نبراساً وضياءً للباحثين عن أي بغية وقصد، والمتتبع لها يجد فيها العلاج لأي مشكلة أو خُلق مذموم أو فعلٍ كريه بالمطلق مالم يكن فيه شرك بالله، فالله تبارك وتعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء بإرادته وعلمه وسابق فضله، ومن هذه الأمور التي رُسمت لنا ملامح علاجها الخيانة، ويمكننا تلخيص علاج الخيانة في السنّة النبوية فيما يأتي:

أ- التوبة إلى الله:

إنّ الله تبارك وتعالى سنّ هذا الدين وفطر النّاس على الخير والصلاح وكل إنسانٍ مخير بعمله واختيار فعله، وإذا أساء الإنسان وأخطأ فإن هذا لا يعني نهاية الطريق وظلمته، بل من رحمة الله بعباده أن خصّهم بالإنابة والتوبة والرجوع إليه، فقال عزوجل: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [232]

روى أحمد في مسند وبسنده إلى أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ".[233] وبيان الحديث أن علاج الأمر بالتوبة مع توافر شروطها مِن عقد النّية والعزيمة على عدم العودة إليها واقترافها.

وعلاج السنّة النبويّة لخيانة الوطن والأمانة واضحٌ فيما جاء من قصة حاطب بن أبي بلتعة[234] وقصة أبي لبابة بن عبد المنذر[235] بتوبتهم وعودتهم للحق والصواب والإنابة.

ب- المناصحة ودعوة الخائن بحكمة وأسلوب حسن:

---

[232] { الزمر: 53}.

[233] أحمد، **مسند أحمد**، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (13 / 333)، رقم الحديث 7952.

[234] والقصة شهيرة عندما أراد النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة وهمّ على ذلك، فقام حاطب بإرسال كتاباً مع امرأة الى قريش يعلمهم بذلك، ولم يكن صنيعه في ذلك رضي الله عنه خيانة ولكن كان له في مكة أهل وولد وخشي عليهم. يُنظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، (117/2).

[235] وذلك يوم حصار النبي صلى الله عليه وسلم لبني قريظة، حيث طلبوا أبو المنذر ليستشيروه، فلما وجد الصبيان والنساء يبكون رقّ لحالهم، أشار اليهم أنّهم إذا نزلوا على حكم الله ورسوله فمصيرهم الذبح، غير أنّه رضي الله عنه وأرضاه سارع بالتوبة والإنابة. يُنظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، (70/2).

إنّ النصيحة في الإسلام لها دور مهم في الإصلاح وحمل الناس على الاستقامة والعمل الصالح، ولا تُعدم أمّة خيرية النصح إلا وتراها في مقدمة الأمم والمجتمعات، لأنّ مسار النصيحة هو العمل المستمر للتقويم والإرشاد وهذا ما ركز عليه النبي صلى الله عليه وسلم في جوامع كلمه، روى البخاري في صحيحه وبسنده الى تميم الداري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " الدِّينُ النَّصِيحَةُ ". قُلْنَا: لِمَنْ ؟ قَالَ: " لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ".[236] فنصح الخائن وتوجيهه وإرشاده للعودة إلى الحق وضرورة توبته الخالصة من أهمّ الأمور التي تعالج الخيانة في المجتمع.

ولابدّ لمن أراد أن يسلك طريق النصح والدعوة في المجتمع أنّ يتحلى بالخلق الرفيع والموعظة الحسنة والقول الراجح بغية تحقيق الهدف من النصيحة واستجابة المنصوح لذلك، فقال تعالى: { ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }.[237]

والنبي صلى الله عليه وسلم كان هذا من دأبه وأسلوبه مع أصحابه بشكل دائم يتناصح معهم وينصحهم ويعلمهم، روى الإمام الترمذي في سننه وبسنده إلى الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: "وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ؛ ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ،...."[238]

ت- إعانة الخائن وحمله على الإنابة:

لابدّ من وجود الحاضنة الاجتماعية التي تساعد من ولج في هذا الإثم من الخروج منه والعودة عنه وعدم التفكير في اقترافه، وهذا منهجٌ ربانيٌ قويم في بناء المجتمع وتماسكه وعمل أفراده كالبناء الواحد بغية صون المجتمع وحفظ أرضه، ومن هذا ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه وبسنده إلى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي

---

[236] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان والسير، باب بيان أن الدين نصحية، (53/1)، رقم الحديث 2899.

[237] {النحل – 125 }.

[238] الترمذي، **سنن الترمذي**، أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: الْأَخْذُ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابُ الْبِدَعِ، (408/4)، رقم الحديث 2676.

حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامة، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامة ".[239]

والواجب الذي يتعين على أفراد المجتمع عدم نبذ الخائن واقصائه لكي لا يزيد إثمه إثماً ويزداد في مراتع الغيّ والضلال، ولا ينبغي رد المفسدة عليه بمفسدة أخرى أكبر فلا ضرر ولا ضرار ولا ينبغي رد الإساءة بمثلها وحمل الناس على مفسدة أكبر، روى الترمذي في سننه وبسنده الى أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ".[240]

فلا يجوز رد الخيانة بخيانة مثلها ولا دفع الضرر بضرر مثله، فمساعدة الناس فيها من المنافع الكثير، وتسهل تصحيح مسار الخاطئين وتوطيد العلاقات في المجتمع لتحقيق بنية وطن متماسك قويم.

لقد عدّ الإمام الذهبي الخيانة من الكبائر وهي متفاوت من فعل لآخر ولكن من صدرت منه الخيانة أكثر من مرة وتكررت واحدة بعد أخرى ولم ينفع معه نصح ولا تأديب ولا زجر يحال أمره إلى القاضي ليرى فيه الحكم المناسب لفعله من باب التعزير الذي يحال أمره للقضاء بعد نظره بمجريات الواقعة.

ث- استذكار المعاد وأن الأمر لله:

إن مما يحافظ على توازن الإنسان في حياته بين الخوف والرجاء والتوبة والمعصية هو استذكار اليوم الآخر والخشية من الله عزوجل، وأن مآل الأمور الدنيوية هي إلى يوم العرض والقيامة حين يقوم النّاس لربّ ين، عندها لا ينفعُ مالٌ ولا بنونٌ إلا من أتى الله بقلبٍ سليم، وهذه المعاني تحمل الإنسان على التزام طريق الحق والهداية وعدم اقتراف الذّنوب والآثام والخيانة، وإن كان وأسرف المرء على نفسه فإن استذكار الآخرة يدفعه للعودة للملك الديان والتضرع له بالخشية والخوف والخضوع، قال الله تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[241]

---

[239] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المظالم، باب: لا يسلم المسلم المسلم ولا يسلمه، (3/128)، رقم الحديث 2442.

[240] الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب البيوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (2 / 542)، رقم الحديث 1264.

[241] { البقرة: 28}

وعلى الإنسان أن يعرف أن حياته السّرمدية الحقيقية هي الأصل التي يعمل عليه ويرجو الله صلاح عمله لأجلها وهذا الذي يحفزه للسعي والجِّد بغية الاستعداد لها والعيش سالماً في رحابها، قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون} [242]

والذي يستذكرُ عمله يبتعد كل البعد عن الخيانة وضياع الأمانة لأنه يعلم أن الزاد هو التقوى والورع قال الله تعالى: { وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفي كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ}[243]، روى الترمذي في سننه وبسنده الى هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بَكى حتى يَبُلَّ لحيته، فقيل له: تَذْكُر الجنة والنار فلا تَبكي وتبكي مِن هذا؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "«إنَّ القبرَ أولُ مَنْزِل من منازل الآخرة، فإنْ نجا منه فما بعده أيسر منه، وإنْ لم ينجُ منه فما بعده أشد منه»".[244]

وهذا يجعلنا نردِّد قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم في صحيحه وبسنده إلى أنسٍ ناقلاً دعائه صلى الله عليه وسلم: " اللهم لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة "[245]، ولعلّ هذا الأمر من أهمّ الأمور التي عالجت فيه السنّة النبويّة خيانة الأوطان والتفريط في ترابها وضياع الأمانة من قلوب أبنائه.

ج- التربية الصالحة والتنشئة:

إن التربية الصالحة هي النواة الأساسية التي تشكل الأسرة الصالحة التي بدورها يبنى عليها صلاح المجتمع وتماسكه، وتشكل هذه التربية الحاضنة التي يعيش المسلم فيها ضمن ضوابط وحدود قد ألفها واستطاع الانضباط بها حبّاً وطوعاً لا كُرهاً وبُغضاً، فإذا كانت هذه التربية صالحةً بأبعادها الصحيحة ضمنت للإنسان ابتعاده عن المهالك والزّلات والكبائر والموبقات، فيكون علاج الخيانة من أهمّ الأشياء التي يحافظ عليها المجتمع حيال كونه منضبطاً صالحاً محافظاً على مجموعة القيم والمبادئ التي شب عليها أفراده، ومن هذا المعنى ماورد في القصة الشهيرة عند تخلف كعب بن مالك رضي الله عنه عن غزوة تبوك..... والتي رواها البخاري في صحيحه مطوله، والشاهد فيها على لسان كعب بن مالك قوله: "سلمت على أبي قتادة،

---

[242] { الحشر: 18}

[243] { البقرة: 281}

[244] الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب الزهد عن رسول الله، (4 / 542142)، رقم الحديث 2308.

[245] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب مناقب الأنصار، باب دعاء النبي، (5 / 34)، رقم الحديث 3795.

فوالله، ما رد علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له، فنشدته، فسكت، فعدت له، فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار، قال: فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشّام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق النّاس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك. فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيممت بها التنور، فسجرته بها "[246] فنجد من قصة كعب رضي الله عنه كيف أن التربية الصالحة التي نشأ عليها وترعرع في خضمّها ونشأ بين أظفارها هي التي ساعدته في الابتعاد عن الخيانة والتزام طريق الاستقامة، ولو لم تكن هذه الحاضنة هي الرادع الأساسي له لانجرف في المهالك وخسر بذلك دينه ووطنه ودنياه وآخرته، إنّ وجود الحاضنة الصالحة والمجتمع القويم يساعد بشكلٍ مباشر على حفظ الأوطان وقيامها وحراسة ثغورها.

ومن التربية المجتمعة التي حث الله تبارك وتعالى عليها عباده أيضاً في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً }[247]، روى البخاري في صحيحه وبسنده الى عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الرجل راعٍ في أهله ومسؤولٌ عن رعيته، والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها ".[248]

وهذه الأخبار وجملة الآثار التي عالجتها السنّة النبويّة في نطاق مفهوم الخيانة تهدفُ وبشكلٍ مباشر إلى وحدة المجتمع وتماسكه فإذا وصلنا إلى هذا المقصد فإن أفراد المجتمع سنجد فيهم انعكاساً مهماً جداً في تربيتهم ووقوفهم في وجه التغيرات والتحديات التي تهدف إلى اجتزاء أوطانهم والاعتداء على أرضهم والاقتراب من دينهم، ولا شك أن الأصل الذي يعيش عليه الإنسان هو دينه فالدين لله مطلقاً يسعى لحفظه الإنسان حتى لو خرج من دياره وابتعد عنها وهاجر لغيرها بغية إقامة دينه والحفاظ عليه ولكنّ الشارع أيضاً في ملمحٍ مهمّ دفع المرء وحثّه للعمل والسعي للعودة إلى دياره وإعمارها وإحياء شرع الله في قلوب أفرادها والمحافظة على تماسكها وحراسة حدود أرضها، فأرض الإسلام واحدة وديارهم متماسكة في شتى بقاع الأرض.

---

[246] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: الْمَغَازِي، بَابٌ: حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، (3/6)، رقم الحديث 4418.

[247] { التحريم: 6}.

[248] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب "أطيعوا الله"، (9 / 62)، رقم الحديث 7138.

الفصل الثالث: الوطن عند المسلمين وما بذلوه لأجله

الـمَبْـحـَـثُ الأول: الوطن عند المهجّرين

المطلب الأول: المهاجرون الأولون

إنّ الذي وضع أسس هذا المدرسة الطيبة المباركة وممن سبق وصدق ونحسبهم كذلك هم المهاجرون الأولون من الصحابة الكرام عندما خرجوا من ديارهم وأوطانهم مهاجرين في سبيل الله تعالى تاركين أوطانهم وأموالهم وتجارتهم وأعمالهم راغبين في ما عند الله تعالى، فخرج الصحابة في هجرتهم الأولى إلى الحبشة وكان عددهم أحد عشر رجلًا وأربع نسوة، ومن ثم خرجوا في الهجرة الثانية إلى الحبشة وكانوا ثلاثة وثمانين رجلًا وزوجاتهم وأبنائهم، على رأسهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، لتتهيأ النفوس وتتجهز للهجرة الأصيلة والكبرى وهي هجرة أهل الإيمان مجتمعين من مكة إلى المدينة، منهم من هاجر سراً كآل أبي سلمة رضي الله عنهم ومنهم من هاجر جهراً كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، استمرت هجرة المسلمين إلى المدينة المنورة حتى فتح مكة سنة 8 هـ، وظلّت الهجرة إلى المدينة واجبة على المسلمين، ونزلت الكثير من الآيات تحث المسلمين على الهجرة إلى المدينة حتى كتب الله تبارك وتعالى فتح مكة، فلما فُتحت مكة أصبحت دار إسلام، وأنزل الله تبارك وتعالى في حقهم من الفضل العظيم لقاء ما عاشوه من ظُلم ومآسي الغربة والبعد عن ديارهم وترك أوطانهم وذويهم وتجارتهم وأموالهم، فقال تعالى: **{** الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**}**، [249]

قال الله تعالى: **{** لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ* وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}**، **[250]**

---

[249] {التوبة: 20}.

[250] {الحشر: 8- 9}.

وقال تعالى: { وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [251]

قال الطبري في تفسيره: " الذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم عداوة لهم في الله على كفرهم إلى آخرين غيرهم { مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا} يقول: من بعد ما نيل منهم في أنفسهم بالمكاره في ذات الله {لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَة} يقول: لنسكنهم في الدنيا مسكناً يرضونه صالحاً ".[252]

وبيّنت السنّة النبويّة فضل المهاجرين الأولين فروى مسلم في صحيحه وبسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إِنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ، يَوْمَ القِيَامة إِلَى الجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً".[253]

وأهل الهجرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرهم لا يوازيه أجرٌ أبداً بعد هجرتهم لمكانتهم وفضلهم وحال خروجهم وتجردهم عن دنياهم وأعمالهم وأحوالهم، روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى مُجَاشِعٌ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَخِي بَعْدَ الْفَتْحِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُكَ بِأَخِي لِتُبَايِعَهُ عَلَى الْهِجْرَةِ، قَالَ: " «ذَهَبَ أَهْلُ الْهِجْرَةِ بِمَا فِيهَا»، فَقُلْتُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُبَايِعُهُ، قَالَ: "أُبَايِعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْجِهَادِ".[254]

فنجد مما سبق أن الصحابة الكرام عندما تعارضت عندهم مفسدة خروجهم من أوطانهم وغربتهم وترك مصالحهم وذراريهم، مع مفسدة هلاك دينهم وضياع عقيدتهم، فاختاروا النجاة بدينهم وسلامة عقيدتهم والحفاظ عليها على بقائهم في أرضهم وبين أهلهم، ليرفعوا بذلك رايةً واضحةً وشعاراً عظيماً ويرسموا طريقاً سليماً لمن بعدهم أنّ دين الله هو الأصل الذي يعيش عليه الإنسان في حياته والحفاظ على الدين والعقيدة هو المؤشر الذي يحاول المسلم السعي لثباته، ونجد كثيراً من سير السابقين الذين ساروا على هذا النهج واقتفوا هذا الطريق في الهجرة وسأذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر بعضاً من السلف والخلف.

---

[251] {النحل: 41}.

[252] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (المتوفي: 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ت: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، عدد الأجزاء: 24، (17 / 205).

[253] مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابٌ: الزُّهْدُ وَالرَّقَائِقُ، (8 / 220)، رقم الحديث 2979.

[254] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: الْمَغَازِي، (5 / 152)، رقم الحديث 4305.

المطلب الثاني: المهاجرون من السلف

الإمام البخاري:

أمير المؤمنين في الحديث، إمام عصره وأعلمُ أهل الأرض بسنّة رسول الله في زمانه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، حظي رحمه الله بمكانة عظيمة في عصره، ولكن هذه المنزلة العالية الرفيعة لم تكن لتمنع غِيرة الحاسدين وتتبع العاثرين حوله، وهي سنّة الله على أرضه وبين خلقه.[255]

بعد رحلة طويلة وشاقة، من لقاء العلماء وبسط المؤلفات، عاد البخاري إلى نيسابور بغية الإقامة فيها، إلّا أنّ بعض العلماء سعوا به إلى والي المدينة غيرة وحقداً واشين مدلسين، وألصقوا به تهماً وتقولو عليه زوراً وبهتاناً، مما جعله يغادر نيسابور مضطراً إلى مسقط رأسه بخارى، وهناك استقبله أهلها استقبال الفاتحين، فنُصبت له القباب على مشارف المدينة، ونُثرت عليه الدراهم والدنانير.[256]

ولأن الله عزوجل يُحب أحبابه ويكون ابتلائه لهم على قدر إيمانهم، فلم يكد يستقر رحمه الله في موطنه ومسقط رأسه حتى طلب منه أميرها "خالد بن أحمد الدهلي" أن يأتي إليه ليُسمعه ويعلّمه الحديث، و البخاري يعلم أن الوقوف في بلاط الأمراء شبهة وأي شبة تودي بصاحبها إلى المهالك والشبهات وهو من أهل الحديث والأثر وأكثر الناس إلى السنة تطبيقاً وتحقيقاً، فقال البخاري لرسول الأمير بعزة وقوة أهل الحديث والأثر: "قل له إنني لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فإن كانت له حاجة إلى شيء فليحضرني في مسجدي أو في داري، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان، فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة أني لا أكتم العلم". [257]

---

[255] يُنظر: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بـ ابن الملقن (723 - 804هـ)، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، أستاذ الحديث بجامعة الأزهر، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، ط: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 36، (1/40-69).

[256] المصدر السابق نفسه.

[257] يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفي: 742هـ)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ت: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، 1400 – 1980، عدد الأجزاء: 35، (24/464).

ولا شك أن البخاري سيدفع ثمن وقوفه مع الحق، وإكرام العلم والدين، فما كان من حاكم بخارى إلا أن أخذ يحرض عليه ويكيل التهم إليه، وقد أغرى به بعض السفهاء ليتكلموا في حقه، ويثيروا عليه الناس، وفي نهاية الأمر قام بنفيه من مدينة بخارى موطنه الأصلي ومسقط رأسه إلى "خرتنك"[258] حيث ظل البخاري بعيدًا عن وطنه، صابراً على محنته، حتى توفاه الله في ليلة عيد الفطر 30 رمضان 256هـ، تاركاً خلفه أعظم أثر لهذا الأمّة المحمدية وهو كتابه الصحيح، مخلِّفًا علمًا ونورًا تستضيء به الإنسانية، وتظل تنهل منه، وتُعوّل عليه، إلى يوم القيامة.[259]

الإمام سفيان الثوري:

أمير المؤمنين بالحديث أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، أحد أعلام المسلمين وأبرز أئمتهم، بدأت محنته بالغربة والهجرة رحمه الله بعد أن مات أبو حنيفة في سجون الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، فطُلب من سفيان ولاية القضاء فرفض رحمه الله لكي يبرأ لدينه من عمل السلاطين والشبه في أعملهم، وخرج فاراً بدينه وعقديته الى مكة، فأرسل المنصور بطلبه في مكة وقال من جاء به فله عشرة آلاف دينار، فخرج رحمه الله من مكة الى البصرة خفية.[260]

قال ابن سعد: لما خاف سُفْيان بمكة من طلب الخليفة المهدي للقبض عليه، خرج إلى البصرة فقدمها، فنزل قرب منزل يحيى بن سعيدٍ القطان، فقال لبعض أهل الدار: أما قربكم أحد من أصحاب الحديث؟ قالوا: بلى يحيى بن سعيد، قال: جئني به، فأتاه به، فقال: أنا ها هنا منذ ستة أيامٍ أو سبعةٍ، فحوله يحيى إلى جواره، وفتح بينه وبينه بابًا، وكان يأتيه بمحدثي أهل البصرة يسلمون عليه ويسمعون منه، ولما تخوَّف سُفْيان أن يشهر بمقامه بالبصرة قُربَ يحيى بن سعيدٍ،

---

[258] خرتنك: من قرى سمرقند، وتعرف الآن بقرية "خواجة صاحب". يُنظر: عادل نويهض، **معجم المفسرين**، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، ط: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م، عدد الأجزاء: 2، (493/2).

[259] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفي: 748هـ)، **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، ت: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط: الأولى، 1413 هـ - 1992 م، (156/2).

[260] يُنظر: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرماني (ت ٧٨٦هـ)، الكواكب الدراري في شرح **صحيح البخاري**، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: ثانية: 1401هـ - 1981م، عدد الأجزاء: 25، (150/1).

قال له: حوِّلْني من هذا الموضع، فحوله إلى منزل الهيثم بن منصورٍ الأعرجي من بني سعد بن زيد مناة بن تميمٍ، فلم يزل فيهم " [261]

هذا وبعد مكوثه في البصرة حارساً لأحد البساتين، وعرفه النّاس خرج الى اليمن رحمه الله ومكث فيها وابتلي بلاء عظيما باتهامه بالسرقة.

قال عبد الرحمن بن مهدي: سمعت سُفْيان الثَّوري يقول: "طُلبت في أيام المهدي، فهربت، فأتيت اليمن، فكنت أنزل في حي حي، وآوي إلى مسجدهم، فسُرق في ذلك الحي، فاتهموني، فأتوا بي معن بن زائدة، وكان قد كتب إليه في طلبي، فقيل له: إن هذا قد سرق منا، فقال: لِمَ سرقت متاعهم؟ فقلت: ما سرقت شيئًا، فقال لهم: تنحوا لأسأله، ثم أقبل عليَّ، فقال: ما اسمك؟ قلت: عبد الله بن عبد الرحمن، قال: يا عبد الله، نشدتك بالله لَمَا نسبت لي نسبك، قلت: أنا سُفْيان بن سعيد بن مسروقٍ، قال: الثَّوري؟ قلت: الثَّوري، قال: أنت بغية أمير المؤمنين؟ قلت: أجل، فأطرق ساعةً، ثم قال: ما شئتَ فأقم، وارحل متى شئت، فوالله لو كنتَ تحت قدمي ما رفعتُها"[262]

بقي الثوري رحمه الله متنقلاً مرتحلاً مغترباً في بلاد الله مطلوبٌ رأسه ومهدورٌ دمه من المنصور وبعده ابنه المهدي حتى توفاه الله في البصرة بعيداً عن وطنه ودياره محافظاً على دينه وعقيدته صابراً محتسباً على البلاء، وترك إرثاً عظيماً من العلوم للمسلمين.

الإمام العز بن عبد السلام:

سلطان العلماء وبائع الملوك أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، وهو الذي لم يخشى في الله لومة لائم، عاش رحمه الله في عصر اختلطت فيه الظروف السياسية، عصرٌ اتصف بالضعف وشتات الدولة العباسية والتصدعات الداخلية وتكالب أذناب الصليبيين والمغول على الأمّة، في خِضمّ هذه الظروف فضّل كثيرٌ من العلماء السكوت واعتزال المشهد السياسي العام، في حين أن العز شمّر عن ساعديه ودخل في غمار هذه الأزمات مقدماً صورةً ناصعةً لعالم الدّين وللأئمة السابقين الذين انتفعوا بعلومهم مجاهداً في سبيل الله لا يخشى إلا الله.[263]

---

[261] ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، (352/6).

[262] أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفي: 430هـ)، **حلية الأولياء** وطبقات الأصفياء، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، عدد الأجزاء: 10، (4/7)

[263] يُنظر: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت 771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، ت: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح الحلو، الناشر: هجر، ط: الثانية، 1413هـ، عدد الأجزاء: 10، (209/8-211).

بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي سنة 589هـ، اختلف من الأمراء بعده، وقويت شوكت الصليبيين نتيجة لحالة الضعف تلك، وبلغ الصراع مداه بين حاكم دمشق الصالح إسماعيل وبين أخيه نجم الدين أيوب سلطان مصر حينها، حتى أن أمير دمشق حالف الصليبين، وأعطاهم عدة قلاع وحصون في الدولة، وسمح لهم بدخول دمشق لشراء السلاح والتزود بالطعام والمتاع والتجول في رحابها.[264]

وفي تلك الفترة كان رحمه الله قد تسلّم مهمّة إمامة المسجد الأموي وافتاء دمشق، فاستنكر تلك الفعلة الشنيعة، وصعد المنبر وخطب في النّاس خطبة قوية: وصرح بحرمة بيع السلاح للصليبيين، وبحرمة الصلح معهم، وهاجم السلطان على العلن، وقال في ختام خطبته: "اللهمّ أبرم أمرًا رشدًا لهذهِ الأمّة، يعزّ فيه أهل طاعتك، ويذلّ فيه أهل معصيتك".[265]

نزل وختم خطبته دون الدعاء للحاكم، فأمر بعزله واعتقاله ثم أفرج عنه، وألزم العز بملازمة داره، وألا يفتي ويقترب مجالس العامة وتعليمهم.

بعد ذلك خروج رحمه إلى مصر مهاجراً محتسباً هجرته في سبيل الله لا يخشى إلا الله وقد تلقى أمر العزل راضياً مطمئناً، ولكن الإقامة الجبرية اقعدته وحالت به دون البقاء، فقرر الهجرة في سبيل الله، فتوجه رحمه الله إلى مصر عن طريق القدس، لكن اسماعيل استمر في مطاردته، وأراد مساومته بالتراجع عن رأيه والعودة لظل حاكم دمشق، وأن يتركه ويعيده لمنصبه شريطة أن يقبل يده ويقوم بالرجوع عما قاله.

فما كان من رحمه الله إلا أن قال للمبعوث: (يا مسكين ما أرضاهُ أن يُقَبِّل يديّ فضلاً أن أُقبِّل يده، يا قوم أنتُم في وادٍ وأنا في وادٍ، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به).[266]

توفي رحمه الله بعد عناء طويل في حياته وسعي حثيث في عمله في أرض مصر مغترباً عن وطنه وديارهِ وشهد جنازته خلقٌ كثيرٌ من النّاس وصلى عليه أهل مِصر جميعاً منهم من شهد

---

[264] المصدر السابق نفسه.

[265] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 728هـ)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ت: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثانية، 1413 هـ - 1993 م عدد الأجزاء:52، (37/46).

[266] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: 911هـ)، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، ط: الأولى 1387 هـ - 1967 م، عدد الأجزاء: 2، (1 \ 269).

الجنازة ومنهم من صلى عليه صلاة الغائب، وصُلّي عليه في المسجد الأموي بدمشق الذي كان إمامه وخطيبه صلاة الغائب، ونعاه الخلق مجتمعين، ودفن بعد مسيرة حافلة في حياته بعيداً عن ذرّات بلاده.

المَبْحَثُ الثاني: مسؤولية المسلمين لحفظ الأوطان والأحاديث المختلقة لحبها.

المطلب الأول: مسؤولية المسلمين تجاه أوطانهم

المسؤولية الأولى: الانتماء للوطن ومحبته.

إن مسألة الانتماء للوطن هي من الأمور المهمة جداً خصوصاً في هذا الوقت الذي أصبح فيه انفتاحٌ كبيرٌ وتشتتٌ وضياعٌ للجيل والأبناء ترافق مع التهجير الكبير للشعوب المسلمة من أرضها، لذا كان هذا الجانب من أهمّ الأمور التي انشغل الدارسون في تفصيلها والمربون في غرسها في قلب الجيل الصاعد، وتربيته على حب وطنه والانتماء له وبذل الغالي والنفيس في سبيله وغرس قيم التضحية والفداء والانفاق، وهذه المسؤولية المهمة مستقاة من منهاج النبوة المبارك من الشرب الأول من مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى مسلم في صحيحه وبسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ نَاقَتَهُ، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكها ". [267]

وقال الحافظ الذهبي معدِّدا طائفة من محبوبات رسول الله صلى الله عليه وسلم" وكان يحب عائشة، ويحب أباها، ويحب أسامة، ويحب سبطيه، ويحب الحلواء والعسل، ويُحب جبل أحد، ويحب وطنه".[268]

ومن دلائل محبة الوطن وصدق الانتماء إليه التي اهتمت السنّة النبويّة فيها هي التوجه إلى الله تعالى بالدعاء الصادق للأوطان كما يبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى مسلم في صحيحه وبسنده الى أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن المدينة: " اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مدنا، وفي صاعنا، بركة مع " [269]

---

[267] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب فضل المدينة، (4 / 116)، رقم الحديث 1373؛ الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب الدعوات عن رسول الله، باب إذا رأى الباكورة من الثمر، (449/5)، رقم الحديث 3454.

[268] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (394/15).

[269] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب: فضل المدينة، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها (1000/2)، رقم الحديث 1373.

وقد ذكرنا في سياق سابق نماذج كثيرة من السلف الصالح عن محبتهم وتعلقهم في أوطانهم وبذل الغالي والنفيس في سبيل الدّفاع عن أرضهم والشوق والحنين لديارهم، فالغربة عن الديار تعدل الموت كما وصفها الله تبارك وتعالى فقال: { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا }[270]

المسؤولية الثانية: المشاركة في تخطيط الوطن وتطويره.

إن من حكمة الله تعالى ورحمته في خلقه أن جعلهم مستخلفين في هذه الأرض وأوجدهم لإعمارها على هدى وتقوى وورع من الله، وأن يعيش فيها النّاس مستمتعين في الطيبات والمباحات، ممتنعين عن المحرمات والمحظورات، شمّروا عن سواعد الجد والسعي لبناء هذه الأمّة والوطن، لأنهم متعبدين في ذلك، قال تعالى:{ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنْ الْأَرْض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [271]

وقد ورد من جملة الأخبار وسياق القرآن الكثير من الأدلة التي تشير الى هذه المسؤولية المهمة من العمل والجِدّ والسعي لخدمة النفس والمجتمع والنّاس أجمعين، وعدم التكاسل واستذكار اليوم الآخر في المسير فقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [272]

وعمل النبي صلى الله عليه وسلم على حث الصحابة على تحمل هذه المسؤولية في كثيرٍ من الجوانب، ومنها حثّه صلى الله عليه وسلم على تعلم الصحابة ونقل هذا العلم لمن يرتحلون إليهم ليعمّ الخير والعلم والفقه بين الناس، روى البخاري في صحيحه وبسنده الى مالك بن الحويرث قال: قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم، ونحن شببة، فلبثنا عنده نحوا من عشرين ليلة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم رحيما فقال: " لَوْ رَجَعْتُمْ إِلَى بِلَادِكُمْ فَعَلَّمْتُمُوهُمْ مُرُوهُمْ فَلْيُصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ ".[273]

---

[270] {النساء: 66}.

[271] {هود: 61}.

[272] {الحشر: 18}.

[273] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الْأَذَانِ، بَابٌ: إِذَا اسْتَوَوْا فِي الْقِرَاءَةِ فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ، (1 / 138)، رقم الحديث 685.

وكذلك من سلسلة المشاركة في تخطيط الوطن وبناءه أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاهتمام في الأرض وزراعتها وتنميتها وتنشئتها، ومن فعل ذلك في أرض مواتٍ فهي له، مما جعل الصحابة يتسابقون في إعمار الأرض وتطويرها وزراعتها، وهذا من منهجه القويم صلى الله عليه وسلم في إحياء الأرض وتشغيل أفراد المجتمع للكسب وتحصيل الرزق، روى البخاري في صحيحه وبسنده الى عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ ". قَالَ عُرْوَةُ: قَضَى بِهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ ".[274]

إنّ من الأمور الجليلة أيضاً التي اهتمت بها السنّة في مسعى إعمار الأرض والحفاظ عليها هي اتقان العمل وأدائه بأفضل طريقة ممكنة، في التعليم والزراعة والصناعة والتجارة وكل أمور الدنيا وحتى الأعمال التعبدية التي تحصل في الآخرة، روى مسلم في صحيحه وبسنده الى شداد بن أوس، قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ".[275]

ومن الأمور المهمة أيضاً في تطوير الوطن والمساهمة في ازدهاره الحفاظ على الحق العام وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن النّاس شركاء في أمور لا ينبغي لهم الاستئثار ببعضها لقوم دون غيرهم، وإنما يكون العمل فيها على سبيل التشارك والضمان الاجتماعي الواحد، روى أحمد في مسنده وبسنده الى أبي خداش، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: الْمَاءِ، وَالْكَلَأِ، وَالنَّارِ ".[276]

والله تبارك وتعالى جعل كل فرد منّا مسؤولاً في مكانه وعمله وراعياً لمن يستطيع من خلقه وسوف يُحاسب عليهم يوم القيامة وإنّ من جملة هذا أن الإنسان اذا توفرت لديه أدوات التخطيط وتطوير الوطن والمساهمة في بناءه وجب عليه وبتكليفٍ شرعي أن يسعى في هذا العمل وأن يبني الوطن، روى البخاري في صحيحه وبسنده الى الحسن بن أبي الحسن، أن عبيد الله بن زياد عاد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه، فقال له معقل: إني محدثك حديثا سمعته من

---

[274] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: الْحَرْثُ وَالْمُزَارَعَةُ، بَابُ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا، (3 / 106)، رقم الحديث 2335.

[275] مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابٌ: الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحُ، وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ، بَابٌ: الْأَمْرُ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ، (6 / 72)، رقم الحديث 1955.

[276] أحمد، **مسند أحمد**، مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ، أَحَادِيثُ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (38 / 174)، رقم الحديث 23082.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ".[277]

المسؤولية الثالثة: المحافظة على المال العام.

إن من الواجبات المهمة التي يجب على الفرد المسلم التمثل بها تجاه الحفاظ على وطنه وأمته هي الحفاظ على المال العام وعدم هدره واضاعته، والعمل على تنميته واستثماره لصالح الوطن والناس، فالمال به قوام المجتمع وصلاح الناس، والله تبارك وتعالى قد أمرنا بحفظ المال وعدم اضاعته فقال:{ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا} [278]

ومن المتعارف عليه بين عموم الخلق والنّاس أن كل فرد يملك مالاً له الحق المطلق فيه وبالتصرف به كيف شاء فسلطانه عليه مطلق، ولكن بالنظر في هذه المسألة والتعمّق فيها نجد أنّ في هذا المال حقٌ للأمّة جمعاء لا سيما إذا وضعه في مكانه وأدّى منه حق أصحابه فيتحقق بذلك منفعة للأمّة على كل مستوياتها وبمختلف أفرادها، فلو انفق من هذا المال صدقته لأعان الفقراء ولو دُفعت منه زكاة المال في مصارفها لأعانت أصحاب أصناف الزكاة، ولو كان هذا المال في مشاريع استثمارية لأدّت الى تنمية الوطن وازدهاره وحلّ كثيراً من المشاكل لأبنائه من بطالة وعمالة، وبهذه الطريقة يُحفظ الحق والمال العام معاً.

وقد حذّرت السنّة النبويّة في كثيرٍ من الأخبار من هدر المال العام، فروى البخاري في صحيحه وبسنده إلى خولة الأنصارية رضي الله عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامة ".[279]

وبوب ابن حبان في سياق هذا الخبر قوله: " ذكر إيجاب النار لمن تقلد شيء من أمور المسلمين وانبسط في أموالهم بغير إذنهم "

---

[277] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الْأَحْكَامِ، بَابُ مَنِ اسْتُرْعِيَ رَعِيَّةً فَلَمْ يَنْصَحْ، (9 / 64)، رقم الحديث 7150.

[278] {النساء: 5}.

[279] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: فَرْضُ الْخُمُسِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، (4 / 85)، رقم الحديث 3118.

ومن التحذير الشديد أيضاً الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من إضاعة المال العام والاعتداء عليه ما رواه البخاري في صحيحه وبسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهبا، ولا فضة، إنما غنمنا البقر، والإبل، والمتاع، والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى ومعه عبد له يقال له: مدعم أهداه له أحد بني الضباب، فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد، فقال الناس: هنيئا له الشهادة. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا ".[280]

وحذرت السنّة وبشكلٍ أساسي من تصدّر لشأن العامة والنّاس من أن تسول لهم أنفسهم من الاقتراب من المال العام الذي فيه حقُ الله والخلقِ جميعاً، فروى مسلم في صحيحه وبسنده إلى عدي بن عميرة الكندي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامة ".[281]

وفي مواطن أخرى نجد أن الإسلام قد اعتنى بحفظ المال سواءً الخاص منه أو العام وأمر الأفراد بالحفاظ عليه وعدم استخدامه في غير مكانه، روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى كاتب المغيرة بن شعبة، قال: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة أن اكتب إلي بشيء سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم. فكتب إليه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ".[282]

ومن جملة الأخبار والآثار السابقة يتبين لك أن الواجب الذي يقع على كل فرد في المجتمع بشكلٍ عام وعلى من تصدر لشأن النّاس بشكل خاص أن يحافظ على المال العام وأن يرعاه ويُنمّيه، وهذا من أهمّ الواجبات التي تساعد في حفظ الوطن وازدهاره وتطوره وتقدمه وعيش أفراده في سخاء ورخاء بعيداً عن الفقر والجوع والعوز.

المسؤولية الرابعة: الدّفاع عن الوطن ومواجهة أعدائه.

---

[280] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: الْمَغَازِي، بَابٌ: غَزْوَةُ خَيْبَرَ (5 / 138)، رقم الحديث 4234.

[281] مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابٌ: الْإِمَارَةُ، بَابٌ: تَحْرِيمُ هَدَايَا الْعُمَّالِ، (6 / 12)، رقم الحديث 1833.

[282] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: الزَّكَاةُ، بَابُ: لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا، (2 / 124)، رقم الحديث 1477.

إنّ من الأمور المهمة التي ينبغي للمسلم أن يحملها على عاتقه بغية أداء الواجب والأمانة لوطنه هو الدّفاع عنه، استجابة لأمر الله تبارك وتعالى كما أخبر وأمر وكما جاءت به السنّة المطهرة في كثيرٍ من الأخبار وما نقله أهل الحديث من الشُراح وتنقيح الآثار، ولا يُتصور أن يكون هناك وطنٌ ما لا يتمتع أبناءه بحس الدّفاع عنه والذود عن حياضه من أعداءه المتربصين به ممن يمكرون به ليل نهار، فالانتماء الى الوطن ليست مجرد كلمة تقال أو تحكى، وإنما هي تضحية وفداء وواجب شرعي معظّم في الدّفاع عن الأرض ولا يجوز ولا ينبغي التخلف عنها إلا بعذر، وقد مدح الله تبارك وتعالى أقواماً أصيبت أرضهم وهتكت حرمتها وتعرضت أموالهم ومصالحهم للمهالك فقال: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ} [283]

وقد بين القرآن الكريم في أحوال الأمم السابقة أن الدّفاع عن الوطن غريزة متأصلة في نفوس أفراده ولا مجاملة فيها ولا مكان للشك أو التردد عند الحاجة إليها، فقال الله تبارك وتعالى مخبراً عن حال قوم سبأ عندما أجابوا ملكتهم في سياق قصة سيدنا سليمان عليه السلام، قال: { قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ} [284]

ومن أجل تهيئة النفوس للدفاع عن الأوطان وبذل الغالي والنفيس في سبيل حفظها وحفظ المقاصد التي تُحصّل في كيانها وقيامها، فإن السنّة النبويّة قد عظّمت هذا الأمر بشكلٍ مهمٍ وورد في الأخبار وجُملة الآثار من الأدلة الكثير التي تعظّم أجر المجاهد والمرابط والمنفق في سبيل الله.

إنّ الأجر المترتب على الرباط في سبيل الله عظيمٌ جداً في الدنيا والآخرة وإنّ الخير الذي يلقاه العبدُ في حياته في سبيل الله لا يعلم خيره إلّا من ذاق غِماره، روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ".[285]

إنّ الله تبارك وتعالى ضمن لمن خرج غازياً مرابطاً في سبيله لا يخشى إلّا الله وما خرج إلا لوجه الله أن يكون أجره عليه جلّ وعلى وأن يُحرّم عليه النار، روى الترمذي في سننه وبسنده

---

[283] {الشورى: 39}.

[284] {النمل: 33}.

[285] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ فَضْلِ رِبَاطِ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، (4 / 35)، رقم الحديث 2892.

إلى عبد الله ابن عباس، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ".[286]

ومن حفظ الإسلام لكيان المجاهدين والاعتراف بجميل فضلهم وعملهم وما قدّموه في سبيل الله، فقد جعلت السنّة النبويّة من يكفل الغازي مشاركاً له في أجره وفضلِ عمله، روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى زيد بن خالد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا ".[287]

والمُتصور عند أولي النهى أن الدّفاع عن الوطن هو الدّفاع عن حدوده وثغوره من الأعداء الذين يظهرون عليه من الخارج، والحقيقة أن الدّفاع عن الوطن هو متخيلٌ في كل جوانبه من الداخل والخارج، فربما يتربصُ عدو الداخلِ بالمسلمين ويفتِكُ بهم أكثر من العدو الظاهر البعيد، فقد وجدنا كثيراً من أصحاب النفاق والنزاع ممن يريدون بأوطانهم السوء ونشر الرذيلة والفساد ويحيكون الأمر لتدمير وتفكيك المجتمع ليل نهار، فهؤلاء أيضاً من الأعداء الذين لابدّ للإنسان أن يَحذرهم، ومن هذا المعنى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من يُؤوي المفسدين أو ممن يريدون بأرضهم أو ديارهم شراً، فروى مسلم في صحيحه وبسنده إلى أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " الْمَدِينَةُ حَرَمٌ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاس أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامة عَدْلٌ وَلَا صَرْفٌ ".[288]

والدّفاع عن الوطن لا يكون فقط بالسلاح والسنان وإنما يكون أيضاً بقول الحق والإنفاق، ولعلّ بعض أنواع الجهاد يكون أقوى من غيره في مواطن ومواطن، روى النَّسائي في سننه وبسنده إلى أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ ".[289]

---

[286] الترمذي، **سنن الترمذي**، أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: فَضْلُ الْحَرَسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، (3 / 276)، رقم الحديث 1639.

[287] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بابُ فَضْلِ مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا أَوْ خَلَفَهُ بِخَيْرٍ، (4 / 27)، رقم الحديث 2843.

[288] مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابٌ: الْحَجُّ، بَابٌ: فَضْلُ الْمَدِينَةِ، وَدُعَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، (4 / 116)، رقم الحديث 1371.

[289] النسائي، **سنن النسائي**، كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابٌ: وُجُوبُ الْجِهَادِ، (6 / 7)، رقم الحديث 3096.

فالدّفاع عن الإسلام يكون باليد في مباشرة الجهاد، وباللسان في قول الحق والوقوف معه وإبطال الباطل والابتعاد عنه، ويكون بالمال بتجهيز الغزاة أو كفالة أهلهم، والسنّة النبويّة العطرة مليئة بعشرات القصص العظيمة التي تشيد بإنفاق الصحابة الكرام، أمثال أبي بكر وعمر في أسبقية الصدقة والإنفاق، وعثمان بن عفان في تجهيز جيش العسرة، وأمثال عبد الرحمن بن عوف في القوافل التي جعلها في سبيل الله في القحط الذي مر على أهل المدينة، وغيرهم الكثير.

ومن النماذج العظيمة أيضاً التي حبّرتها السنّة النبويّة في جهاد اللسان ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت أن يواجه المشركين في نظم القصائد، روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى البراء رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان: " اهْجُهُمْ - أَوْ هَاجِهِمْ - وَجِبْرِيلُ مَعَكَ ".[290]

وعندما أراد عمر ابن الخطاب أن يزجر عبد الله بن رواحة لأنه يُلقي الشعر ويهجو المشركين في حضرة النبي منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب من عبد الله بن رواحة متابعة هجائه، روى النسائي في سننه وبسنده إلى أنس قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه يقول: خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله قال عمر: يا ابن رواحة، في حرم الله، وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا الشعر؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " خَلِّ عَنْهُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَلَامُهُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقْعِ النَّبْلِ ".[291]

وختام هذه المسؤولية العظيمة أن الواجب على كل فرد أن يستشعر أهمّية الدّفاع عن وطنه وأرضه بكل ما آتاه الله من قوة وفضل، بلسانه أو ماله أو يده، فإن الأوطان لا تُحفظ مالم يحفظها أفرادها، وإن المقاصد الشرعية التي لا يستطيع النّاس أن يعيشوا بدونها لا تتصور بغير حفظ الوطن والدّفاع عنه والذود عن حياضه، فهذه المسؤولية المهمّة العظيمة التي ينبغي للمسلمين استذكارها ومعرفة عِظم قدرها، فشرع الله الجهاد لها من أجل حفظ دينه وشريعته وأرضه.

---

[290] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: بَدْءُ الْخَلْقِ، بَابُ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ، (4 / 112)، رقم الحديث 3213.

[291] النسائي، **سنن النسائي**، كِتَابُ مَنَاسِكِ الْحَجِّ، اسْتِقْبَالُ الْحَجِّ، (5 / 211)، رقم الحديث 2893.

المسؤولية الخامسة: الدعاء للوطن.

إنّ من حق الوطن على أهله أن يقدّموا له الغالي والنفيس وأن لا يدخروا جهداً في الحفاظ عليه وصونه، وإنّ من الأمور المهمّة التي تعلمناها من النهج الرباني القويم أن يدعو الإنسان لمن له فضلٌ عليه، فكيف بدعائه لأرضه ووطنه فلا شك أنها آكد، فالدعاء للوطن من الأمور المهمة التي يلتمس بها الفرد المسلم من الله عزوجل أن يَنعم في ظل وطنه الذي يسوده الأمن والأمان وأن يبارك بخيراته وثماره وأهله، وقد سبق في هذا الأمر المهم أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام فكان من دعائه رحمه الله في كتاب ربنا: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِير} [292]، فدعاء سيدنا ابراهيم صلوات الله عليه من جوامع الكلم في حفظ أمن الوطن وكسب الرزق لأفراده وتمام نعمة الإيمان على مكوناته حقاً وحقيقة .

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً للوطن في السنّة النبويّة آثارٌ كثيرة منها ما رواه مسلم في صحيحه وبسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: كان النّاس إذا رأوا أول الثمر؛ جاءوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ" . [293] وفي الحديث بيان فضل المدينة ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم لها وملازمة الدعاء لأجلها بغية حفظها ورعايتها.

إنّ الدعاء يُلازم المحب لمحبوبه خشية أن يصيبه مكروه أو أذى، والمحبة والمودة موصولة بحبل الدعاء دائما، لذلك من الواجب على كل فردٍ أن يدعو لوطنه بالحفظ والسلامة والتوفيق والرعاية وأن يدعو الله عزوجل أن يُنعم على هذا الوطن بالحكم بكتابه وسنّة نبيه وأن يحيا أبناؤه في مضمار الشريعة الغراء بعيداً عن اللهو والشتات والضياع.

---

[292] { البقرة: 126}.

[293] مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابٌ: الْحَجُّ، بَابٌ: فَضْلُ الْمَدِينَةِ، وَدُعَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، (4 / 116)، رقم الحديث 1373.

المطلب الثاني: الأحاديث الموضوعة المشتهرة عن الوطن

إنّ من الأحاديث المشتهرة المنتشرة والمتداولة بين الناس والتي لا أصل لها في حب الوطن والدفاع عنه الكثير، أذكر منها:

1- حديث: "حب الوطن من الإيمان"[294]

من خلال البحث والتتبع نجد أن الخبر لا أصل له أبداً، ولم يرد الحديث أو بعض أطرافه في كتب الأولين أبداً وإنّما ورد ببعض كتب المتأخرين بغير أسانيد تذكر لدراستها وبناء على ذلك فقد أورده الأئمة الأعلام في كتب الموضوعات وكتب الأحاديث المختلقة المصطنعة التي ترد على ألسنة الناس وسنأتي على بيان ذلك وتفصيله على ما يأتي:

قال الفتني في تذكرة الموضوعات: "لم أقف عليه" [295].

وقال الكرمي في كتابه الفوائد: " لم أقف عليه".[296]

---

[294] رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي الصغاني الحنفي (ت 650هـ)، **الموضوعات**، ت: نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، ط: الثانية، 1405 هـ، عدد الصفحات: 83، (صـ 53)، رقم الحديث 81.؛عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**، ت: الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، الناشر: عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود، الرياض، عدد الصفحات: 226، (صـ 108)، رقم الحديث 190.؛ علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت 1014هـ)، **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى)**، ت: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الثانية، 1395 هـ،عدد الصفحات: 272، (صـ 91)، رقم الحديث 106.؛ مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى (ت 1033هـ)، **الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة**، ت: د. محمد بن لطفي الصباغ، الناشر: دار الوراق - الرياض، ط: الثالثة، 1419 هـ - 1998م، عدد الصفحات: 142، (صـ 132)، رقم الحديث 174.

[295] محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي (ت 986هـ)، **تذكرة الموضوعات**، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية، ط: الأولى، 1343 هـ، عدد الصفحات: 312، (صـ11).

[296] الكرمي، **الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة**، (صـ132).

وقال السخاوي[297]: "لم أقف عليه".[298]

وقال السيوطي: "لم أقف عليه".[299]

وقال الغزي[300]: "ليس بحديث".[301]

وقال علي القاري: "لا أصل له عند الحفاظ".[302]

وقال درويش[303]: "موضوع".[304]

فالخبر موضوع مختلق ولا أصل له ولم يرد إلينا بسندٍ معتبر يمكن دراسته والبحث في رجاله، غير أن معنى الحديث محفوظ ولا يخالف النصوص الشريعة.

2- حديث: "حبُّ الوطنِ قتالٌ".[305]

قال الغزي: "لَيْسَ بِحَدِيثٍ"[306]

---

[297] هو محمد بن عبد الرحمن شمس الدين السخاوي (ولد في القاهرة سنة 831 هـ - توفي في المدينة سنة 902 هـ)، وهو مؤرخ مشهور وعالم بالحديث والتفسير والأدب . يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (194/6).

[298] شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت 902هـ)، **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، ت: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الأولى، 1405 هـ - 1985م، عدد الأجزاء: 1، (صـ 297).

[299] السيوطي، **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**، (صـ108).

[300] أحمد بن عبد الكريم بن سعودي الغزي العامري (ولد في دمشق سنة 1078 هـ - وتوفي في دمشق سنة 1143 هـ)، وهو حفيد نجم الدين الغزي (المتوفى 1601) ، له «الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث» انتخبه من كتاب جده «إِتْقَان مَا يَحْسُنُ مِنَ الأَخْبَارِ الدَّائِرَةِ عَلَى الأَلْسُنِ».https://shamela.ws/author/1674 ُينظر، تاريخ الوصول 2022/09/01.

[301] أحمد بن عبد الكريم بن سعودي الغزي العامري (ت 1143هـ)، **الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث**، ت: بكر عبد الله أبو زيد، الناشر: دار الراية - الرياض، ط: الأولى، 1412 هـ، عدد الصفحات: 269، (صـ85).

[302] القاري، المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى)، (صـ91).

[303] هو محمد بن محمد درويش الحوت، (ولد سنة 1203هـ - توفي في بيروت سنة 1277هـ)، وهو عالم بالحديث والفقه. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (74/7).

[304] محمد بن محمد درويش أبو عبد الرحمن الحوت الشافعي (ت 1277هـ)، **أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب**، ت: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، 1418 هـ - 1997م، عدد الصفحات: 357، (صـ 123).

[305] العامري، **الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث**، (صـ 85)، رقم الحديث 126؛ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت 1162هـ)، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، الناشر: مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي – القاهرة، عام النشر: 1351 هـ، (347/1)، رقم الحديث 1103.

[306] العامري، **الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث**، (صـ 85).

قال العجلوني: "ليس بحديث"[307]

لم أقف بعد التحري والبحث على سندٍ لهذا الخبر يمكن دراسته وتتبع طرقه أيضاً وإنما ورد في بعض كتب المتأخرين مجرداً من غير سند يُذكر.

3- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: " لولا حب الوطن لخرب بلد السوء".[308]

وبالبحث عن هذا الأثر لم أقف عليه إلّا في كتاب روح البيان للخلوتي وذكره مجرد بغير إسناد أيضاً.

إنّ الأحاديث والآثار التي يتناقلها القصاص والوعاظ من أجل التأثير بالناس ودفعهم نحو حماية أرضهم وأوطانهم صنيع غير محمود وسيقف هؤلاء موقف المحاسب أمام الله ورسوله وهو القائل في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه وبسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ".[309]

وفي الأحاديث الصحيحة والأخبار الثابتة في كتاب الله وسنّة رسوله ما يكفي ويغني عن مثل هذه الأخبار، فحب الوطن محفوظ والدفاع عنه واجب والعمل على بناءه وصون حماه محل اتفاق، وبلاد الإسلام واحدة بالاتفاق لا فرق بين شرقها وغربها وبين موطن الولادة ومحل الإقامة، فالله استخلف عباده في أرضه لإقامة دينه وتطبيق شريعته.

فحب الوطن يتحقق بالإيمان الراسخ في القلب عندما يستقر في فؤاد المرء فيثمر عملاً صالحاً بعد ذلك، فالأصل هو الإيمان، وحفظ الدين والوطن وسيلة يتخذها الإنسان للوصول للغاية الكبرى وهي نشر دين الله عزّ وجل وإقامة شريعته وتطبيق حدوده، لذلك وجدنا أن الصحابة الكرام ومن سبقهم من صالح التابعين فارقوا أرضهم بغية الحفاظ على دينهم وإيمانهم.

---

[307] العجلوني، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، (347/1).

[308] الخلوتي، **روح البيان**، (442/6).

[309] مسلم، **صحيح مسلم**، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، (1 / 7)، رقم الحديث 3.

الفصل الرابع: حماية الوطن في السنّة النبويّة واستقراره وفهم المقاصد

الـمَبْـحـَـثُ الأول: أسس حفظ الوطن في السنّة النبويّة.

المطلب الأول: حفظ الوطن دينياً وفكرياً واجتماعياً وتعليمياً

أولاً: حفظ الوطن دينياً:

إنّ من أوجب الواجبات التي ينبغي العناية بها لحفظ الوطن هو الدين، وهو المؤشر الأساسي الذي ينغي للمسلم أن يتحرك محافظاً عليه ومحصلاً لمقصده، والدين باعتباره الركن القويم والأساس المنير الذي يسير عليه السالكون الى جنّات رب ين، ولا يمكن إغفال هذا الجانب في حفظ الوطن، لأن التربية الدينية أساسٌ في تربية الإنسان وتعليمه قواعد السلوك الصحيح، حتى يصل بذلك الإنسان الى بناءٍ قويٍ متين يخدم به أمته ويحفظ به قيم دينه، ويكون هذا البناء على ضوء الكتاب والسنّة لا زيغٌ فيه ولا تضليل.

ويمكن تحقيق هذه التربية الإيمانية المتينة من خلال إعمار المساجد والمعاهد الشرعية، وهذا الطريق مستقى من هدي النبي صلى الله عليه وسلم إذ ابتدأ هذه التربية من خلال بناء المسجد -وهو أول عمل قام به عند بلوغه المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم - لتأسيس وطنٍ آمناً دينياً وعقائدياً وفكرياً وأخلاقياً، فكانت اللبنة الأولى في البناء من خلال المسجد لتحقيق دوره الريادي في أسس الوطن من البناء واعتبار ذلك من الأركان، فانطلقت الدولة الإسلامية واستمرت الخلافة الراشدة بعدها بفضل هذه اللبنة المباركة، روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "قَدِمَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ المَدِينَةَ، وأَمَرَ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ، فَقالَ: يا بَنِي النَّجَّارِ، ثَامِنُونِي، فَقالوا: لا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إلَّا إلى اللَّهِ، فأمَرَ بقُبُورِ المُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بالخِرَبِ فَسُوِّيَتْ، وبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المَسْجِدِ" [310].

إنّ لكل دولة أركان من وزاراتٍ ودوائر ومؤسسات لإدارة الدولة وكانت هذه الأمور تتثمل في المسجد الذي أمر النبي صلى الله عليه سلم في بنائه والعمل على التركيز والتأكيد على ترابط الدين بالسياسة، والامتداد الأصيل بينهما.

[310] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، (20/3)، رقم الحديث 1868.

فظهر بذلك الدور الريادي الذي يمثله المسجد، باعتباره المنارة التي تضيء الطريق للإنسان في حياته وتقوم له صحة مسيره وعمله، يأخذ منه تعاليم دينه، ويؤسس عقيدته ويُغذّي فكره، ويؤدي فيه الصلوات الخمس التي تربي النفس على القيم والفضائل، وتنهى عن الشرور والرذائل.

قال تعالى:{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ}[311]

إنّ التربية الدينية تساعد المسلم لمعرفة قدر الوطن وأهميته والحقوق التي تترتب عليه في الواجب الشرعي تجاه وطنه من حفظٍ وحماية ودفاع، وهذه الفضائل التي يتحلى بها المسلم تحمله على ذلك فيبذل في سبيل ذلك الغالي والنفيس ويتحقق الانتماء الشرعي الديني الأصيل للوطن من حيث المعتقد، وتسمو معاني المحبة والمودة بين النّاس فيما بينهم من جانب وللوطن من جانب آخر، وتُبنى جسور التآلف والتعاون والتناصح والتناصر بين أفراد المجتمع، ولا ننسى أبداً أن الدّين هو الذي يَقضي ولا يُقضى عليه وهو الذي يُقدّم على كل شيء حتى الأرض والوطن، ولكن لا يقام دينٌ أو دعوة بغير أرضٍ تقام فيها دولة الإسلام، ونحن في هذا البحث ندرس وندور في فلك هذه المعاني.

ثانياً: حفظ الوطن اجتماعياً وفكرياً.

حرص النبي صلى الله عليه وسلم منذ بداية الأمر ووصوله للمدينة أن يعمل على أمرٍ مهم جداً وهو تحصين المجتمع من خلال المؤاخاة، وتأكيده صلى الله عليه وسلم على هذا الأمر المهم ودوره في التعاون والتكافل والتناصح والتكامل ووحدة المجتمع، فلمّا قدم المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وعمل على إزالة رواسب العصبية الجاهلية من النفوس، وإسقاط فوارق النفس واللون والمال، وجعل التميز بين النّاس بالتقوى والورع والعمل وظهر ذلك جلياً من خلال الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه وبسنده إلى عبد اللَّه بن زيد بن عاصم، قال: لمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النّاس فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ، فَقَالَ: " يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ " كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. قَالَ: " مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

[311] {النور: 36}.

وَسَلَّمَ؟ " قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. قَالَ: " لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النّاس بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النّاس وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنّاس دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ ".[312]

وعليه نعلم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم وضع أسس بناء الوطن وحمايته بين أصحابه اجتماعياً فكان الصمام الذي يحفظ الود ويقدّر الغير، ليحفظ بذلك نواة المجتمع من أي ريح تدعو للتشتت ونشوب الخلاف مبتعداً بذلك عن النزاع والفراق.

ومما رسخ بيانه كذلك النبي صلى الله عليه وسلم من تعامل المسلمين فيما بينهم وتعاونهم لبناء مجتمعٍ سليمٍ ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه وبسنده إلى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامة، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامة ".[313]

وكذلك ما رواه مسلم في صحيحه وبسنده إلى أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ مَالُهُ وَعِرْضُهُ وَدَمُهُ، حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ".[314]

ومما سبق من الأخبار نعلم أن النّبي صلى الله عليه وسلم وضع أسساً واضحة وطريقًا نيّراً لحفظ المجتمع من صيانة للأموال والأعراض والأنفس وحفظٍ للأموالِ والأبدانِ، وترابط وتماسك بين الناس.

إنّ كل هذه الأمور هي من عوامل حفظ المجتمع والوطن، فحين يتكون المجتمع من أشخاصٍ هذا حالهم يكون الوطن محصناً محمياً اجتماعياً، لا يستطيع أحدٌ النيل منه، أو الطعن فيه.

---

[312] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب: غزوة الطائف في شوال سنة ثمان،(5/157)، رقم الحديث 4330.

[313] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المظالم، باب: لا يسلم المسلم المسلم ولا يسلمه، (3/128)، رقم الحديث 2442.

[314] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الأدب، باب في الغيبة، (5/125)، رقم الحديث 4882.

ثالثاً: حفظ الوطن تعليمياً.

إنّ العلم هو السراج الذي ينير للناس طريقهم ويوضح لهم معالمهم، ويدفع المجتمع الى التقدّم والرقي كلّما زادت ثقافته وفهمه لكتاب الله تعالى وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم، من معرفة للأحكام، وفهم مقاصد الشريعة وقواعدها الكلية، وهذا مما يجعل الإنسان مهتما بعواقب ونتائج أقواله وأفعاله، فلا يصدر عنه إلا ما فيه الخير للبلاد والعباد وخدمة للدين والوطن والأرض.

روى مسلم في صحيحه وبسنده إلى تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ:" لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ".[315]

وكذلك ما رواه البخاري في صحيحه وبسنده إلى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: " بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ".[316]

فالنصح هو الأدب في تصحيح المسار والمودة في حفظ الأخوة والرباط، وينعكس بذلك خيره وأثره على المجتمع والوطن والدولة.

وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم خطر الجهل على المجتمع وآثاره الضّارة التي تنعكس على الفرد والمجتمع والأمّة، فروى البخاري في صحيحه وبسنده إلى أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا - أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا - قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ ".[317]

وهذا نتاج الجهل بالعلم يودي بالخراب والقتل وإراقة الدماء والاعتداء على الحدود والأعراض، وهو مهلكة للأوطان ودمارٌ للمجتمعات، فلا بدّ لأيّ أمّة تهتم بأرضها أن تحافظ على عِلمها وثقافتها من مهبط وحيها، مبتعدة عن الجهل ومشارب الغي والظلام.

---

[315] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (1/53)، رقم الحديث 95.

[316] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: الْإِيمَانُ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ: " الدِّينُ النَّصِيحَةُ "، (1 / 21)، رقم الحديث 57.

[317] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم، باب: قول الله عزوجل (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية)، (4/137)، رقم الحديث 3343.

المطلب الثاني: حراسة الوطن ورد الأعداء وبناء علاقات متينة مع الدول الأخرى

إنّ من أهمّ الأمور التي تجعل الوطن محفوظاً وتُسدد كيانه قوياً متيناً لا يتصدع، هو إعداد قوة للدفاع عنه وحراسته ليل نهار من أجل الذود عنه وحفظ حدوده وتقوية شوكته فلا يضمحل ولا ينهار، ولا يتصدع ولا يتهدم، ومن أجل ذلك فرض الله تعالى الجهاد والذي يُعتبر سنام الإسلام لحفظ الدين والوطن والأرض، روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ. قَالَ: " لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ "، ثُمَّ قَالَ: " أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ". قَالَ: ثُمَّ تَلَا {تَتَجَافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} حَتَّى بَلَغَ {يَعْمَلُونَ}، ثُمَّ قَالَ: " أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ " قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: " رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ "[318].

إنّ حفظ الوطن على المستوى الخارجي يتطلب العديد من العوامل والأسس التي تحقق هذه الغاية، ويمكن بيانها في إعداد قوة عسكرية للدفاع عن الوطن وحراسته وبناء علاقات قوية مع الدول الأخرى بالحفاظ على الثوابت وتحقيق المصالح.

أمّا بالنسبة لإعداد قوة عسكرية للدفاع عن الوطن وحراسته فيكون ذلك من خلال إيجاد الوحدة العسكرية القادرة على صيانة حدود الوطن، والدّفاع عنه في مواجهة الغزاة الطامعين، وتدعيم ذلك بتكوين معسكرات التدريب، والمدارس الحربية التي تعمل على تخريج القادة والأفراد القادرين على تحقيق التفوق العسكري، وإمداد الجيش بكل ما يحتاجه من خبرات وأدوات في تحقيق الكثير من الغايات.

وفسر النبي صلى الله عليه وسلم مفهوم القوة بالرمي وبيانه على ما رواه مسلم في صحيحه وبسنده إلى عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[318] الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب الإيمان عن رسوب الله صلى الله عليه وسلم، (362 / 4)، رقم الحديث 2616.

وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: "{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ".[319]

قال القرطبي: " إنّما فسر القوة بالرمي وإن كانت القوة تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب لكون الرمي أشد نكاية في العدو وأسهل مؤنة، لأنه قد يرمي رأس الكتيبة فيصاب فينهزم من خلفه" [320].

وما يُثري الخبر السابق تفصيلاً ويزيد البيان فيه بياناً وأهمّية لقيمة الرمي والقوة ما رواه البخاري في صحيحه وبسنده إلى سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ؛ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا، ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ ". قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ؟ " قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ ".[321]

إنّ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالرمي وتعلمه واضحٌ ظاهرٌ في تعليم النّاس الحِرف القتالية والدفاعية من أجل الدّفاع عن ديارهم وحفظ أوطانهم وإعداد العدة للقاء العدو إذا سولت لأحدٍ نفسه للاعتداء على ديار المسلمين، روى الترمذي في سننه وبسنده إلى عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى الْمِنْبَرِ: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } قَالَ: " أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، " أَلَا إِنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ لَكُمُ الْأَرْضَ، وَسَتُكْفَوْنَ الْمُؤْنَةَ، فَلَا يَعْجِزَنَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ ".[322]

وبه نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالعمل والجِدّ والسعي وعدم اللهو واللعب، وهذا يصب في مصلحة الوطن من حفظ شوكته وحماية أرضه.

---

[319] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي، (52 / 6)، رقم الحديث 1917.

[320] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى الرَّمْيِ، (38/4)، رقم الحديث 2899.

[321] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، (38 / 4)، رقم الحديث 2899.

[322] الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة الأنفال، (164 / 5)، رقم الحديث 3083.

ومن القضايا المهمة التي تحفظ الأوطان هي حراسة حدودها وحمايتها من الغزو والاعتداء إذ لا بدّ من الرباط والحراسة على الثغور والحدود، وهذا أمر الله تعالى القائل: **{** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**}**[323]

قال ابن حجر: " الرباط بكسر الراء وبالموحدة الخفيفة، ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم".[324]

وحثّ النبي صلى الله عليه وسلم على الرباط والدّفاع عن الوطن، وبيّن أهمّية الأمر وضرورته والأجر العظيم الذي يحصل عليه صاحبه، فروى البخاري في صحيحه وبسنده إلى سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ".[325]

وكذلك ما رواه مسلم في صحيحه وبسنده إلى سلمان الخير الفارسي قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفُتَّانَ ".[326]

والرباط هو الإقامة في الثغور والدّفاع عنها من غدر الغادرين ومكر الماكرين الحاقدين، ويعتبر الرباط بمثابة الجهاد في سبيل الله، لأن القائم فيه قائِمٌ على ثغرٍ يحفظ بيضة المسلمين ويصون أعراضهم وأموالهم ودمائهم ويحفظ أوطانهم.

ولهذا فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الأجر العظيم في الرباط، فروى الترمذي في سننه وبسنده إلى فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ أنه حدّث عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ، إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامة وَيَأْمَنُ، مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ ".[327]

---

[323] {آل عمران: 200}.

[324] ابن حجر، **فتح الباري**، (107/6).

[325] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، (35 / 4)، رقم الحديث 2892.

[326] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عزوجل، (50 / 6)، رقم الحديث 1913.

[327] الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في فضل من مات مرابطاً، (264 / 3)، رقم الحديث: 1621.

فيعتبر الرباط والجهاد من المقومات التي تحفظ الوطن وتجعل له أهمّية يخشى بها أعداء الله من الاقتراب منه أو الاقتطاع منه، فالمسلم وفيٌّ لوطنه، محبٌ له، مستعدٌ للتضحية بكل شيء لحمايته والدّفاع عنه، ورد العدوان عنه، فإذا تعرض الوطن لاعتداء أو محاولة غزو من قبل أحدٍ وجب مواجهته وصدّه ورد عدوانه، وهذا ما ظهر جلياً في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم خلال عدد من المواقف والغزوات، منها:

غزوة الأحزاب حين اجتمع المشركون وأهلُ الغي والضلال لحصار المدينة المنورة، وسعى الصحابة للدفاع عن أرضهم وموطنهم، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة الكرام واستشارهم، فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق، فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم بالفكرة، وبدأ الصحابة الكرام بالعمل عليها وتنفيذ الخطة لحماية المدينة والدّفاع عنها، روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

" اللهم لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلِ السَّكِينَةَ عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا " [328]

وروى البخاري أيضاً في صحيحه وبسنده إلى سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ". ثُمَّ قَالَ: " اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ ".[329]

فكان النبي صلى الله عليه وسلم في الصفوف الأولى يدافع عن وطنه ودينه وعقيدته هو وصحبه الكرام، وجعل هذا الفعل حجة علينا إلى يوم القيامة أن لا مبرر لنا أو عذر يقعدنا للدفاع عن ديننا وأرضنا.

---

[328] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق، (26 / 4)، رقم الحديث: 2837.

[329] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي إذا لم يقاتل أول النهار أخّر القتال حتى تزول الشمس، (51 / 4)، رقم الحديث: 2965.

إنّ المدافع عن دينه ووطنه إمّا أن يغلب وينتصر، فيعيش سعيداً، وإمّا أن يُقتل، فيكون شهيدا، فالموت حقٌ على كل البشر، وأشرف الموت أن يموت العبدُ في سبيل الله، مدافعاً عن دينه وعقيدته ووطنه وأمّته، فإذا مات الإنسان في سبيل الله كان شهيداً سعيداً إن صدق، روى أبو داود في سننه وبسنده إلى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ".[330]

إنّ بناء العلاقات مع الدول الأخرى تمثل محوراً سياسياً استراتيجياً أساسياً في حفظ الوطن والدّفاع عنه، لأن إقامة العلاقات القوية مع الدول تخفف من الأطماع ومحاولات الغزو، وبطبيعة الحال يتم هذا بعد تحقيق وتوطيد وتحصين الثوابت الدينة والوطنية الداخلية، وقد حقق النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر، وعمل على توثيق وتوطيد علاقات حسن الجوار من خلال جملة من الأمور كان منها، إرسال الرسل والرسائل من أجل تحقيق وتوطيد العلاقات الخارجية فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم سفراءه ورسله، حاملين دعوة الإسلام، معرّفين النّاس على دين الحق، حاملين لواء الدعوة بحكمة، باسطين فهمهم من مشكاة النبوة، فرسالة الإسلام هي رسالة إنسانية عالمية تتجاوز الحدود والأقطار والأزمنة والمسافات، فأرسل النبي صلى اله عليه وسلم كُتباً ورسائل إلى هرقل عظيم الروم وقيصر الشام، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى صاحب مصر، وإلى النجاشي، وغيرهم، روى مسلم في صحيحه وبسنده إلى أَنَسٍ رضي الله عنه، " أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".[331]

إنّ عقد المعاهدات والاتفاقيات تساعد في تنمية الأمّة وحفظ الوطن وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في عديدٍ من المراحل، فقد عاهد اليهود في المدينة على جملةٍ من الأمور وصالح أهل نجران[332]، وأهل فدك[333] وقرى أخرى، وصالح المشركين يوم الحديبية، روى

---

[330] أبو داود، **سنن أبي داود**، أول كتاب السنة، باب في قتال اللصوص، (84 / 5)، رقم الحديث 4772.

[331] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار، (166 / 5)، رقم الحديث: 1774

[332] تقع اليوم نجران جنوب المملكة السعودية، سميت بذلك لأن فيها سد وادي نجران، أحد أكبر السدود في الجزيرة العربية، يكثر فيها النخيل وتشتهر بالزراعة، وأشهر منطقة فيها الأخدودية التي وذكرت في القرآن في سورة البروج. يُنظر: محمد بن محمد حسن شُرَّاب، **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق- بيروت، ط: الأولى - 1411 هـ، عدد الصفحات: 304، (صـ23).

[333] تقع فدك اليوم في جنوب مدينة الحائط بالمملكة السعودية، أصبحت متروكة بعد انقطاع وجفاف مياه العيون التي كانت ترويها، وهي موقع زراعي تاريخي مشهور جداً. يُنظر: شُرَّاب، **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، (صـ 215).

البخاري في صحيحه وبسنده إلى الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: " لَمَّا صَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَةِ، كَتَبَ عَلِيٌّ بَيْنَهُمْ كِتَابًا، فَكَتَبَ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَا تَكْتُبْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، لَوْ كُنْتَ رَسُولًا لَمْ نُقَاتِلْكَ. فَقَالَ لِعَلِيٍّ: " امْحُهُ ". فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَمْحَاهُ. فَمَحَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، وَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَا يَدْخُلُوهَا إِلَّا بِجُلُبَّانِ السِّلَاحِ، فَسَأَلُوهُ: مَا جُلُبَّانُ السِّلَاحِ؟ فَقَالَ: الْقِرَابُ بِمَا فِيهِ".[334]

ومن ذلك معرفة لغات وعادات وطرق تفكير الآخرين لأن هذا يساعد على الأمن من مكرهم وخداعهم، روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه: " إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ الْيَهُودِ، حَتَّى كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُتُبَهُ، وَأَقْرَأْتُهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ وَقَالَ عُمَرُ وَعِنْدَهُ عَلِيٌّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعُثْمَانُ: مَاذَا تَقُولُ هَذِهِ؟ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَاطِبٍ: فَقُلْتُ: تُخْبِرُكَ بِصَاحِبِهَا الَّذِي صَنَعَ بِهَا. وَقَالَ أَبُو جَمْرَةَ: كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ. وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَا بُدَّ لِلْحَاكِمِ مِنْ مُتَرْجِمَيْنِ".[335]

إنّ هذه العلاقات ينبغي أن تكون قائمةً على أساسٍ من الاحترام المتبادل، دون التفريط في المبادئ، أو التنازل عن القيم، أو التخلي عن الدين، فالمنظومة متكاملة في النجاح والتقدم.

المبحث الثاني: المقاصد الشرعية في حب الوطن والدّفاع عنه في السنّة النبويّة

1: مقصد الكرامة الإنسانية:

إنّ من المقاصد الشرعية في حُب الوطن والدّفاع عنه هو حفظ الكرامة الإنسانية البشرية التي حفظها الله تبارك وتعالى وضمن تكريمها على سائر الخلق فقال جلّ وعلى: **{** وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهم فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهم عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**}** [336] فبهذا حفظ الدين الحنيف كرامة الإنسان وجوهر إنسانيته التي لا يستطيع أن يحيا إلّا في ظِلّها، ولا

---

[334] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلح، باب: كيف يكتب: هذا ما صالح فلان بن فلان وفلان بن فلان، (184 / 3)، رقم الحديث: 2698.

[335] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب: ترجمة الحكام، (76 / 9)، رقم الحديث: 7195.

[336] { الإسراء: 70}.

تُحفظ هذه الكرامة ويتحقق مقصِدها إلّا في ظِل وطنٍ يَنعم الإنسان بالعيش في ظلّه ويقتات من خيراته، يدافع عنه ويحفظ حدوده وترابه.

روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى واصل الأحدب، عَنِ الْمَعْرُورِ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ: ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ. إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ ".[337]

وفي هذا الحديث دلالةٌ واضحةٌ على حفظ كرامة الإنسان وعدم هدرها وإقامتها المقام الذي يليق بحفظها ورعايتها، فعندما يكون هناك وطنٌ قائم على أحكام الإسلام في حكمه وأخلاقيات أبنائه، سيحيا الإنسان في ظلّه كريماً سعيداً محفوظ الكرامة منصوب الهامة مرفوعة القامة لا يخشى إلا من الله عزوجل.

2: مقصد الحرية:

يعتبر مقصد الحرية من المقاصد الشرعية التي ضمنها الإسلام للإنسان وجعله يعيش في رحابها وينعم في ميدانها ضمن حدود النقل والعقل، ومن هذا قول الله تعالى: **{** لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ **}** [338]

قال الطبري اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: " نزلت هذه الآية في قوم من الأنصار- أو في رجل منهم - كان لهم أولاد قد هودوهم أو نصروهم، فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه، فنهاهم الله عن ذلك، حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الإسلام".[339]

وكذلك قول الله تعالى: **{** وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جميعاً **}** [340]

وفي هذا بيانٌ واضحٌ جداً أن الله تبارك وتعالى أعطى الإنسان حرية الاختيار، وأكّد الإسلام مراراً وتكراراً على مقصد الحرية ليضمن للإنسان هذا المناط من التحقق، فمن اهتدى

---

[337] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، (1 / 15)، رقم الحديث 30.
[338] { البقرة: 256}.
[339] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (5 / 407).
[340] {يونس: 99}.

واتبع سبيل الحق والرشاد وأهل العلم والنظر نجى وفاز، ومن اتبع سبيل الغي والضلال والفسق والفجور، خسر وخاب، ولكلِ سالكٍ طريقٌ سلكه باختياره وانتقائه.

إنّ مفهوم الحرية هو ضد العبودية وقد نظر الإسلام الى هذا المفهوم نظرة مميزة وشمولية فاعتبرها الإسلام ضرورة من الضرورات الإسلامية وفريضة الاهية يقتضي بها تكليفٌ شرعي واجبٌ، فتعتبر الحرية كمقصد من المقاصد التي لا يستطيع الإنسان أن يعيش بدونها ولو فقدها غدت حياته كالأنعام بحسب حياتهم من طعامٍ وشرابٍ ويغدو بذلك الإنسان كالميت وهو حيّ، لذلك اعتبر الإسلام الرق كالموت، وجعل عتق الرقبة بمثابة إحياء نفس، لاكتسابها الحرية وتخلصها من مفهوم الرق والعبودية.

وكذلك الأمر فإن الإسلام قد حفظ للإنسان التخلص من العبودية الدنيوية لغير الله تعالى، فقال:**{** فاعلم أنَّه لا إله إلاَّ الله **}**[341] ومن هذا المفهوم قال محمد عبدو[342]: " الإنسان عبد الله وحده، وسيد كل شيء بعده. "[343] وقال د. محمد عمارة[344]: "الإنسان سيد في الكون وليس سيد الكون"[345]، وعلى هذه الشاكلة يمكن القول إنّ الإنسان سيدٌ في الأرض من قبل سيد الخلق.

إنّ من أهمّ الأخبار التي تمثل هذا المقصد على الإطلاق بمفهوم الحرية الإنسانية هو ذاك الجيل الفريد، الذي ربّاه النبي صلى الله عليه وسلم على عينه وفي كنفه، وكيف أخرجهم من ظلمات الجهل إلى درجات المعرفة والضياء والنور.... إنّه الإسلام!!

ولك أن تقول أكثر من ذلك: كيف أخرجهم محمد صلى الله عليه وسلم من عبودية لذاتهم وشهواتهم إلى فضاء الحرية في معناها الأعلى والأسمى بأن تكون عبداً لله عزوجل!!

---

[341] { محمد: 19}.

[342] محمد بن عبده بن حسن خير الله، (ولد في قرية نصر في مصر سنة 1266 هـ – توفي في الاسكندرية في مصر سنة 1323 هـ)، وهو مفكر وفقيه وقاضي ومجدد إسلامي معروف، يعد أحد دعاة النهضة والإصلاح في العربي والإسلامي ورموز التجديد في الفقه الإسلامي. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (252/6).

1- [343] محمد عمارة، **العطاء الحضاري للإسلام**، سلسلة اقرأ، الناشر: مكتبة دار الشروق، ط: الأولى 1425 هـ - 2004 م، (158).

[344] محمد مصطفى عمارة (ولد بصروة في مصر سنة 1350 هـ - وتوفي فيها سنة 1441 هـ) يعتبر مفكر إسلامي كبير، عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر وعضو هيئة كبار علماء الأزهر، له الكثير من المؤلفات والتحقيقات. https://shamela.ws/author/1188 ينظر، تاريخ الوصول 2022/09/01.

[345] المصدر السابق نفسه.

ظهر ذلك جلياً من كلمات جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حينما وقف أمام النجاشي حينما سألهم عن سبب اضطهاد الوثنية القرشية للمسلمين:

" أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميته، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف- هذه هي معاني العبودية الحقيقية- فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام[346]. "

هكذا ربى النبي الرعيل الأول، مخلصين لله في أعمالهم، متخلقين بأخلاق نبيهم ومتمسكين بسنته وهديه، متحررين من عبادة ذواتهم وشهواتهم إلى عبادة الله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، متخلقين بحرية الإسلام الإنسانية ومفهومها ضمن سياج الشريعة والحقيقة.

جاء في موسوعة الفقه الإسلامي أن " الحرية ملازمة للكرامة الإنسانية، فلا إكراه في الدين، وقد رغَّب الإسلام في حرية الفكر والقول السديد، وحرية الرأي والنقد الهادف ".[347]

وعليه فإن حفظ الوطن يساعد في تسديد تحقيق هذا المقصد المهم، من حفظٍ ورعاية، وفهم الإنسان من اختيارٍ وعبادةٍ وتحرر من العباد في العبادة ومن الخيانة في أداء واجباته وأعماله.

3: مقصد المساواة:

تعد المساواة من أهمّ القيم والمقاصد وأجلّها، وهي من المقاصد الشرعية التي تحفظ شخصية الإنسان الفاعل في خدمة وطنه وكيانه وحقه في المجتمع، فمن المقرر في الشريعة الغراء أنّ النّاس كلهم سواسية ولا مزية لأحدهم على الآخر إلّا في التقوى والعمل الصالح وهذا

[346] أحمد، **مسند أحمد**، مسند أهل البيت رضوان الله عليهم، (3 / 263)، رقم الحديث 1740.
[347] محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، **موسوعة الفقه الإسلامي**، الناشر: بيت الأفكار الدولية، ط: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، عدد الأجزاء: 5، (5 / 324).

المبدأ الراسخ الذي قرره الإسلام في نص كتاب الله تعالى بقول: **{** يَا أَيُّهَا النّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**}**[348]

قال ابن أبي حاتم[349] بتفسيره في سبب نزول هذا الآية عن ابن أبي مليكة قال: " لما كان يوم الفتح رقى بلال فأذن على الكعبة فقال بعض الناس: هذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة، وقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره فنزلت يا أيها النّاس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ".[350]

وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم معنى المساواة حين شفع وجهاءٌ من القوم، في إعفاء امرأة شريفة وجب عليها حدّ السرقة، حتى لا تقع عليها العقوبة ويقام عليها الحد، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، ونبّه إلى عدم جواز الشفاعة في حدود الله؛ لأن ذلك يُخلّ بمبدأ المساواة بين الناس، ويؤدي إلى إيثار ذوي الوجاهة بإعفائهم من العقاب، مع إقامة الحدود على ضعفاء الناس، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ ذلك الأمر إذا ساد في مجتمعٍ أدّى به إلى الزوال، روى البخاري بسنده إلى عروة بن الزبير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا أَهْلَكَ النّاس قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا".[351]

ومن السنّة النبويّة أيضاً ما قرر هذا المقصد العظيم وظهر ذلك في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده وبسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع قال: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟ " قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ قَالَ: " أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ " قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ. ثُمَّ قَالَ: " أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ " قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ " قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ. قَالَ: " فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ - قَالَ: وَلَا

---

[348] { الحجرات: 13}.

[349] هو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران التّميمي الحَنْظَلي الرازي المعروف بابن أبي حاتم، (ولد سنة 240 هـ - توفي سنة 327 هـ) والرازي نسبة إلى الري والزاي للنسبة كما في المروز، يعتبر والده من أهم أعلام المسلمين من الحديث من جرحه وتعديله. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (324/3).

[350] ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفي: 327هـ)، ت: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط: الثالثة - 1419 هـ، (10 / 3306).

[351] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، (151/5)، رقم الحديث 4304.

أَدْرِي قَالَ: أَوْ أَعْرَاضَكُمْ أَمْ لَا - كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَبَلَّغْتُ؟ " قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: " لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ".[352]

ويعيب النبي صلى الله عليه وسلم على أحد أصحابه الملازمين له على الدعوة والعمل والحُبّ والتلقي، أنّه عيّر صاحباً له بلونه وعرقه، فعندما عيّر أبو ذر الغفاري بِلالاً بلونه الأسود، غضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال للصحابي الجليل: " إنك امرؤ فيك جاهلية ".[353]

4: مقصد تكوين سلطة سياسية قادرة على حماية الوطن:

إنّ تكوين السلطة السياسية هي من المقاصد التي تساعد في حماية الوطن والدّفاع عنه، ويتصور تكوين السلطة بوجود ولاية لإمامٍ يرعى مصالح النّاس ويقوم بشؤونهم والعمل على الحفاظ على أرض الإسلام بإقامة الحدود ورفع الظلم وبسط الأمن والأمان، فالحكم والسلطة وسيلة لتحقيق غاية سامية ومقاصد شرعية متعينة للدين من حفظ الأوطان وإقامة شؤون النّاس وحفظ حياتهم ودمائهم، قال تعالى: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهم فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} [354].

وعبّر الجويني[355] عن مبدأ تكوين السلطة السياسية بقوله: "هي رِيَاسَةٌ تَامة، وَزَعَامة عَامة، تَتَعَلَّقُ بِالْخَاصَّةِ وَالعامة، فِي مُهِمَّاتِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا. مُهِمَّتُهَا حِفْظُ الْحَوْزَةِ، وَرِعَايَةُ الرَّعِيَّةِ، وَإِقَامة الدَّعْوَةِ بِالْحُجَّةِ وَالسَّيْفِ، وَكَفُّ الْخَيْفِ وَالْحَيْفِ، وَالِانْتِصَافُ لِلْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَاسْتِيفَاءُ الْحُقُوقِ مِنَ الْمُمْتَنِعِينَ، وَإِيفَاؤُهَا عَلَى الْمُسْتَحِقِّينَ ".[356]

فمفهومها إذاً رعاية شؤون النّاس وحِفظ مصالحهم والدّفاع عن ديار الإسلام وحفظ حدود الدين بمقتضى كتاب الله وسنّة رسول الله.

---

[352] أحمد، **مسند أحمد**، مسند الأنصار، (38 / 474)، رقم الحديث 23489.

[353] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: الْإِيمَانُ، بَابٌ: الْمَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، (15/1)، رقم الحديث 30.

[354] { الحج: 41}.

[355] هو إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني الشافعي الأشعري، (ولد في جوين في نيسابور سنة 419 هـ - توفي فيها سنة 478 هـ)، وهو فقيه وأصولي شافعي من أصحاب التأليف والتحرير، إمام المدرسة النظامية، كان يحضر دروسه أكابر العلماء. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (160/4).

[356] الجويني، **الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم**، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفي: 478هـ)، ت: عبد العظيم الديب، الناشر: مكتبة إمام الحرمين، ط: الثانية، 1401هـ، عدد الأجزاء: 1، (1 / 22).

وعطف على هذا القرطبي في بيان مفهوم السياسة والرياسة فقال: " إِنَّمَا نُصِبَ لِدَفْعِ الْعَدُوِّ وَحِمَايَةِ الْبَيْضَةِ وَسَدِّ الْخَلَلِ وَاسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ وَإِقَامة الْحُدُودِ وَجِبَايَةِ الْأَمْوَالِ لِبَيْتِ الْمَالِ وَقِسْمَتِهَا عَلَى أَهْلِهَا ".[357]

فلا يتصور وجود شعب بوطن ومقاصدهم محفوظة بغير وجود إمامٍ أو سلطةٍ سياسية ترعى شؤونهم وتحافظ على أعمالهم ومصالحهم وتحقق مقاصد حياتهم.

فمقصد حب الوطن والدّفاع عنه ظاهرٌ في الحفاظ على تحقيق المقاصد السابقة وضمان تمتع النفس البشرية بها والعيش في ظل دولة تحكم بكتاب الله وسنّة نبيه.

5: مقصد الأمن:

يعتبر مقصد حفظ الأمن من المقاصد التي لا يتصور العيش في بقعة أرضٍ بغير توفر هذا المقصد فيها، ويتحقق هذا المقصد من خلال حماية الوطن داخلياً وخارجياً من المخاطر المحيطة فيه من مكر الأعداد المتربصين بأمنه واستقراره، وإن الله تبارك وتعالى لم يؤتي الإنسان نعمة بعد الإسلام هي أعظم من نعمة الأمن والاستقرار في الأوطان، لذلك كان من دعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام في كتاب ربنا: { وإذْ قالَ إبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذا بَلَدًا آمِنًا وارْزُقْ أهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَن آمَنَ مِنهم بِاللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ قالَ ومَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أضْطَرُّهُ إلى عَذابِ النّارِ وبِئْسَ المَصِيرُ }[358]، فمن النعم المعجّلة في هذه الدار هي نعمة الأمن والأمان والاستقرار، وهي من أهمّ المقاصد التي تتحصل من الدّفاع عن الوطن وحبّه والذود عنه.

ومن آثار السنّة النبويّة التي تبين لنا أهمّية أمن الوطن والعيش في ظلّه باستقرار ورغد ما رواه الترمذي في سننه وبسنده إلى عبد الله بن محصن قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافي فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا ".[359]

---

[357] أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: الثانية، 1384 هـ - 1964 م، عدد الأجزاء: 20 جزءا (في 10مجلدات)، (1 / 271).

[358] { البقرة: 126 }.

[359] الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب الزهد عن رسول الله، (4 / 167)، رقم الحديث 2346.

وكذلك من مقاصد حفظ الأمن التي اهتمّت بها السنّة النبويّة ما رواه أحمد في مسنده وبسنده الى عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: " اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي".[360]

ومن الأمور التي جعلت مقصد الأمن مستقراً في المجتمع ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترويع الآمنين في أوطانهم، وهذا النهي فيه بُعد نظر منه صلى الله عليه وسلم لحفظ المجتمع من التشتت والتفكك وانتشار الخوف بين أبنائه، روى أبو داود في سننه وبسنده إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أنهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا ".[361]

6: مقصد حفظ الدين:

إنّ مقصد حفظ الدين من المقاصد الضرورية المهمّة في الشريعة الغراء وهو الركن الوثيق لقيام أي أمّة وحفظ حدود أرضها وعيش أفرادها، فعندما يتوفر الدّين في مكانٍ ما يعيش النّاس فيه بمعانيه السامية وأخلاقه الفاضلة، وقد عبّر الغزالي عن هذا المفهوم في ترابط الوطن والملك من جانب والدين والعقيدة من جانب آخر بقوله: " الملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان " [362]

ومن الأوامر التي توجهت للخلق مجتمعين فيما ورد من كتاب رب ين قول الله تعالى: **{** فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاس عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لَا يَعْلَمُونَ **}**[363]

---

[360] أحمد، **مسند أحمد**، مسند عبد الله بن عمر، (8 / 403)، رقم الحديث 4785.

[361] أبو داود، **سنن أبي داود**، كِتَابِ الْأَدَبِ، بَابٌ: مَنْ يَأْخُذُ الشَّيْءَ عَلَى الْمِزَاحِ، (5/ 171)، رقم الحديث 5004.

[362] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ)، **إحياء علوم الدين**، الناشر: دار المعرفة - بيروت، د ط، د ت، عدد الأجزاء:4.، (1 / 17).

[363] {الروم: 30 }.

واعتنت السنّة المطهرة بحفظ هذا المقصد غاية العناية، فروى البخاري في صحيحه وبسنده الى حميد بن عبد الرحمن: سمعت معاوية - خطيباً - يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ".[364]

وفي الحديث بيانُ أن الله عزوجل إذا أرد بعبدٍ خيراً علّمه وفقهه في الدين، وبهذا يكون الخير في حفظ هذا المقصد عظيمٌ كبيرٌ وله انعكاسٌ مباشرٌ على حفظ الوطن والأرض.

وروى مسلم في صحيحه وبسنده الى تميم الداري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الدِّينُ النَّصِيحَةُ ". قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: " لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ".[365]

وفي الحديث بيانُ تعظيم قيمة مهمة جداً في المجتمع إذا انتشرت صلح المجتمع وتماسكت لبناته وتقوت أطرافه ألا وهي النصيحة.

فإن حفظ الدين لصلاح بُنية المجتمع وأفراده وتماسك مكوناته من أهمّ المقاصد التي تحاكي حماية الوطن والدّفاع عنه.

7: مقصد حفظ النفوس:

إنّ مقصد حفظ النفس من المقاصد الضرورية في الشريعة الغراء، لا سيما وأنّ الله تبارك وتعالى جعل حرمة الدماء عظيمة ويترتب على هدر النفس وإراقة الدماء المفاسد العظيمة، وحفظ النفس التي أناط الشارع حفظها من أجل إعمار الأرض والحفاظ عليها وإقامة شرع الله فيها من أهمّ المقاصد التي تنبع من حب الوطن والدّفاع عنه، وقد اعتبر علماء السلف وأهل الأثر في كثيرٍ من أقوالهم أنّ قتل النّفس هي من أعظم المهالك التي تودي بمن أراق الدم فيها إلى الفساد والخسران، وقد حرّم الإسلام قتل النفس وشنّع على من يزهق الروح فقال تعالى: **{** مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاس جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاس جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ**}** [366]

---

[364] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: الْعِلْمُ، بَابٌ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، (1 / 25)، رقم الحديث 71.
[365] مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابٌ: الْإِيمَانُ، بَابٌ: بَيَانُ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، (1 / 53)، رقم الحديث 55.
[366] {المائدة: 32 }.

قال الماوردي[367] في تفسير الآية: "يعني من قتل نفساً ظلماً بغير نفس قتلت، فيقتل قصاصاً، أو فساد في الأرض استحقت به القتل، الفساد في الأرض يكون بالحرب لله ولرسوله وإخافة السبيل".[368]

وقال تعالى:{ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } [369] فجعل الله تبارك وتعالى لمن يعتدي على النفس عقوبةً عظيمةً فشرع القِصاص وإقامة الحد في سبيل مقصد حفظ النفس.

روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: " الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ ".[370]

يتبين من الخبر عِظم الأمر في الاعتداء على النفس التي حرّمها الله تبارك وتعالى وضمن حفظها ورعايتها واستخلافها في الأرض وأنّ الذي يعتدي عليها قد ارتكب كبيرة من أبشع الكبائر.

وروى البخاري أيضاً في صحيحه وبسنده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا ".[371]

إذا انتزعت الخيرية من الإنسان بسبب اعتدائه على حرمات الله فلا خير فيه بعد ذلك، فلا سماء تظله ولا أرض تقلّه.

---

[367] هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (364 - 450 هـ) من أكبر قضاة الدولة العباسية، صاحب التصانيف الكثيرة والفريدة، الفقيه الحافظ، من أكبر فقهاء الشافعية وله سابقة عظيمة في الفقه فقد ألّف في الفقه الشافعية موسوعة ضخمة في أكثر من عشرين جزءًا. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، (327/4).

[368] الماوردي، **تفسير الماوردي = النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفي: 450هـ)، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، (31/2).

[369] {النساء: 93 }.

[370] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: الْوَصَايَا، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا، (4 / 10)، رقم الحديث 2766.

[371] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الدِّيَاتِ، قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ، (9 / 2)، رقم الحديث 6862.

ومما سبق من الأخبار يظهر منها جلياً أنّ الله تبارك وتعالى أولى مقصد حفظ النفس أهمّية كبيرة فإذا ما أمن النّاس معاشهم ودمائهم عاشوا في ظِلّ وطن آمن هم بناته وخلفاؤه ليعيشوا مستخلفين فيه يعمروا الأرض بطاعة الله وإقامة دينه وتطبيق شريعته.

8: مقصد حفظ الأموال:

يعتبر المال من الضرورات الملحّة لقيام أي مجتمع وازدهاره وتطوره وعيش أبنائه في رغد وسعادة، ومقصد المال من المقاصد المهمة التي اعتنى الشارع في تحصيلها وإيجادها فقال تعالى:{ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [372]

فوصف الله تبارك وتعالى المال أنه زينة الحياة الدنيا، لا سيما لمن استخدمه في طاعة الله من إنفاق وعمل خير واستثمار في الحلال والمباح، فيكون بذلك سعيداً في الدارين.

وقال تعالى أيضاً في منهج رباني ينهى عن اعتداء النّاس على أموال بعضهم البعض، واستخدام المال في جوانب الحرام التي تفسد الفرد والأسرة وتودي بهم الى الضياع والشتات، وعلّة النهي جليّة لحفظ المجتمع من انتشار الرزيلة والفساد فقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ} [373]

قال الطبري في تفسيره: " أما" أكلهم أموالهم بينهم بالباطل "، فبالرّبا والقمار والبخس والظلم، "إلا أن تكون تجارة "، ليربح في الدرهم ألفًا إن استطاع. "[374]

وكذلك أولت السنّة النبويّة مقصد حفظ المال مكانة مهمّة في حفظ المال من اعتداء الغير عليه أو اكتسابه بغير حق، فروى مسلم في صحيحه وبسنده الى أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ ".[375]

---

[372] { الكهف: 46}.

[373] { النساء: 29}.

[374] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (8 / 217).

[375] مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابٌ: الْبِرُّ وَالصِّلَةُ وَالْآدَابُ، بَابٌ: تَحْرِيمُ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، (8 / 10)، رقم الحديث 2564.

واعتنت السنّة النبويّة كذلك بحفظ مال المرء من الضياع في الملهيات وإسرافه فيما لا طائل منه، وذلك لحضّ المرء على استخدام ماله فيما ينفعه وينفع أهله وخواصه في دنياه وآخرته، فروى البخاري في صحيحه وبسنده الى كاتب المغيرة بن شعبة، قال: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة أن اكتب إلي بشيء سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم. فكتب إليه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ".[376]

ومن الأخبار السالفة نجد أن الشرع قد اهتم في حفظ المال العام والخاص للإنسان من الاعتداء من الخارج والمجتمع المحيط، ومن الإسراف والتبذير من الداخل والنفس الأمّارة بالسوء، وجعل الإنسان في ميزان الاعتدال من حيث الانفاق والكسب المباح، ليحفظ بذلك الدّين الحنيف مقصد المال في المجتمع، ولا شك أنّ حماية الوطن والدّفاع عنه من أهمّ الأدوات التي تحافظ على مقصد حفظ المال وترعاه، لأنّ الوطن عندما يَنعم بالأمن والأمان بعيداً عن الفوضى والنهب والشتات سيكون بذلك قد ضمن مقصد حفظ المال للنّاس في المجتمع ويشكل بذلك عندئذٍ جناحاً اقتصادياً متيناً لهذا الوطن.

9: مقصد حفظ الأعراض:

إنّ حفظ الأعراض هي من المقاصد المهمّة التي فصّل الشارع في كيفية الحفاظ عليها ورعايتها، فحفظ النّسل هو الذي يكفل حفظ النّوع الإنساني من الضياع والاندثار ودوام الحياة على هذه الأرض التي استخلفنا الله عليها، وحفظ النسل يكون بشكل مباشر بحفظها من عدم الاختلاط لان ذلك يُفضي الى ضياع الأنساب واختلاط المجتمع وضاع هويته وانهيار لبناته وبنيته وبذلك ينهار المكون الأساسي للمجتمع ألا وهي الأسرة، قال تعالى: **{**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**}** [377]

ومن الأمور الأساسية التي حفظ فيها الإسلام هذا المقصد بشكلٍ خاص، هو النّهي عن عادة الجاهلية التي كانت منتشرة وسائدة قبل الإسلام من قتل الذراري والأولاد خشية الفقر، فقال تعالى:**{** وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهم وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ **}** [378]، قال السيوطي في تفسيره عن ابن عباس: " {وَلَا تقتلُوا أَوْلَادكُم من إملاق} قَالَ:

---

[376] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: الزَّكَاةُ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا، (2 / 124)، رقم الحديث 1477.

[377] { الروم: 21}.

[378] {الأنعام: 151}.

خشيَة الْفقر {وَلَا تقربُوا الْفَوَاحِش مَا ظهر مِنْهَا وَمَا بطن} قَالَ: كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّة لَا يرَوْنَ بِالزِّنَا بَأْسا فِي السِّرّ ويستقبحونه فِي الْعَلَانِيَة فحرَّم الله الزِّنَا فِي السِّرّ وَالْعَلَانِيَة ".[379]

وقد ورد في الكتاب والسنّة الآثار الكثيرة التي حرّم الله تبارك وتعالى فيها الزنى وجعلها من الكبائر التي تسلك بصاحبها الى المهالك وبهذا ضمن الشارع حفظ هذا المقصد المهم، روى الترمذي في سننه وبسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَكِنَّ التَّوْبَةَ مَعْرُوضَةٌ ".[380]

سنّ الله تبارك وتعالى من المباح للإنسان أطيب السنن وأعظمها وهي الإعفاف بالزواج، وحثّ الشارع عليها وعلى تحصيلها لحفظ الأنساب وضبط المجتمع وبناء الأسرة الصالحة الطيبة، روى البخاري في صحيحه وبسنده الى علقمة، قال: بينا أنا أمشي مع عبد الله رضي الله عنه، فقال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ ".[381]

ومن المقرر لكل عاقلٍ أنّ حفظ الوطن وحمايته يساهم بشكلٍ مباشرٍ وأساسيٍ في الحفاظ على مقصد النسل وتشكيل بنية مجتمع متماسك مترابط يسوده المودة والمحبة والوئام في طبقات أفراده، متحابين متناصحين في تعاملاتهم وأحوالهم.

الـمَبْـحـَـثُ الثالث: القانون في السنّة النبويّة ودوره في استقرار الوطن.

إنّ من الحاجات التي تساعد في الحفاظ على الوطن واستقراره هو وجود قانون يرعى شؤون النّاس ويُسير أعمالهم ويَضبطُ تعاملاتهم، فيغدو بذلك المجتمع منضبطاً مستقراً راسخاً في تطوره وازدهاره، فعندما يسود القانون بين الأفراد ينضبط الوسط المجتمعي من وقوع جرائم واعتداء وشتات وضياع في ظلّ الوطن وبين أفراده وعلى ثغره، فالقانون هو الرادع الذي يحفظ

---

[379] السيوطي، **الدر المنثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: 911هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، عدد الأجزاء: 8، (3 / 383).

[380] الترمذي، **سنن الترمذي**، أَبْوَابُ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: مَا جَاءَ لَا يَزْنِي الزَّانِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، (4 / 368)، رقم الحديث 2625.

[381] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: الصَّوْمُ.، بَابُ الصَّوْمِ لِمَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ الْعُزُوبَةَ، (3 / 26)، رقم الحديث 1905.

ويضمن عيش النّاس في ظل مجتمعٍ متماسكٍ يسوده الحُبُّ والمودة والوئام والأمن والاستقرار الذي يكفل الحياة الكريمة والرغد في المحيا للناس جميعاً.

إنّ هذا القانون الذي لا يصلح مجتمعٌ إلّا بوجوده هو مستندٌ في الحقيقة على كتاب الله وسنّة رسوله، من ضوابط وقواعد وحدود وعقوبات تضمن للناس العدل والإنصاف بعيداً عن الإفراط والتفريط، ولقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم بعض القوانين في نواة الدولة التي أسسها في المدينة وبين الرعيل الأول من الصحابة الكرام لنجد بذلك النجاح الكبير الذي عاشه الصحابة الكرام في ظل دولة تُنصف الضعيف وتأخذ حقه من القوي وتُفاضل بين النّاس بالإيمان والتقوى لا بالجاه والنسب وتحفظ الحقوق وتؤدي الواجبات كما أمر بذلك ربنا جلّ وعلى.

أولاً: تعريف سيادة القانون

1- القانون اصلاحاً: " هو مجموعة من القواعد القانونيّة النّافذة التي تنظّم سلوك الأفراد في المجتمع تنظيما ملزما ومن يخالفها يعاقب ".[382]

2- السيادة [383]: تطلق السّيادة لغة على المقدّم على غيره جاها أو مكانة، وتدلّ على الغلبة، فيقال: " فُلَانٌ أَسْوَدُ مِنْ فُلَانٍ، أَيْ أَعْلَى سِيَادَةً مِنْهُ" ويقال: "سادَ قومَه.. فَهُوَ سيّدٌ ".[384]

3- سيادة القانون الإسلامي هي: التحاكم والامتثال الى قانون يُطبق على الأفراد جميعاً بعدالة ومساواة، ويكون هذا القانون مستمداً لأصوله وقواعده من أحكام الشريعة الغراء من الكتاب والسنّة وفعل سلف الأمّة.

ثانياً: مبادئ سيادة القانون في السنّة النبويّة

أ- مبدأ المساواة بين جميع الأفراد:

وهذا المبدأ من أهمّ المبادئ التي يترسخ بها القانون ويصبح له أثراً في قلوب النّاس ورادعاً من تجاوز الحدود والضوابط، وقد أصّل النبي صلى الله عليه وسلم لهذا المبدأ العظيم في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه وبسنده إلى عائشة رضي الله عنها، أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله

---

[382] عيد، **سيادة القانون**، (30 - 37.)

[383] تعريف السيادة لغة، وتحمل على نفس اللفظ اصطلاحاً.

[384] ابن فارس، **معجم مقاييس اللّغة**، (3/ 11 4) ،

صلى الله عليه وسلم: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟ " ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: " إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بْنَتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ".[385]

فنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم رسم معالماً واضحة وركز على أمرٍ مهم وعظيم وهو المساواة بين المسلمين واعتبار الحُكم والشرع قاضي على النّاس جميعاً من غير تفريق في أعراقهم وأنسابهم وأشخاصهم، والذي أنكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم هو أسامة وهو الحب ابن الحب رضي الله عنه، ولكنّ الشرع وحدود الله أعظم من الأشخاص أنفسهم وأعيانهم، فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الفعل، ولم يكتفي النبي صلى الله عليه وسلم بالإنكار بشكلٍ فردي ولكن لأهمّية الأمر وعِظمه قام خطيباً بين النّاس وعلى الملء ليقول عبارته الشهيرة تلك " لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها "[386] وبهذا ضمن تبليغ النّاس أجمعين امتثالهم لحدود الله وشرعه وقانونه، وأن هذا الأمر سيسري عليهم جميعاً منه صلى الله عليه وسلم وآل بيته والى جميع النّاس بعده.

ومن المهم أيضاً الاشارة إلى ملمح مهم في الخبر السابق، وهو أن النّبي صلى الله عليه وسلّم أشار الى سبب هلاك الأمم السابقة وهو بالإجمال عدم سيادة مبدأ المساواة في تطبيق القانون، فكانوا يقيمون الحد على الضعيف ويتجاهلون القوي، فأكد النبي صلى الله عليه وسلم على ضرورة وأهمّية تطبيق القانون على جميع الأفراد امتثالاً لأوامر الله عز وجل وابتغاء رضوانه، يقول الحق سبحانه: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[387]

إنّ الشواهد من السنّة النبويّة في تحقيق وترسيخ هذا المبدأ كثيرة جداً ولعلّ من أبرز تلك الشواهد التي حققت المساواة بين المسلمين وغيرهم من طوائف المجتمع هي "صحيفة المدينة"[388] التي نظّمت العلاقات بين سكان المدينة وجميع الأطراف داخل المدينة راسمةً حدود الحقوق والواجبات بينهم، وتعتبر هذا الوثيقة من أهمّ انجازات الدولة الاسلامية السابقة في تثبيت أركان دولة العدل والحق في ترسيخ مبدأ المواطنة الكاملة بين المسلمين وغيرهم، وهناك شهادات كثيرة

---

[385] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: أَحَادِيثُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، (4 / 175)، رقم الحديث 3475.

[386] المصدر السابق نفسه.

[387] { النور: 63 }.

[388] قلتُ: وهي أول دستور مدني في تاريخ الدولة الإسلامية، تمت كتابتها فور هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة. يُنظر: منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، **مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة**، وقد صدرت في 13 عددا، وكل عدد يتكون من مجموعة من المجلدات، (826/7).

من أرباب السياسة المعاصرة التي تَنسب الأسبقية فيها والفضل للمسلمين منذ الرعيل الأول في تنظيم المجتمع السلامي في إطار الوحدة والانتماء والعدل والإنصاف والمساوة في لِبنات مجتمعه الواحد.

ب- مبدأ نزاهة القضاء والحزم:

إنّ وجود القضاء والقاضي وحده لا يكفي لتطبيق القانون مالم يستند هذا القانون لقوة مستمدة من نظام الدولة والحكم بشكل كامل يُطبق على الجميع من رأس الهرم الى منتهاه، وإنّ من مستلزمات النجاح في سيادة القانون لحماية الوطن والدّفاع عنه هو وجود مبدأ الحزم والنزاهة في القضاء، فمتى وجد الحزم والعزيمة على انفاذ القانون التزم الجميع فيه وهابوه ولم يجترؤوا على انتقاصه أو التساهل فيه، وكذلك الأمر لابدّ من وجود النزاهة التي تزرع في قلوب النّاس الاطمئنان والسكينة في اعتبار أن الحكم سيكون خالصاً لله دون وجود محسوبيات أو محابة لأحد من سلك القضاء، ولعلّ هذا المبدأ من أهمّ الأمور التي تساعد في الحفاظ على هيبة القانون والقضاء، روى البخاري في صحيحه وبسنده الى عائشة رضي الله عنها قالت: "ما خير النبي صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يأثم، فإذا كان الإثم، كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله".[389]

وفي هذا الحديث دلالةٌ ظاهرةٌ أن النّبي صلى الله عليه وسلم كان يتساهل إذا انتقص أحدٌ من حقه أو هضمه، ولم يكن لينتقم من أحدٍ أبداً، ولم يُؤثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه انتقم لنفسه أو لأهله في خبرٍ واحدٍ، ولكن كان إذا تعلق الأمر بحرمات الله وحقوق الخلق فإنه كان لا يتهاون أبداً ويستبدل لينه غضباً ورحمته الى عدل وحكمة.

وفي هذا الخبر رسالة مهمة إلى من تسلّم أمر القضاء وتولى من شؤون المسلمين فض النزاع والحكم بينهم، أن يتقوا الله في أنفسهم ولا ينتقموا لأشخاصهم، وأن يحتسبوا أعمالهم ووقتهم في تطبيق الحق والعدل والإنصاف بين النّاس دون تهاون أو انتقام أو محاباة، والحقيقة تفضي إلى أن هذا المبدأ لو ترسّخ سيكون عاملاً مهماً جداً في ازدهار الأوطان ورقي المجتمع وتماسك أفراده وحفظ حدوده.

[389] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَالِانْتِقَامِ لِحُرُمَاتِ اللَّهِ، (8 / 160)، رقم الحديث 6786.

ت- مبدأ المساءلة والمحاسبة:

إنّ رسوخ مفهوم المحاسبة والمساءلة لجميع أفراد المجتمع لا سيما المسؤولون منهم واللذين تصدّروا لأمر العامة هو من أهمّ المبادئ التي يساعد في بسط سيادة القانون وتمكينه من قلوب النّاس إيجاباً وتطبيقاً، فنجد في كثيرٍ من المجتمعات استغلال المتصدرين للقانون واستخدامه لأغراض شخصية وخاصة، مما يؤدي الى تزعزع سيادة القانون في قلوب النّاس وعدم انصياعهم له واستجابتهم لضوابطه، روى البخاري في صحيحه وبسنده إلى أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا على صدقات بني سليم، يدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه، قال: هذا مالكم، وهذا هدية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا؟ ". ثُمَّ خَطَبَنَا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي. أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، وَاللَّهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ ". ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ، يَقُولُ: " اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ". بَصُرَ عَيْنِي، وَسَمْعَ أُذُنِي".[390] وفي هذا الحديث ملمحٌ لطيفٌ للتأكيد على هذا المبدأ المهم، ففيه بيانٌ واضحٌ من النبي صلى الله عليه وسلم على محاسبة المسؤولين وسؤالهم وتتبع أعمالهم، لأن النفس البشرية ربّما تتبع الهوى في بعض الأحيان ولابدّ من وجود من يُذّكرها بالله واليوم الأخر وأن يقف الإنسان فيها عند حدود الله وشرعه.

ونجد في الخبر أيضاً مبالغة النبي صلى الله عليه وسلم في الإنكار والتشنيع على من تُسول له نفسه تحقيق مكاسب من شؤون العامة أو تحصيل نفعٍ من منصبٍ قد تولّاه لخدمة الناس، فسطر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ مهماً وشعاراً رائعاً يُعمل به في مجتمعٍ يرجو السلامة والعناية لأفراده بقوله صلى الله عليه وسلم: " أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ "[391]، فقد زجر النبي صلى الله عليه وسلم عن الهدية وفيها مظنّة تحصيل بمنصب الرجل، فكيف هو الحال بمن يكسب بهذه المهمّة ويقتات منها بغير حقٍ وهي للمسلمين عامة.

---

[390] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الْحِيَلِ، بَابُ احْتِيَالِ الْعَامِلِ لِيُهْدَى لَهُ، (9 / 28)، رقم الحديث 6979.

[391] المصدر السابق نفسه.

ونلتمس من السياق السابق أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب النّاس بهذا الشأن ولم يكتفي فقط بالكلام في مجلسه وبين بعض أصحابه، وهذا الفعل فيه ملمحٌ مهمٌ على أهمّية هذا الأمر وقدره حيث تجلى ذلك بخطبة النبي صلى الله عليه وسلم.

وسار على هذا المنهج القويم الصحابة الكرام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا عمر رضي الله عنه نجد عنده الكثير من المواقف في المراقبة الذاتية على نفسه ومحاسبتها وكان يقول " لَوْ مَاتَتْ شَاةٌ عَلَى شَطِّ الْفُرَاتِ ضَائِعَةً، لَظَنَنْتُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَائِلِي عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامة "[392]

وكان دائماً ما يطلب الولاة ويحاسبهم ويُعيد أموالهم الى بيت المال وهم من كبار الصحابة وعِلِيَة القوم، ومن الصَّحابة الذين حاسبهم رضي الله عنه أبو هريرة رضي الله عنه عامله على البحرين، وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه عامله على البصرة، وعمرو بن العاص رضي الله عنه عامله على مصر، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عامله على الكوفة، وما كان لينسى أقرب النّاس إليه من الحساب فنال بذلك عبد الله بن عمر رضي الله عنه وافر الحظ من ذلك أيضاً، رضي الله عنهم أجمعين.

ث- مبدأ التشريع والتحاكم:

لابدّ من التحاكم الى قانون يقضي بالحكم في كتاب الله وسنّة رسول الله، وألّا يرغب النّاس في غيره وعدم الرضى بهذا القانون الذي يُسيّر شؤونهم ويقضي بالخير في مصالحهم، أمّا الحكم على الأفراد بغير نصٍ أو دليلٍ فهذا فيه ظلمٌ وإشحافٌ في حق النّاس ويؤدي ذلك الى إفساد سيادة القانون وهيبته واضمحلالها في المجتمع، وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المبدأ المهمّ الذي يأمر بحكم القاضي في دليلٍ دونَ تعسفٍ أو إجحافٍ أو تأولٍ بالآراء والأهواء.

فنجد النبي صلى الله عليه وسلم في حادثة الإفك قرر هذا المبدأ المهم جداً بعد أن خاض المنافقون في السيدة عائشة وكثر الكلام استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، فأشار عليه

---

[392] أبو نعيم، **حلية الأولياء**، (53/1)، من طريق عَبْد اللهِ بْن الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللهِ الْبَابْلُتِّيُّ، ثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: " لَوْ مَاتَتْ شَاةٌ عَلَى شَطِّ الْفُرَاتِ ضَائِعَةً، لَظَنَنْتُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَائِلِي عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".

قلتُ وهذا الطريق معلول: فيه يحيى بن عبد الله البابلتي ضعيف، وفيه: داود بن علي بن عبد الله بن عباس، ضعيفٌ أيضاً، إلا أنه لا يترك حديثه، وفيه أيضاً انقطاعٌ بين داود بن علي وعمر بن الخطاب، فإنه لم يدركه.
قلتُ: بالبحث وتتبع للطرق فهذا الأثرُ حسنٌ بمجموع طرقه واختلاف الفاظه يعضد بعضه بعضاً والله أعلم.

بعضهم تلميحًا أن يفارقها ويأخذ غيرها، وأشار بعضهم بإمساكها، وألا يلتفت إلى كلام المنافقين والأعداء، فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر وخطب في الناس: "يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا" [393]

ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخذ فيهم حكماً أو قولاً بغير دليلٍ أو نصٍ واضح يحتكم إليه وهو المعلم الأول صلى الله عليه وسلم، ولكنّه طبق قواعد القضاء والحكم في المسائل الشرعية ليُعلمنا درساً مهماً جداً، فكان أشد ما وقع على السيدة عائشة في تلك المحنة العصيبة عندما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إليها وقال لها: "يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللَّهِ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ"[394] وهذا مما يقع في نفس الخصم إن كيل له شيءٌ من التهم وهو بريءٌ منها، فيجد في نفسه ألماً وفي صدره همّاً وغمّاً، لذلك منع الشارع من تَسلّم القضاء أن يشير بتهمة لخصمٍ بغير دليلٍ أو وجه شبهة إلّا إن كانت على سبيل الاستفسار والتأكيد والإقرار.

وانتظر النبي صلى الله عليه وسلم حكم الله في هذه الحادثة حتى نزل الوحي في ساعته مبرئاً الطاهرة الصديقة السيدة عائشة من هذا الإفك والبهتان العظيم، فأنزل الله عز وجل: { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ** لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ } [395] فَسُرِّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك. فكانت أول كلمة تكلم بها: "يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ".[396]

وجُلِد من أهل الإفك من مِسْطَح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحَمْنَة بنت جحش، جلد كل واحد منهم ثمانين جلدة حدًّا، أما الخبيث عبد الله بن أبي بن سلول فقد همَّ عمر بقتله، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتركه، فلم يقتل ولم يُحَدَّ رغم كونه رأس الفتنة؛ لمصلحة رآها رسول الله

---

[393] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: الْمَغَازِي، بَابٌ: حَدِيثُ الْإِفْكِ، (5 / 116)، رقم الحديث 4141.

[394] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: الشَّهَادَاتُ، بَابُ تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضِهِنَّ بَعْضًا، (3 / 173)، رقم الحديث 2661.

[395] {النور: 11-12 }.

[396] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: الشَّهَادَاتُ، بَابُ تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضِهِنَّ بَعْضًا، (3 / 173)، رقم الحديث 2661.

صلى الله عليه وسلم مِن تَرْك قتله، ولأنّ الحدود تخفيف لأهلها، وقد وعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة.

ومن هذا المبدأ أيضاً مما يزيد الأمر توثيقاً وتوكيداً قصة الثلاثة الذين خُلفوا في غزوة تبوك، وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم انتظر لمدة خمسين يوماً حتى نزل حكم الله فيهم فطبقه بذلك، بالرغم من حساسية القصة لتعلقها ببنية المجتمع الإسلامي وكثرة حديث النّاس عنها، والهمّ العظيم الذي نزل في أصحابها وسؤالهم المتكرر عن حكم الله فيهم تلقاء هذا الأمر، روى البخاري في صحيحه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب رضي الله عنه: "أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّ يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ"[397] وفي الحديث بيان هذا المبدأ بشكل واضح من النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن الأخبار السابقة نعلم أن المبدأ في إرساء أهمّية التحاكم للشرع وكتاب الله بدليلٍ هو من الأمور المهمة جداً في تثبيت وتأكيد سيادة القانون الإسلامي وهيمنته في المجتمع الذي يفضي الى حماية الوطن والدّفاع عنه وحفظ حدوده.

ج- مبدأ عدم التحايل واللعب على القانون:

إنّ ما يهدد أي قانون ويُسقطه من قلوب أفراد المجتمع هو التحايل عليه وتتبع ثغراته واستثناءاته التي تعطي لمن يتتبع هذه الأمور ميزة عن غيره في المجتمع، فينقضي بذلك على مبادئ القانون السائدة من مساواة وعدلٍ وإنصاف، فاهتمت السنّة النبويّة بهذا الأمر وحذّرت من التحايل والالتفاف على القانون، روى البخاري في صحيحه وبسنده الى أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ، وَلعلّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلَا يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ ".[398]

فحذر النبي صلى الله عليه وسلم من التحايل على القضاء ظاهراً أو باطناً سواء كان ذلك التحايل بالقول أو الفعل أو الإيهام، فكل ذلك محرمٌ في الشريعة الغراء لما فيه من انتقاصٍ لحق النّاس وظلمٍ يحيق بهم، وتوجيه القضاء بالتدّليس بالعدول عن الحق الى غيره ضرر متعين في حق الخلق ظاهر، وسياق الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل مناط الأمرِ هو ضمير الإنسان والدافع الذي ينبع من داخله يوجهه نحو الخير والحق، لأن النّاس متفاوتين في الحجة والقول

[397] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابٌ: الْمَغَازِي، بَابٌ: حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، (6 / 3)، رقم الحديث 4418.
[398] البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الْحِيَلِ، (9 / 25)، رقم الحديث 6967.

وبسط الكلام وتفصيله، ولعلّ القاضي يأخذ بحكمه ما ظهر له وربما يكون مخالفاً للحقيقة، وبهذا يترتب على هذا الحديث الجزاء الأخروي لا الدنيوي، لأن الانسان ربما يكسب في التحايل في الدنيا مكاسب يظن أن فيها نفع ورافد له، ولكن الحساب والعقاب في الآخرة عظيمٌ شديدٌ لظلم الغير من جانب والتحايل على دين الله وشرعه وحكمه من جانب آخر، وتجدر الإشارة أن البخاري الذي بسط فقهه في أبواب صحيحه فقد أفرد كتاباً بقوله " كتاب الحيل " للتحذير من هذا الأمر ولما له من أهمّية في نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والفساد الذي يحيق الأوطان من ضياع وفرقة إذا لازمها.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى أمر الخداع في القرآن بوصف من يقوم به أن في قلبه مرض بقوله: { يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } [399]

وكفى هذا الأمر تشنيعاً وبغضاً أن الله تعالى تبارك وتعالى وصف أيضاً من يخادع ويحتال بصفة النفاق، وهي من أشد المهالك التي تولج صاحبها النار فقال: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاس وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}[400]

إنّ ترسيخ هذه المبادئ المهمة يساعد وبشكلٍ مباشر في استقرار الوطن وحمايته والدّفاع عنه وحفظ حدوده، وعيش أفراده في رغدٍ وانشراحٍ وانبساط، ضمن أحكام الشريعة الغراء، ولا يمكن لوطنٍ أن يقوم بغير قانون يسود بين النّاس بحكمٍ يتصف بالعدل والإنصاف في فض النزاعات والخصومات، وجاهلٌ من ظنّ أن أيَّ حُكمٍ غير حكم الله سيحفظ الأوطان ويرعى شؤون العباد، فالحكم المطلق لله تبارك وتعالى على أرضه فهو الملك، وبين خلقه فهو الخالق، والله الموفق.

---

[399] {البقرة: 9 - 10 }.

[400] {النساء: 142 }.

النتائج والتوصيات:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه وأثره إلى يوم التناد، وبعد:

في رحاب هذا البحث الطيب، تبيّن لنا من خلاله الأهمّية العظيمة والقيمة المتينة التي عُنيت بها السنّة النبوية للوطن وتلك الأخبار وجملة الآثار التي تناقلها أهل الحديث وشراح الآثار في جنبات هذه المعاني، فهؤلاء القوم هم أقربُ النّاس للسنّة توثيقاً وتطبيقاً، ونخلص إلى نتائج على ما يلي:

1- للوطن أهمّية كبيرةٌ عند العلماء قديماً وحديثاً، حيث أولت السنّة النبويّة عناية فائقة بالوطن وأهميته والحفاظ عليه.

2- شرع الله تعالى الجهاد للحفاظ على الدين من جانب والأرض من جانب آخر، وهذا الفرض ماضٍ في الأمّة الى يوم القيامة مما يشير الى أهمّية تراب الوطن والحفاظ عليه والدّفاع عنه.

3- اعتنى أهل الحديث في أوطانهم، ونُقل لنا من لوعة حنينهم لفراق ديارهم الكثير الكثير، فلله در المحدّثين ما أبرّهم، ولا عجب في ذلك فهم أكثر النّاس تمسك بالآثار والأخبار.

4- أهمّية منهج النبي صلى الله عليه وسلم في توظيف شباب الصحابة وتسليمهم أعظم المهمات لبناء الوطن واعتبارهم الركيزة الأساسية في النجاح غي هذا المضمار.

5- إن خيانة الوطن تورد صاحبها المخاطر والمهالك والتيه والخسران والواجب على من ولج تلك المهالك التوبة والإنابة والسير على مضمار الكتاب والسنة.

6- إن الحفاظ على المقاصد الشرعية من أهمّ الأمور التي تساهم في الحفاظ على الأوطان من التهديد الخارجي والداخلي وتضمن للإنسان العيش بكرامة محفوظاً سليماً عزيزاً.

7- بذل أهل الشّام الغالي والرخيص حفاظاً على وحدة أرضهم وصوناً لعقيدتهم، ويشهد الواقع لهم ذلك والتضحيات التي قدموها لتعزيز هذا المفهوم راسخة واضحة.

8- لا عزّ لنا بغير أرضنا ولن يقوم لنا أمرٌ ما دمنا في شتات الأرض نتيه، فحُب الأوطان من الإيمان والحفاظ على ذرّات ترابه فرضٌ قائم.

يوصي الباحث بـــ:

1- تعزيز قيمة الأرض والوطن عند الجيل الناشئ والعناية في تدريسه التضحيات التي بذلها أسلافه من عهد الصحابة الكرام الى يومنا هذا وما بذله أهله لأجل أرضهم ووطنهم.
2- تفرغ نخبة من التربويين والمعلمين المخضـرمين لإعداد برامج قيادية ونخبوية تسـتهدف شـباب الأمّة للوصـول إلى قادة متفننين عندهم إعداد جسـدي وفكري وروحي لقيادة الأمّة وإخراجها من مدلهمّات الشتات والضياع.
3- اهتمام الباحثين والدّارسـين بهذا الجانب والقيام بالدراسـات العلمية والبحثية عن القضـايا المتعلقة بالأوطان وأهميتها والحفاظ عليها واستنباط هذه المعاني من السنّة النبوية.
4- إعداد برامج علمية تغذي جانب الانتماء والتعلق بالأوطان، خصـــوصـــاً في البلاد التي شـــهدت أرضها وربوعها حرباً ودماراً وهجرة.
5- القيام بدراســـات ميدانية إحصـــائية لمعرفة واقع المهجرين في دول المهَجْر عموماً وفي أوروبا خصـــوصـــاً ودراســـة وتحليل مدى قابليتهم لعودتهم الى ديارهم وتوظيف هذه النتائج في خدمة تعزيز أصالة الانتماء والتضحية.

فهرس المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفي: 852هـ)، **المستطرف في كل فن مستطرف**، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ط: الأولى، 1419 هـ، عدد الأجزاء: 1.

3- ابن أبي العز، صدر الدين عليّ بن عليّ ابن أبي العز الحنفي (المتوفي: 792 هـ)، **التنبيه على مشكلات الهداية**، ت: عبد الحكيم بن محمد شاكر (جـ 1، 2، 3) - أنور صالح أبو زيد (جـ 4 - 5)، أصل الكتاب: رسالة ماجستير- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الناشر: مكتبة الرشد ناشرون - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1424 هـ - 2003 م، عدد الأجزاء: 5.

4- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفي: 327هـ)، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، ت: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفي الباز - المملكة العربية السعودية، ط: الثالثة - 1419 هـ.

5- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفي: 630هـ)، **الكامل في التاريخ**، ت: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1417هـ / 1997م، عدد الأجزاء: 10.

6- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفي: 597هـ)، **تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)**، ت: طارق فتحي السيد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1425 هـ - 2004 م، عدد الأجزاء: 1.

7- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفي: 597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، ت: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى - 1422 هـ.

8- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفي: 597هـ)، **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، دار الوطن – الرياض، د ط، ت: علي حسين البواب.

9- ابن الحجاج، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفي: 261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، ط: 1، 2001 م - 1422هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

10- ابن السعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت 230هـ)، **الطبقات الكبرى**، ت: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، 1410 هـ - 1990 م، عدد الأجزاء: 8.

11- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (المتوفي: 709هـ)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، ت: عبد القادر محمد مايو، الناشر: دار القلم العربي، بيروت، ط: الأولى، 1418 هـ - 1997 م، عدد الأجزاء: 1.

12- ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي (المتوفي: 403هـ)، **تاريخ علماء الأندلس**، ط: 2، 1408 هـ - 1988 م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ت: السيد عزت العطار الحسيني.

13- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بـ ابن الملقن (723 - 804هـ)، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، أستاذ الحديث بجامعة الأزهر، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، ط: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 36.

14- ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك أبو الحسن المعروف بابن بطال (المتوفي: 449هـ)، **شرح صحيح البخاري لابن بطال**، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط: 2، 1423هـ - 2003م.

15- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفي: 728هـ)، **السياسة الشرعية**، د: ت، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1418هـ، عدد الصفحات: 136.

16- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفي: 728هـ)، **منهاج السنّة النبويّة في نقض كلام الشيعة القدرية، ت**: محمد رشاد سالم، د ط، الناشر: جامعة محمد بن سعود الإسلامية

17- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت 1960 م – 1379هـ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، د ط، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

18- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 456هـ)، **جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم**، ت: إحسان عباس، الناشر: دار المعارف - مصر، ط: 1، 1900 م، عدد الصفحات: 381.

19- ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله (المتوفي: 241هـ)، **مسند أحمد بن حنبل**، ط: 1، 1421 هـ - 2001 م، مؤسسة الرسالة، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي.

20- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ت: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الأولى 1994، عدد الأجزاء: 7.

21- ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفي: 795هـ)، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، ط: 7، 1422هـ - 2001م، مؤسسة الرسالة – بيروت، ت: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس.

22- ابن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفي: 150هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ت: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط: الأولى - 1423 هـ.

23- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفي: 1393هـ)، **التحرير والتنوير** «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، د: ت، د ط، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنّة النشر: 1984 هـ، عدد الأجزاء: 30 (والجزء رقم 8 في قسمين).

24- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفي: 463هـ)، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ت: مصطفي بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: 1387 هـ، عدد الأجزاء: 24،

25- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (المتوفي: 257هـ)، **فتوح مصر والمغرب**، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، د: ت، د ط، عام النشر: 1415 ه، عدد الأجزاء: 1.

26- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفي: 751هـ) **زاد المعاد في هدي خير العباد،** الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، د: ت، ط: السابعة والعشرون، 1415هـ /1994م عدد الأجزاء: 5.

27- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفي: 774هـ)، **البداية والنهاية،** ت: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى 1408، هـ - 1988 م.

28- ابن مازة، أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي (المتوفي: 616هـ)، **المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه أبي حنيفة رضي الله عنه،** ت: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1424 هـ - 2004 م، عدد الأجزاء: 9.

29- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفي: 711هـ)، **لسان العرب،** دار صادر – بيروت، ط: الثالثة - 1414 هـ، عدد الأجزاء: 15.

30- ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت 970هـ)، **البحر الرائق شرح كنز الدقائق،** وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد 1138 هـ)، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، ط: الثانية، د ت، عدد الأجزاء:8

31- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفي: 213هـ)، **السيرة النبويّة لابن هشام،** ت: مصطفي السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية، 1375هـ - 1955 م، عدد الأجزاء: 2.

32- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفي: 275هـ)، **سنن أبي داود،** ط: 1، 1430 هـ - 2009 م، دار الرسالة، ت: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي.

33- أبو زيد، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (ت ١٤٢٩هـ)، **طبقات النسابين،** الناشر: دار الرشد، الرياض، ط: الأولى، 1407 هـ - 1987 م،عدد الصفحات: 231.

34- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي أبو القاسم المعروف بأبي شامة (المتوفي: 665هـ)، **شرح الحديث المقتفي في مبعث النبي المصطفي**، مكتبة العمرين العلمية - الشارقة/ الإمارات، ط: 1، 1420هـ /1999 م، ت: جمال عزون.

35- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (المتوفي: 182هـ)، **الخراج**، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، **ت**: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، **ط**: طبعة جديدة مضبوطة - محققة ومفهرسة، أصح الطبعات وأكثرها شمولا، عدد الأجزاء: 1.

36- الآجُرّيُّ، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرّيُّ البغدادي (المتوفي: 360هـ)، **الشريعة**، ت: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، ط: الثانية، 1420 هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 5.

37- اسليم، ليلى محمد اسليم، **حب الوطن في ضوء السنّة النبوية**، بحث محكم منشور في مجلة فلسطين للأبحاث والدراسات، العدد الرابع، يناير 2013.

38- آل إسماعيل، نبيل بن محمد آل إسماعيل، **العناية بالقرآن الكريم وعلومه من بداية القرن الرابع الهجري إلى عصرنا الحاضر**، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، د ط، د ت.

39- الأنجري، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفي: 1224هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: حسن عباس زكي – القاهرة، ط: 1419 هـ.

40- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، ط: 1، 2001 م - 1422هـ، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

41- البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، **التعريفات الفقهية**، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ - 1986م).

42- البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، **قواعد الفقه**، الناشر: الصدف ببلشرز - كراتشي، ط: الأولى، 1407 – 1986.

43- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفي: 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى - 1418 هـ.

44- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفي: 279هـ)، **سنن الترمذي**، أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ط: 2، 1395 هـ- 1975 م، ت: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي – مصر.

45- التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، **موسوعة الفقه الإسلامي**، د: ت، الناشر: بيت الأفكار الدولية، ط: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، عدد الأجزاء: 5.

46- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفي: 429هـ)، **يتمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ط: 1، 1403ه - -1983م، دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان، د ت.

47- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفي: 427هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ت: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى 1422، هـ - 2002 م، عدد الأجزاء: 10.

48- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفي: 255هـ)، **المحاسن والأضداد**، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423 هـ، عدد الأجزاء: 1، باب محاسن حب الوطن.

49- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفي: 816هـ)، **التعريفات**، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط: الأولى 1403هـ -1983م، عدد الأجزاء: 1.

50- الجكني، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (المولود سنة 1325 هـ - المتوفى سنة 1393 هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، ط: الخامسة، 1441 هـ - 2019 م (الأولى لدار ابن حزم)، عدد الأجزاء: 7.

51- الجوبني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفي: 478هـ)، **الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم**، ت: عبد العظيم الديب، الناشر: مكتبة إمام الحرمين، ط: الثانية، 1401هـ، عدد الأجزاء: 1

52- الحُصري، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفي: 453هـ)، **زهر الآداب وثمر الألباب**، الناشر: دار الجيل، بيروت، عدد الأجزاء: 4.

53- الحوت، محمد بن محمد درويش أبو عبد الرحمن الحوت الشافعي (ت 1277هـ)، **أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب**، ت: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، 1418 هـ -1997م،عدد الصفحات: 357.

54- حوّى، سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)، **الأساس في السنة وفقهها**، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط: الطبعة الثالثة، 1416 هـ - 1995 م، عدد الأجزاء: 4.

55- الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي أبو سليمان (المتوفي: 388هـ)، **معالم السنن**، وهو شرح سنن أبي داود، ط: 1 1351 هـ - 1932 م، د ت، المطبعة العلمية – حلب.

56- الخطيب، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي أبو بكر (المتوفي: 463هـ)، **تاريخ بغداد**، ط: 1، 1422هـ - 2002 م، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ت: بشار عواد معروف.

57- الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفي الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفي: 1127هـ)، **روح البيان**، الناشر: دار الفكر – بيروت.

58- خليفة، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفي: 1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنّة النشر: 1990 م، عدد الأجزاء: 12 جزءا.

59- الخوارزمي، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (المتوفي: 610هـ)، **المغرب**، دار الكتاب العربي، ط: د ط، عدد الأجزاء: 1.

60- الخولي، محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي (المتوفي: 1349هـ)، **الأدب النبوي**، د: ت، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ط: الرابعة، 1423 هـ، عدد الأجزاء: 1.

61- درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفي درويش (المتوفي: 1403هـ)، **إعراب القرآن وبيانه**، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، دار اليمامة - دمشق – بيروت، دار ابن كثير - دمشق – بيروت، د: ت، ط: الرابعة، 1415 هـ، عدد المجلدات: 10.

62- الدَّمِيري، كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشافعي (المتوفي: 808هـ)، **النجم الوهاج في شرح المنهاج**، الناشر: دار المنهاج (جدة)، ت: لجنة علمية، ط: الأولى، 1425هـ - 2004م، عدد الأجزاء: 10.

63- دُوزِي، رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفي: 1300هـ)، **تكملة المعاجم العربية**، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ 1 - 8: محمَّد سَليم النعَيمي جـ 9، 10: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط: الأولى، من 1979 - 2000 م، عدد الأجزاء: 11.

64- الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفي: 333هـ)، **المجالسة وجواهر العلم**، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت - لبنان)، تاريخ النشر: 1419هـ، عدد الأجزاء: 10.

65- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفي: 748هـ)، **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، ت: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط: الأولى، 1413 هـ - 1992 م.

66- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ت: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثانية، 1413 هـ - 1993 م عدد الأجزاء:52.

67- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، **سير أعلام النبلاء**، الناشر: دار الحديث- القاهرة، ط: 1427هـ-2006م، عدد الأجزاء: 18.

68- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفي: 606هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة - 1420 هـ.

69- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفي: 666هـ)، **مختار الصحاح**، ت: يوسف محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: الخامسة، 1420هـ / 1999م، عدد الأجزاء: 1.

70- الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفي: 502هـ)، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط: الأولى، 1420 هـ، عدد الأجزاء: 2، باب الحث على صيانة مسقط الرأس.

71- الرجراجي، أبو الحسن علي بن سعيد الرجراجي (المتوفي: بعد 633هـ)، **مَنَاهِجُ التَّحصِيلِ ونتائج لطائف التَّأْوِيل في شَرحِ المدَوَّنة وحَلِّ مُشكِلاتها**، اعتنى به: أبو الفضل الدّميَاطي - أحمد بن عليّ، الناشر: دار ابن حزم، ط: الأولى، 1428 هـ - 2007 م، عدد الأجزاء: 10.

72- الزبيدي، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ت: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت عدد الأجزاء: 40 أعوام النشر: (1385 - 1422 هـ) = (1965 - 2001 م) وصَوّرتْ أجزاءً منه: دار الهداية.

73- الزحيلي، وهبة بن مصطفي الزحيلي، **التفسير الوسيط للزحيلي**، الناشر: دار الفكر – دمشق، ط: الأولى - 1422 هـ، عدد الأجزاء: 3 مجلدات في ترقيم مسلسل واحد.

74- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت 1396 هـ)، **الأعلام**، الناشر: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م، عدد المجلدات: 8، (348/7).

75- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفي: 538هـ)، **أساس البلاغة**، ت: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1419 هـ - 1998 م، عدد الأجزاء: 2.

76- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفي: 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة - 1407 هـ، عدد الأجزاء: 4، (1 / 236).

77- سابق، سيد سابق (المتوفي: 1420هـ)، **فقه السنّة**، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، 1397 هـ - 1977 م.

78- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت 771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، ت: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية، 1413هـ،عدد الأجزاء: 10، (209/8-211).

79- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت 902هـ)، **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، ت: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الأولى، 1405 هـ - 1985م، عدد الأجزاء: 1.

80- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت 483هـ)، **المبسوط**، الناشر: دار المعرفة – بيروت، د ط، د ت، تاريخ النشر: 1414هـ - 1993م، عدد الأجزاء: 30.

81- سزكين، فؤاد سزكين، **تاريخ التراث العربي (علوم القرآن والحديث - التدوين التاريخي - الفقه - العقائد)**، نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، راجعه: د عرفة مصطفى - د سعيد عبد الرحيم، أعاد صنع الفهارس: د عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام النشر: 1411 هـ - 1991 م عدد الأجزاء: 4.

82- السلفي، انتخاب: صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني (المتوفي: 576هـ)، **الطيوريات**، من أصول: أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي الطيوري (المتوفي: 500هـ)، ت: دسمان يحيى معالي، عباس صخر الحسن، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط: الأولى، 1425 هـ - 2004 م، عدد الأجزاء: 4.

83- السلماني، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل الغرناطي الأندلسي أبو عبد الله الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفي: 776هـ)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط: 1، 2003 م - 1424 هـ، د ت، دار الكتب العلمية_ بيروت.

84- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، **طبقات الحفاظ**، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1403، د ت، عدد الصفحات:553.

85- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: 911هـ)، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، ط: الأولى 1387 هـ - 1967 م، عدد الأجزاء: 2.

86- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: 911هـ)، **الدر المنثور**، د: ت، د ط، الناشر: دار الفكر – بيروت، عدد الأجزاء: 8،

87- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**، ت: الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، الناشر: عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود، الرياض، عدد الصفحات: 226.

88- شُرَّاب، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق- بيروت، ط: الأولى - 1411 هـ، عدد الصفحات: 304.

89- الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (المتوفي: 542هـ)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ط: 2 1401 ه - 1981 م، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ت: إحسان عباس.

90- الصغاني، رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي الصغاني الحنفي (ت 650هـ)، **الموضوعات**، ت: نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، ط: الثانية، 1405 هـ، عدد الصفحات: 83.

91- الصنهاجي، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفي: 1359هـ)، **تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)**، ت: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين.، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.، ط: الأولى، 1416هـ - 1995م.، عدد الأجزاء: 1.

92- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (المتوفي: 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ت: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، عدد الأجزاء: 24.

93- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (المتوفي: 520هـ)، **سراج الملوك**، الناشر: من أوائل المطبوعات العربية – مصر، د: ت، تاريخ النشر: 1289هـ، 1872م، عدد الأجزاء: 1.

94- العامري، أحمد بن عبد الكريم بن سعودي الغزي العامري (ت 1143هـ)، **الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث**، ت: بكر عبد الله أبو زيد، الناشر: دار الراية - الرياض، ط: الأولى، 1412 هـ، عدد الصفحات: 269.

95- عبد العزيز بن عبد الله، **معلمة الفقه المالكي**، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1403 هـ - 1983 م، عدد الصفحات: 329.

96- العجلوني، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت 1162هـ)، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، الناشر: مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي – القاهرة،عام النشر: 1351 هـ.

97- العراقي، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي أبو الفضل (المتوفي: 806هـ)، **طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)**، ط المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي)، د ت.

98- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفي: نحو 395هـ)، **ديوان المعاني**، الناشر: دار الجيل – بيروت، عدد الأجزاء: 2 (في مجلد واحد).

99- العفاني، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، **أعلام وأقزام في ميزان الإسلام**، الناشر: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة – السعودية، ط: الأولى، 1424 هـ - 2004 م، عدد الأجزاء: 2.

100- العقيلي، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفي: 660هـ)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، د ط، د ت، دار الفكر، عدد الأجزاء: 12.

101-العكري، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفي: 1089هـ)، **شذرّات الذهب في أخبار من ذهب**، ت: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط: الأولى، 1406 هـ - 1986 م، عدد الأجزاء: 11.

102-عمر، أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفي: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 4 (3 ومجلد للفهارس) في ترقيم مسلسل واحد، باب 1708.

103- عواجي، غالب بن علي عواجي، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، ط: الرابعة، 1442 هـ - 2001م، عدد الأجزاء: 3.

104-عواجي، غالب بن علي، المكتبة العصرية الذهبية-جدة، **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها**، ط: الأولى 1427هـ-2006م.

105- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ)، إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة - بيروت، د ط، د ت، عدد الأجزاء:4.

106-الغيتابي، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني أبو محمد (المتوفي: 855هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د ط، د ت.

107-الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ت: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط: الرابعة 1407 هـ - 1987 م عدد الأجزاء: 6.

108-الفاروقي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفي: بعد 1158هـ)، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، ت: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط: الأولى - 1996م.، عدد الأجزاء: 2.

109- فال الشنقيطي، محمد بن محفوظ بن المختار فال الشنقيطي، **جواهر الدرر في نظم مبادئ أصول ابن باديس الأبر**، أعده للطباعة والنشر: المختار بن العربي مومن، الناشر: دار ابن حزم، ط: الأولى، 1426هـ - 2005م.

110- الفَتَّنِي، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي (ت 986هـ)، **تذكرة الموضوعات**، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية، ط: الأولى، 1343 هـ، عدد الصفحات: 312.

111-القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفي: 684هـ)، **الذخيرة**، ت: جزء 1، 8، 13: محمد حجي، جزء 2، 6: سعيد أعراب، جزء 3 - 5، 7، 9 - 12: محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط: الأولى، 1994 م، عدد الأجزاء: 14 (13 ومجلد للفهارس).

112-القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفي: 684هـ)، **الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق**، الناشر: عالم الكتب، ط: د ط، عدد الأجزاء: 4.

113- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: الثانية، 1384 هـ - 1964 م، عدد الأجزاء: 20 جزءا (في 10مجلدات).

114- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفي: 923هـ)، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: السابعة، 1323 هـ، عدد الأجزاء: 10.

115-القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفي: 465هـ)، **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، ت: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط: الثالثة.

116- قُطلُوبغا، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (ت 879هـ)، **تاج التراجم**، ت: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم – دمشق، ط: الأولى، 1413 هـ -1992م، عدد الصفحات: 367، صـ 309.

117-قلعجي – قنيبي، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، **معجم لغة الفقهاء**، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، د: ت، **ط:** الثانية، 1408 هـ - 1988 م.

118-القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفي: 1307هـ)، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: 1412 هـ - 1992 م، عدد الأجزاء: 15.

119- الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت 587هـ)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الثانية، 1406هـ - 1986م، عدد الأجزاء: 7.

120- الكحلاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفي: 1182هـ)، **التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ**، ت: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، ط: 1432 هـ - 2011 م، مكتبة دار السلام الرياض.

121- الكرماني، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرماني (ت ٧٨٦هـ)،**الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: ثانية: 1401هـ - 1981م، عدد الأجزاء: 25.

122- الكرمى، مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى (ت 1033هـ)، **الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة**، ت: د. محمد بن لطفي الصباغ، الناشر: دار الوراق - الرياض، ط: الثالثة، 1419 هـ - 1998م، عدد الصفحات: 142.

123- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، ت: عدنان درويش - محمد المصري، د ط، د ت، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، عدد الصفحات: 1083

124- الكُمِلَّائي، محمد حفظ الرحمن بن محب الرحمن الكُمِلَّائي، **البدور المضية في تراجم الحنفية**، الناشر: دار الصالح (القاهرة - مصر)، مكتبة شيخ الإسلام (دكا - بنجلاديش)، ط: الثانية، 1439 هـ - 2018 م، عدد الأجزاء: 23 (آخر 2 فهارس).

125- لاشين، موسى شاهين لاشين حفظه الله، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، ط: 1، 1423 هـ - 2002 م، دار الشروق.

126- مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفي: 179هـ)، **الموطأ**، ط: 1، 1425 هـ - 2004 م، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، ت: محمد مصطفي الأعظمي.

127- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفي: 450هـ)، **الأحكام السلطانية**، د: ت، د ط، الناشر: دار الحديث – القاهرة، عدد الأجزاء: 1.

128- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفي: 450هـ)، **تفسير الماوردي = النكت والعيون**، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، د ط، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

129- المباركفوري، صفي الرحمن المباركفوري (ت 1427هـ)، **الرحيق المختوم (مع بعض التعديلات والزيادات من د علاء الدين زعتري وغسان محمد رشيد الحموي)**، الناشر: دار العصماء - دمشق، ط: الأول - 1427، عدد الصفحات: 440.

130- مجموعة من الباحثين، **الندوة العلمية الدولية التاسعة**، حِمايَةُ الْوَطَنِ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ مَقْصِدٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ مُجتمَعِيَّةٌ، تكونت هذه الندوة من 34 بحث علمي محكم تم انتخابها واختيارها من 218 بحث علمي، ط: دبي - أ.ع.م، 12-14/3/2019 م.

131-مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط: الأولى، (1393 هـ = 1973 م) - (1414 هـ = 1993 م)، عدد المجلدات: 10.

132-محمد عمارة، **العطاء الحضاري للإسلام**، سلسلة اقرأ، الناشر: مكتبة دار الشروق، ط: الأولى 1425 هـ - 2004 م.

133-مختار الشنقيطي، محمد بن محمد المختار الشنقيطي، **شرح زاد المستقنع**، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، ط: الأولى 1428 هـ - 2007 م.

134-المراغي، أحمد بن مصطفي المراغي (المتوفي: 1371هـ)، **تفسير المراغي**، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، 1365 هـ - 1946 م، عدد الأجزاء: 30.

135-المرزباني، حمد بن عمران المرزباني المعروف بأبي عبيد الله (ت: 384 هـ)، **معجم الشعراء**، ط: 2، 1402 هـ - 1982 م، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ت: الأستاذ ف. كرنكو.

136- المروزي، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفي: 489هـ)، **تفسير القرآن**، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط: الأولى، 1418هـ- 1997م.

137- المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفي: 742هـ)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ت: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، 1400 – 1980، عدد الأجزاء: 35.

138- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفي: 421هـ)، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، ت: ابن الخطيب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، ط: الأولى، عدد الأجزاء: 1.

139- ملتقى أهل الحديث، **المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين**، أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء عدد الصفحات: 372.

140- منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، **مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة**، وقد صدرت في 13 عددا، وكل عدد يتكون من مجموعة من المجلدات.

141- المنياوي، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفي بن عبد اللطيف المنياوي، **الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان**، الناشر: مكتبة ابن عباس، مصر، ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، عدد الأجزاء: 2.

142- مهران، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفي: 430هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، عدد الأجزاء: 10.

143- نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفي: ق 12هـ)، **دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، ت: عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، ط: الأولى، 1421هـ - 2000م، عدد الأجزاء: 4.

144- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثانية، 1392، عدد الأجزاء: 18.

145- النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفي: 733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د: ت، ط: الأولى، 1423 هـ، عدد الأجزاء: 33.

146- نويهض، عادل نويهض، **معجم المفسرين**، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، ط: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م، عدد الأجزاء: 2.

147- الهروي، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفي: 1014هـ)، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1422هـ - 2002م، عدد الأجزاء: 9.

148- الهروي، علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت 1014هـ)، **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى)**، ت: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الثانية، 1395 هـ، عدد الصفحات: 272.

149- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفي: 468هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت: صفوان عدنان داودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ، عدد الأجزاء: 1.

150- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفي: 468هـ)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1415 هـ - 1994 م، عدد الأجزاء: 4.

المصادر الالكترونية:

1. https://www.shamela.ws/index.php/author/2282 يُنظر، تاريخ الوصول 2022/09/01.
2. https://al-maktaba.org/author/1052 يُنظر، تاريخ الوصول 2022/09/01.
3. https://shamela.ws/author/1188 يُنظر، تاريخ الوصول 2022/09/01.
4. https://shamela.ws/author/1205 يُنظر، تاريخ الوصول 2022/09/01.
5. https://shamela.ws/author/1674 يُنظر، تاريخ الوصول 2022/09/01.

والحـــمْـــدُ لِـــلـــهِ رَبِّ العالمـــيـــن